صبري الأشوح

إعجاز القراءات القرآنية

دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

نشأت منذ طفولتى المبكرة على اعتقاد راسخ بأن من يخطىء فى تشكيل حرف من القرآن فقد ارتكب إثما مبينا ، ولقد قادنى ذلك الاعتقاد إلى الحرص الشديد عند حفظ الآيات أو تلاوتها على التزام الضبط والشكل . وحفرت فى ذاكرتى صورة ذهنية غامضة عن « الكلمة » بشقيها الأرضى البشرى والسماوى المقدس . وشرعت أبحث عن مفهوم « القداسة » ومعناها . وكان قد استقر فى يقينى أن القرآن هو « كلام الله » وأنه – دونا عن كل الكتب السماوية الأخرى – لم ينله التحريف . إنه كلام الله ننطقه كما أوحى به . إنه أثر مادى ملموس من آثار الله على الأرض ، إلا أنه ليس شيئا مخلوقا كالسماوات والأرض . إنه جزء من ذاته المقدسة .

من هنا ترسخ فى تفكيرى (الطفولى) أن « للمثال » مـــكان على أرض « الواقع » وأن التعايش بينهما أمر طبيعى ، بدليل وجود القرآن بيننا ، حقيقة واقعة لا تقبل الجدل ، هو هو تماما كما نزل من السماء ، لا يرفع مجرورا ولا ينصب مرفوعا . أما عن كيفية حدوث ذلك ، فهذا ما اعتبرته مسألة وقت فلن ألبث حتى أتم تعليمى وأصبح رجلا ، فأعرف كل شيىء .

فالعقل موجود ، والعلم فى الكتب ، ولكل سؤال جواب . والجواب لا شك سيكون دقيقا وواضحا ، تماما كدقة القرآن ووضوحه . وعرفت طريقى إلى القراءة ، سعيا وراء المزيد من « الحقائق » . فقد صور لى تفكيرى الطفولى أن كل ما ينشر هو حقائق ، لا مجرد اجتهادات وآراء وتصـورات ومحاولات للتفسير . باختصار ، كانت نشأتى مثالية ساذجة .

ومرت الأيام ، حتى جاءت ليلة مولد السيدة سكينة ، فدخلت المسجد أستمع إلى تلاوة القرآن من أحـد مشـاهير المقرئين ، فإذا به يتلو آية واحدة مرتين . فى المرة الأولى سمعت كلمة « فتبينوا » ، وفى المرة الثانية سمعته يتلوها « فتثبتوا » . واختلط علىّ الأمر ، فلم أجد تفسيرا لما يحدث . ثم

حدث هرج ومرج بين المستمعين ، وتعالت بعض الأصوات بالاحتجاج ، وارتبك المقرىء ، ثم ما لبث أن غادر المسجد من فوره ، يكاد يتعثر من فرط هرولته ، محاطًا بثلة من الحاضرين . وانفض المولد ، وانقض التساؤل يكاد يدهم رأسى . ما معنى ما حدث ؟ مستحيل أن يخطىء المقرىء ، فهو من مشاهير الإذاعة . إنه لا شك يعلم تمامًا ما يفعل ، بدليل أنه قرأ « فتبينوا » مرة ، ثم قرأ « فتثبتوا » فى المرة التالية . فلا الخطأ وارد ولا النسيان أيضاً . ولو كان الموضوع فى إطـار « الخطأ أو النسيان » فهو مرفوع عنه مغفور له بنص الحديث . فما الداعى إذن لتذمر الحاضرين وحدوث ما يشبه الفتنة ؟ .

لقد تعمد المقرىء إذن . !! ويل له . . . تحريف فى كلام الله ؟ وفى كلمة كاملة ؟ ومن حامل للقرآن ؟ . . . لابد أن فى الأمر سرًا .

ودارت الأيام ، إلى أن جاء اليوم الذى فتحت فيه إحدى كتب التفسير . وبدأت بتفسير الفاتحة . فإذا بى أفاجأ بأنه يفسر ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ مرة ، ثم يفسر « ملك يوم الدين » مرة أخرى . ويسهب فى محاسن هذه مرة ويعدد إعجاز الأخرى ثانية ، ثم يسميهما « قراءتين » .

ولم أفهم ماذا يعنى بقراءتين . بل هو قرآن واحـد ، يتلى علينا ليلاً ونهاراً بتلاوة واحدة. وأنا أعرف جيداً أننا نقرأ الفاتحة بـ(« مالك » يوم الدين) . هكذا تتلوها أئمة المساجد فى كل صلاة جهرية . وهكذا أسمعها منذ وعيت على الدنيا تتلى فى الإذاعة . وهكذا لقنتها منذ طفولتى فى المنزل ، ثم فى المدرسة . أنا لا أعرف سوى « مالك » . أنا لا أعرف « ملك » . أنا غير قادر على استيعاب الأمر .

وهكذا بدأت تنشأ الفجوة فى رأسى بين « المثال » الذى كنت أعتنقه وبين « الواقع » الذى بدأت أصطدم به ، ولا أفهمه .

وتتالت الأعوام ، تحمل فى كل مرة جديداً . فأثناء زيارتى لبلاد المغرب لاحظت اختلافا ما فى التلاوة ، عزوته مرة لاختلاف اللهجة ، وأخرى للإهمال والتأخر فى اللحاق بمصرنا العزيزة – أم الدنيا – وبلد الأزهر الشريف ، جامعة العلوم الإسلامية . وتأسفت كثيرًا لأحوالهم . حتى تصادف ذات يوم أن لفت انتباهى أن المذيع كان يقدم للتلاوة مرة بأنها برواية حفص عن عاصم ، وأخرى بأنها برواية ورش عن نافع .

وبدأت أربط لأول مرة بين التلاوة والراوى . إلى أن وزع علينا فى العمل

ذات يوم إعلان مطبوع لبيع وتسويق المصحف المرتل مسجلاً على شرائط كاسيت ، موضحاً به العديد من البيانات ، مثل السعر نقداً وبالتقسيط لمجموعة من كبار المقرئين . واستوقف نظرى أن التسجيلات جميعها برواية حفص عن عاصم ، سوى واحد فقط ذكر أنه برواية ورش عن نافع ، فاشتريته .وعندما استمعت إليه ، تذكرت التلاوة بالمغرب .

وقادتنى تلك الخطوة إلى متابعة الجهد على طريق البحث عن الحقيقة ، فتوجهت إلى مكتبات الأزهر ، فابتعت مصحفاً « طبع بالرسم العثمانى على رواية الإمام ورش » وأقر صحته مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر !! .

وباجتماع المصحف المرتل المسموع ، والمصحف المطبوع ، برواية ورش عن نافع ، أدركت للمرة الأولى حقيقة جديدة ، وهى وجود قراءتين للقرآن الكريم ، وليس قراءة واحدة كما كنت أظن من قبل . ولكننى لم أستطع أن أمنع توارد التساؤلات على خاطرى :

أيهما أفضل ؟ . . . أيهما أصح ؟ . . . أيهما القرآن كما نطقه النبى ؟ .

وتسرعت ساعتها – من فرط توترى – فانحزت إلى رواية حفص التى نشأت عليها .

والتساؤلات رغم بشاعتها لا يجوزأن يلام عليها إنسان مسلم شديد الغيرة على دينه وقرآنه . ولقد علمت فيما بعد – وبعد جهد جهيد – أن ما حاك فى صدرى كان قد حاك فى صدر « أبى بن كعب » إمام القراءات القرآنية ، الصحابى الجليل ، الذى تجدون اسمه مطبوعاً فى كل مصحف . فإليه تنتهى قراءة أغلب القراء . لقد « ارتج عليه » حين أفاق على الرسول الكريم ﷺ وهو يجيز ويصوب قراءة خالفت قراءته التى تعلمها من فيه . لولا أن ضربه الرسول على صدره ليفيق . فالحمد لله الذى ثبته وثبتنى على تقبل « تعدد الحق » ، و « تعدد القراءات » لقرآن واحد . وانهار مفهومى الطفولى ليحل محله مفهوما جديداً .

إنها إرادة الله وحكمته التى شاءت أن يكون « قرآناً واحداً » ، و « قراءات قرآنية متعددة » ، وهما حقيقتان متغايرتان لشىء واحد .

وشكل العلاقة التى تربط بين « القرآن » و « القراءات » هو النموذج الذى أراده الله للتفاعل بين « المثال » و « الواقع » . فلو شاء سبحانه لجعلها قراءة واحدة ،ولكنها « حكمة بالغة » .

وسعيا وراء فهم تلك الحكمة تواصل الجهد حتى تبين لى أن عدد القراءات القرآنية للقرآن الكريم كان قد تجاوز الحصر فى يوم من الأيام . وفى الوقت ذاته ، تبين لى أيضاً أن عدداً لاحصر له من علماء الأمة الإسلامية وأئمتها قد أفنوا أعمارهم فى خدمة كتاب الله ، حتى وصل إلينا بصورته التى نراها عليه الآن ، مطبوعة فى المصاحف ، متلوة فى شرائط الكاسيت . وأن ذلك لم يتم بين يوم وليلة ، بل استمرت الجهود لمئات السنين ، تصون وترعى ، وتضبط وتؤصل ، وتفسر وتنظر ، حتى تركت لنا تراثا فى « علم القراءات » يباهى به كل مسلم الأمم ، وحتى تقوم الساعة .

وهذا الكتاب ليس سوى جولة فى عالم القراءات ، طولاً وعرضاً وفى اتجاه العمق أحياناً . ذلك العالم عظيم الاتساع بالغ العمق خطير المزالق ، الذى لم أكن لأخطو فيه خطوة واحدة لو أن القائمين على تنشئتى وتربيتى وتعليمى وتثقيفى قاموا بتحفيظى سورتى الفاتحة والإخلاص بأكثر من قراءة . فلا « يحيك فى صدرى » إن قرأت « ملك » مرة « ومالك » أخرى .

ولا أتردد عندما أتلو « كفواً أحد » مـرة ، و « كفؤاً احد » أخـرى ، ولا « يرتج علىَّ » عندما أسمع « فتبينوا » مـــرة و « فتثبتوا » أخـــرى .فالجميـــع « متواتر » و « صحيح » ، و « معلوم من الدين بالضرورة » .

بل وأبلغ غاية سعادتى وقمة نشوتى حين أستمع إلى مقرئى المفضل وهو يرتل أو يجود آيات الله البينات « بالسبعة » . . . بل « بالعشرة » .

فالقراءة « سنة متبعة » .

لكم أتوق لليوم الذى أستمع فيه لسورة يوسف بقراءة حمزة ، وسورة طه بقراءة أبى عمرو وسورة الأعراف بقراءة يعقوب وقصار السور برواية شعبة عن عاصم والأنبياء برواية قالون عن نافع .

إنه تراثنا العظيم فلماذا لا تعيدونه للحياة يا لجنة « إحياء التراث » ؟ بل ولماذا يصر القائمون على الإعلام المسموع والمرئى على تجهيل الجمهور عندما لا يصرحون باسم الراوى إلا إذا كان « حفص » ، فإذا كانـت التلاوة لغـيره سكتوا . أعن الحق تسكتون ؟أتريدون أن تجمعوا الناس على قراءة واحدة ؟ .

إن الله لم يرد ذلك ، ولو شاء لفعل . أتقفون ضد إرادته ؟ .

لقد وعد الله بحفظ القرآن ، وأنجز وعده بأن جعله قراءات متعددة ، ولو شاء لحفظه فى قراءة واحدة . فلم الاقتصار على الترويج لقراءة واحدة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الله اسمه « الحق » ، وهو « يقول الحق » ، و « يحق الحق » ، و « لا يستحى من الحق » ، و « يضرب الباطل بالحق » ٠٠٠٠ ولكن الناس أكثرهم للحق كارهون .

ومن الناس من يعبد الله على حرف ، ومنهم من يعبده بالوراثة ، ومنهم من يعرفه بقلبه ، ومنهم من يؤمن به « بعد تفكير طويل » .

والعقاد (رحمه الله) كان يؤمن بالله « وراثة » ، و « بقلبه » ، و « بعد تفكير طويل » .

وفئة قليلة من البشر تلك التى تحب أن تؤمن بالله « على بصيرة » ...

تتفقَّه فى كلامه سبحانه ، حتى إذا أدركت أنه الحق اطمأنت إليه قلوبها ، فأحبته ، حتى إذا ما ملك عليها مشاعرها انصاعت له جوارحها ، فأصبح خلقها « القرآن » ... ما ضرها أن تتعبد بتلاوة حروفه ، وإن كانت « الم » مما خفى معناه ... أولئك هم أولوا الألباب .

و « الم » لم تأت عبثا ، إنها آية من آيات القرآن ، فعلاقتها به علاقة الجزء بالكل . فمن آمن به « على بصيرة » آمن بها بالضرورة ، وإن لم يفهم معناها ، فذلك هو جوهر الإيمان بالغيب ، وعلى بصيرة .

و « القراءات القرآنية » هى الطرق المختلفة لنطق ألفاظ القرآن الموحى بها فى إطار رسم تلك الألفاظ كما وردت فى المصحف العثمانى الإمام المجمع عليه والخالى من النقط والشكل والضبط ، وبلهجات عربية متنوعة فصيحة ، قرأ بها النبي ﷺ بعض الألفاظ ، وأقر على صحة القراءة بها فى البعض الآخر الصحابة

من باب التيسير ، رخصة من عند الله بموجب حديث الأحرف السبعة المتواتر ، وورد بعضها متواترًا ، وورد بعضها صحيحًا مشهورًا مستفيضًا محفوفًا بالقرائن متلقى بالقبول من العامة والخاصة ، فحصل بالمتواتر العلم اليقينى وحصل بالمشهور الاطمئنان على صدقها وصحة مغيبها ، من غير تعيين ، فوجب الإيمان بها جميعًا على بصيرة – هى اليقين والاطمئنان – حتى صار ذلك بديهة من البديهيات يطلق عليها « المعلوم من الدين بالضرورة » ... يكفر من يجحدها .

وكما اقتضت حكمة الله أن يرد القرآن بالمحكم والمتشابه من أمثال(الم) ، فقد شاءت حكمته سبحانه أن ترد « القراءات » – وهى طريقة نطق ألفاظ القرآن – بالمحكم والمتشابه أيضًا . والمتشابه فى كليهما « القرآن القراءات » قطعى الثبوت وظنى الدلالة .

وإذا كان « المتشابه فى القرآن » قد شكل حافزًا أبديًّا وتحديًا للعقل المسلم لمحاولة الفهم والتفسير، فإن « المتشابه من القراءات » لم تقتصر على ذلك فقط ، بل شكلت هى الأخرى حافزًا لا ينصب معينه لتذوق اللغة العربية التى نزل بها القرآن .

ولقد وقف هذان الحافزان وراء تشكيل العقل العربى المسلم ثم تطويره ليبدع للإنسانية هذه الحضارة العظيمة .

ولو جاء القرآن محكمًا كله،لتوقف العقل المسلم عن التفكير، ولتحول من عقل متبع – على بصيرة – إلى عقل مقلد مردد أعمى . فأى حضارة تلك !! .

ولو جاءت القراءات قراءة واحدة محكمة ، لماتت اللغة العربية جمودًا . وللحق بها بعد حين التفكير العربى المسلم أيضًا ، ذلك أن الإنسان يفكر بلغته ، فالتفكير واللغة وجهان لعملة واحدة .

يقول تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[1] ... ينهانا بذلك عن تلقى القرآن بمجرد الحفظ والترديد . ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾[2] فى المصحف

---

(١) القيامة : ١٦ . (٢) القيامة : ١٧ .

العثمانى الإمام ، ﴿ وَقُرْآنَهُ ﴾ بالقراءات السبع المتواترة والعشر المشهورة على الصحيح بل الأصح ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [1] يأمرنا بالاتباع على حين ينهانا عن مجرد الحفظ والترديد ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [2] بالتفسير والفهم من ناحية العقل لمعنى ألفاظه ، وبالإعجاز البلاغى من ناحية الفن والتذوق لقراءاته . . . حكمة بالغة . . . وليذكّر أولوا الألباب .

إن مثل القراءات والقرآن الكريم كمثل التنويعات على لحن عبقرى خالد ، منها ما تلقى بالقبول ، فشاع وذاع ، وأقبل عليها أهل الأمصار . ومنها ما لم يحظ بالقبول ، فلقبه الناس « بالشاذ » ، وهجروه وانصرفوا عنه إلى غيره .

ولم يكن « الهوى » هو المقياس الذى شاع عند الناس لقبول قراءة والإعراض عن أخرى ، ولكن جاء مقياسهم « توليفة عبقرية » من الأركان والشروط عبرت بصدق عن « المنهج الإسلامى الخالص » فى استيعاب الواقع للمثال ، والتفاعل معه بانسجام وتناغم وتكامل ، كان جديراً بأن يعلن للإنسانية عن ميـــلاد حضـارة جـديدة ، جـــديرة بأن تغزو عـقول وقلوب بنى الإنسان ، أينما وسعه المكان ، أو امتد به الزمان .

واللحن الأساسى فى معزوفة القراءات كان رسم الكلمات فى المصحف العثمانى الإمام ، خاليًا من الضبط والنقط والإعجام .

أما التنويعات على هذا اللحن الأساسى ، فكانت القراءات ، فما وافق منها رسم المصحف ، كان قراءات قرآنية ، وإلا فهو شاذ . وما وافق العربية الفصيحة السائغة كان قراءات قرآنية ، وما أتى بلهجة هابطة فهو شاذ ، وما جاء منها برواية صحيحة ، فهو قراءة قرآنية ، وما لـــم يات بالرواية ، فهـــو ليـــس بقراءة ولا بقرآن . . . فجاءت عبقرية القرآن شاهداً على عبقرية القراءات والقرَّاء معًا .

* * *

---

(١) القيامة : ١٨ . (٢) القيامة : ١٩ .

الباب الأول

تاريخ القراءات

الفصل الأول

القرآن والقراءات

- القرآن والقراءات ... تعريفات ومفاهيم ونصوص .
- القرآن والقراءات ... حقيقتان متغايرتان أم متحدتان ؟ .
- آراء علماء القراءات القدماء والمحدثين .
- مثال لاختلاف القرّاء فى سورة الفاتحة .
- الأحاديث التى وردت فى قراءتى (مالك / ملك) يوم الدين .

● **جدل حول إشكالية العلاقة بين القرآن والقراءات :**

يقرر العلاَّمة البناء (ت ١١١٧ هـ) فى كتابه الشهير « إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر » أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان . فيذكر فى المقدمه ما نصه : (**والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان**) .

فالقرآن : هو الوحى المنزل للإعجاز والبيان .

والقراءات : اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف وتشديد وغيرهما » . أ . هـ .

وينبه الدكتور شعبان إسماعيل (١) أن البناء قد نقل هذا النص عن الإمام الزركشى ، صاحب « البرهان فى علوم القرآن » (٢) . ثم يعرض لرأى مخالف طرحه أحد علماء القراءات المعاصرين (٣) الذى يرى أن كلاً من القرآن والقراءات **حقيقتان بمعنى واحد** . وأنه استند فى ذلك إلى أن تعريف القرآن مصدر مرادف للقراءة ، والقراءات جمع قراءة ، فهما عنده بمعنى واحد . وهو يعتد فى هذا على التعريف اللغوى لا الاصطلاحى . كما أنه (د . محيسن) استند إلى بعض الأحاديث التى **يأمر الله فيها** رسوله ﷺ بأن يقرىء أمته القرآن على سبعة أحرف .

وأنه خلص من رأيه هذا بقوله : « وكلها تدل دلالة واضحة على أنه **لا فرق بين كل من القرآن والقراءات** ، إذ كل منهما الوحى المنزل على النبى ﷺ » .

ويعقب د . شعبان إسماعيل على رأى د . محيسن بأنه رأى **مردود وغير**

---

(١) القراءات ، أحكامها ومصدرها ، د . شعبان إسماعيل ، ط . دار السلام ، ١٩٨٦ م ص ٢٠ .

(٢) ج ١ ص ٣١٨ ، الحلبى ، ١٣٧٦ هـ .

(٣) فى رحاب القرآن الكريم ، د . محمد محيسن ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ ، ط . القاهرة .

مقبول ، لم يقل به أحد من العلماء السابقين ، فلا يمكن أن يقال : إن القرآن والقراءات **حقيقتان متحدتان** ، للأسباب التالية :

أولاً : لأن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله ، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط ، فكيف يقال إنهما حقيقتان متحدتان (لا فرق بينهما) .

ثانيا : التعريف المتقدم للقراءات يشمل القراءات المتواترة التي يصح أن يقرأ بها القرآن ، كما يشمل القراءات الشاذة ، والتي أجمع العلماء على أنه لا يصح قراءة القرآن بها ، لأنها لـم تستجمع أركان القرآن الصحيحة ، وهي التواتر ، وموافقة الرسم العثماني ، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية .

فالقراءة التي تفقد أهم الأركان ، وهو التواتر لا يصح أن نطلق عليها اسم القرآن ، ولا تصح قراءته بها ، مع أن من تعريف القرآن : (إنه المنقول إلينا بالتواتر) فكيف يسوغ القول بأن القرآن والقراءات شيء واحد ، مع عدم انطباق ذلك على القراءات غير الصحيحة .

وبعد أن أنهى د . شعبان نقده لرأي د . محيسن ، وأورد أدلته كما سبق أن أورد أدلة د . محيسن ، انتهى إلى عرض رأيـه في تلـك الإشكالية فقال : « فالواقع إنهما (القرآن والقراءات) لـيسا متغايرين تغايراً تامًّا ، كما أنهما ليسا متحدين اتحاداً حقيقيًّا ، بل بينهما ارتباط وثيق ، ارتباط الجزء بالكل والله أعلم .

ونعود إلى الإمام الزركشي لنوضح على لسانه مفهومه لطبيعة « التغاير » بين حقيقتي القرآن والقراءات حيث قال : ولست في هذا (القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان) أنكر تداخل القرآن بالقراءات ، إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقًا ، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجوداً بينهما ، بمعنى أن كلاً منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئًا واحداً ، فما القرآن إلا التركيب واللفظ ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه والفرق بين هذا وذاك واضح وبين » أ . هـ .

* * *

إلى هنا انتهى جدل بين عالمين جليلين من علماء القراءات بعد مرور نحو ألف وخمسمائة عام من نزول الوحى . ومعنى هذا أن القضية لم تحسم بعد . وأعتقد أنها لن تحسم حتى قيام الساعة ذلك أنها - فى حقيقتها - تناقش العلاقة بين « المثال والواقع » بين الوحى الإلهى السماوى الغيبى وبين تناقل هذا الوحى بلغة بشرية أرضية واقعية . لقد اتفق الجميع على أن القرآن هو « المثال » ، إلا أن أذهانهم توقفت عن التسليم بطبيعة القراءات هل هى « مثال » أو « واقع » ؟ . . وهنا مكمن « **المعضلة** » .

فمن قال إن كليهما « مثال » فقد تجاهل « القراءات الشاذة » وما أكثرها ، وهى حقيقة واقعة تشهد كدليل مادى ملموس على أن « **بعض القراءات (الشاذة) ليست قرآنا** » .

كما أن من يتجاوز فيقول إن القراءات واقع (ثقافى مثلاً) فإنه بذلك ينفى عن « القراءات المتواترة والصحيحة » - التى هى فى حقيقتها تشكل جزءاً لا يستهان به من القرآن - ينفى عنها صفة كونها « مثال » أو وحى إلهى .

فما بالك بمن يتعدى بهذا الوصف منطقة « القراءات » حتى يصل إلى أن يصف « القرآن » نفسه بأنه « منتج ثقافى » !!!

أنظر إلى أحد كتابنا المعاصرين [١] وهو يقول :

« إن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى . والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً .

وإذ كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها ؛ فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر - من ثم - إمكانية الفهم العلمى لظاهرة النص » .

ويستطرد د . نصر أبو زيد فيقول - فى محاولته للتوفيق بين المثال

---

(١) مفهوم النص ، دراسة فى علوم القرآن ، د . نصر حامد أبو زيد ، الهيئة العامة للكتاب ص ٢٧ .

والواقع : « إن ألوهية مصدر النص لا تنفى واقعية محتواه ولا تنفى من ثم انتماءه إلى ثقافة البشر »[1] .

وفى معرض مناقشة فرض تكرر النزول ، يجد د . نصر أبو زيد الفرصة سانحة لكى يعرض بصورة أوضح وجهة نظره فى طبيعة علاقة النص (الإلهى) بالواقع (البشرى) ، فيقرر أنها كانت علاقة (يمكن أن تؤكد استجابة الوحى للواقع)[2] . ويحدد هذا الواقع بأنه واقع التعدد اللغوى فى الجزيرة العربية ، لتعدد لهجات القبائل المختلفة .

فيقول : « لقد كانت الأحرف السبعة فى حقيقتها نوعًا من التسهيل على المسلمين فى قراءة النص مراعاة لواقع التعدد اللغوى فى الجزيرة العربية لتعدد لهجات القبائل المختلفة » .

مما سبق - وهو قليل جدًّا من كثير جدًّا - نلمح تحيز د . نصر الواضح لتبنى الواقع على حساب المثال فى تلك الجدلية الخطيرة بخصوص طبيعة القرآن . فهو وإن لم ينكر صراحة كونه وحيًا إلهيًّا ، إلا أنه يحاول بشدة وبلا ملل أن يغير نظرتنا إليه ومفهومنا عنه ، وذلك بالدعوة - وبإلحاح شديد - للتخفيف من نظرتنا إليه بصفته « نصًّا مقدسًا » مفارقًا للواقع ، محفوظًا فى اللوح المحفوظ ، يتعبد بمجرد تلاوته . وفى سبيله لبلوغ تلك الغاية - وهى تغليب المضمون على الشكل والتناول الواقعى لا المثالى للقرآن - فإن د . أبو زيد يصف قول ابن عباس بنزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر بأنه (**« تصور أسطورى » يستحق أن يدرس فى مجال المعتقدات الشعبية**)[3] (كذا)!!

ثم يقرر : « **والحقيقة أنه لم يكن ثمة نزول مجمل للنص من مكان إلى آخر وراء عالم الأرض ، عالم الواقع والجزئيات** .... »[4] (كذا) !! .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٧ .
(٢) المرجع السابق : ص ١٠١ .
(٣) المرجع السابق : هامش ص ١١٤ .
(٤) المرجع السابق : ص ١١٥ .

ولا أدرى كيف كتب تلك العبارة ... أطلع الغيب ، أم اتخذ عند الرحمن عهدا ؟! ...

وأرى أن د . أبو زيد لا يفتقر إلى موضوعية الهدف ، بقدر ما يفتقر إلى لباقة الوسيلة . يبدو أنه موقن بأن هناك تعارضًا بين المثال والواقع ، لذا فمن منطلق تحيزه للواقع نراه يحاول هدم المثال . فالقضية فى نظره أحسبها قضية صراع لا تكامل . من هنا حكم على دعوته بالفشل . فنظرته الأحادية الاتجاه للأمور تدفعه دفعًا لنفى الآخر « المثالى » حتى يجد لفكره « الواقعى » مكانا . أنظر إلى عبارته : « إن الإيمان بوجود ميتافيزيقى للنـص يعـود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية (النص منتج ثقافى) » . إن هذه الرؤية المتطرفة محكوم عليها بالموت ، وبخاصة إذا كانت منحازة ضد « المثال » . سيخنقها « الواقع المثالى » !! ...

* * *

أعود للتعقيب على رأى د . محيسن ، و د . شعبان فى طبيعة العلاقة بين القرآن والقراءات ، فأذكر القارىء بأن الأول قال إنهما حقيقتان بمعنى واحد ، وأنه لا فرق بين القرآن والقراءات ، إذ كل منهما **الوحى** المنزل على النبى ﷺ . وعارضه د . شعبان بأن بينهما ارتباط وثيق ، **ارتباط الجزء بالكل .... وأرى أن الخلاف بينهما وهمـى** . ذلك أنه إذا أضفنا إلى لفظ القراءات صفة التواتر لاتفق الرأيان على حقيقتهما الواحدة وهى أنهما « وحى منزل » ، أى « كلام إلهى » . ويبقى خلاف غير مؤثر وهو خلاف فى الكم يمكن التعبير عنه بصورة منطقية كما يلى : « كل القراءات المتواترة قرآن ، وبعض القرآن قراءات متواترة » ... وهذا ما عبر عنه د . شعبان بقوله « جزء من كل » .

أما الزركشى فقد جاءت عباراته غامضة تمامًا ، وكأنه كان يدرك ذلك جيداً حين ألمح قائلاً : « فما القرآن إلا التركيب واللفـظ ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه ! .

والفرق بين هذا وذاك واضح بيِّن !! ... » أ . هـ كلامه ...

ولا أدرى أى وضوح يعنى ، وإن كنت ألتمس له ألف ألف عذر . . . فالقضية وبحق « معضلة » .

* * *

وما دمنا بصدد طرح الجدل القائم حول قضية طبيعة القراءات وحقيقتها ، فلا يفوتنا أن نطرح رؤية الدكتور عبد الصبور شاهين التى التقت آراؤه – على حد قوله – بآراء العالم الدكتور إبراهيم أنيس .

يقول د . عبد الصبور [1] : « . . . وحين هاجر النبى وصحابته إلى المدينة تغيرت الحال ، فمن حيث الكم زاد عدد المؤمنين بالدعوة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا ، وأتيح للدعوة فى المركز الجديد أن تراسل الأقوام والقبائل فى شتى أنحاء الجزيرة العربية وخارجها ، وجاءت الوفود تترى ، ممثلة لمختلف الألسنة واللهجات ، وكان المجتمع المدنى ذاته خليطا من العرب واليهود ، ومن هؤلاء وأولئك مسلمون ، وإن كانوا من اليهود قليلا .

يضاف إلى ذلك أن العهد الجديد يحتاج إلى إمكانيات واسعة فى تبليغ الدعوة ، ونشر القرآن ، نصها المنزل ، ليكون دستوراً للحياة الإسلامية فى الدولة الجديدة ، كذلك كانت أعمار المؤمنين تتفاوت وأكثرهم من الكبار الذين فاتهم عهد التعلم والحفظ ، فأصبح من العسير أن يداوموا على استظهار القرآن .

والنبى فوق ذلك كله مشغول بمسئوليات هائلة فى التوجيه والتنظيم ، والحكم ، والحرب ، والسلام ، والدعوة ، وتقرير النظم والعقائد والفتوى ، وتلقى الوحى ، وإملائه ، ومراسلة الملوك والشعوب .

كل هذه الظروف جدت فى المجتمع ، وأحاطت بالنبى وصحابته ، وفى مثل هذا الزحام من الناس ، ومن المشكلات ، **لا تعرف الحياة الأناة ، بل من استطاع أن يظفر بقطعة أو قطعتين من فم النبى فقد واتاه خير كثير** ، وليقرأ

---

(١) تاريخ القرآن ، د . عبد الصبور شاهين ، ص ٤٠ ط . معهد الدراسات الإسلامية سنة ١٩٩١ .

بقدر ما تسـعفه ذاكرته ، ولهجته ، وزكانته ، فى حدود ما علمه الرسول عليه السلام » . أ هـ .

وبعد هذا التمهيد الواقعى المنطقى ، يطرح د . عبد الصبور شاهين القضية فى شكل « تساؤل » ، هو مربط الفرس ، أو قل جوهر المشكلة ، أو قل بيت القصيد ، فيقول [1] .

« بقى لدينا شيىء مهم فى الموضوع ، يتلخص فى أننا لاحظنا أن المختلفين (فى القراءات) ممن ذكرت الأحاديث (الأحرف السبعة) أخبارهم كانوا يعزون حروفهم المختلفة إلى إقراء الرسول إياهم . وأيد الرسول دائمًا هذه الحقيقة **بإقراره كلاً منهم على قراءته .**

فهل كان كل وجه من الوجوه المختلفة صادراً من رسول الله ﷺ . . . ؟

وبعد أن ألقى هذا التساؤل القنبلة ، سارع من فوره – وله العذر – بالابتعاد قليلاً عن منطقة الخطر ، وإن لم ينسحب تمامًا من أرض المعركة . فجاء جوابه على تساؤله الذى أعتقد أنه « تفكير بصوت عال » ، فقال :

« **ليس من حقنا ،ولا فى مقدورنا أن نعطى عن ذلك إجابة محددة ،** ولكن الذى يعين سياق الأحاديث (الأحرف السبعة) على القول به :

أن بعضها (القراءات) كان إقراءً منه ﷺ .

وبعضها كان إقرارًا لمن أقرأه ، أو استمع إلى قراءته ، ولم يستطع أن يأتى بحروف النبى على وجه الدقة ، لاختلاف اللهجة ، وتفاوت القدرة » .

وبعد أن أورد د . شاهين رأيه (احتمالاً) ، و الذى يقضى والله أعلم بأن القراءات ليست جميعها قد نطقها الرسول ﷺ ،واحتمال أن دوره ﷺ اقتصر أحيانا على إقرارها أو الموافقة عليها أو تصويبها أو إجازتها أو تحسينها لمن عرضها عليه بعبارات وردت فى حديث الأحرف السبعة (المتواتر) من مثل :

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٢ .

أحسنت ، أصبت ، هكذا أنزلت . . . وغـــيرها . إلا أنه يجـــدر التنـــبيه أن د . عبد الصبور لم يشر من قريب أو من بعيد إلى أن ما يعنيه كان ينصب على « القراءات المتواترة » ، وعلى العكس ، كان يعنى بها « القراءات الشاذة » ، وإن لم يذكر ذلك صراحة ، وليس هذا دفاعًا عنه ، بل يؤكده استطراده لمقالته السابقة قائلاً :

« . . . غير أن الأمر لم يقتصر على ذلك ، وإلا كانت نتيجته هينة ، فإن من الحروف (اختلاف القراءات) ما كان منشؤه « الرخصة العامة » ، لا سيما ما كان بزيادة أو نقص أو إحلال كلمة فى موضع أخرى بمعناها ، إذ أن الأمر لا يعدو أحد احتمالين :

■ إما أن النبى أقر الناس بلفظين أو مجموعة ألفاظ مختلفة مثل : (هلم – تعال – وأقبل) ، . . . أو لا .

والاحتمال الأول : يترتـــب عليه القول بقضية خطيرة أطلق عليها المستشرقون : « **نظرية القراءة بالمعنى** » ، ولها آثار بعيدة المدى فى قيمة النص القرآنى . . .

والاحتمال الثانى يأتى :

– إما بسبب **النسيان** .

– أو **الرغبة فى الاستمتاع بالرخصة . . . مع التذكر . وكلا الأمرين جائز** . . . ما دام باب التيسير مفتوحًا . . . **بل ما دامت أبواب التيسير السبعة مفتوحة على مصاريعها** » . أ . هـ .

■ **تعقيب :**

إن خير تعقيب على تلك الرؤيا وهـــذا التصـــور هـــو مـــا جـــاء بـــه د . عبد الصبور شاهين بنفسه حين قال تحـــت عنـــوان « نظرة أخيرة فى الأحرف السبعة » [1] :

(١) المرجع السابق : ص ٤٣ .

« . . . ثم هى (الأحرف السبعة) مشكلة أمام الفكر الحديث الذى يقف أمام هذا كله محاولاً حلها ، أو على الأقل : التوصل فى أمرها إلى **تفسير مقنع مريح** .

ولعل هذا التعقيد هو الذى جعل كثيراً من المؤلفين فى تاريخ القرآن **يكتفون بترديد بعض الآراء المنقولة التى تزيد فى حيرة من يتأملها** ، وربما كان لهم عذرهم ، لأن مناقشتها لا تزيد قضايا تاريخ القرآن إلا تعقيداً ، إذ يتعين على من يتصدى لذلك أن يراجع أقوال العلماء ، وما أكثرها ، وأن ينظر فى مبنى ترجيحهم ، الذى يصل أحياناً إلى حد التضارب ، ولكل منهم حجته فى رفض آراء الآخرين ، وفى إيثار رأيه على آرائهم » أ هـ .

* * *

وهكذا سلط لنا د . عبد الصبور الأضواء على إحدى جوانب العلاقة بين القرآن والقراءات ، بما يرجح القول بأنهما حقيقتان متغايرتان فى ضوء حديث الأحرف السبعة ، المتواتر والمشكل فى ذات الوقت . . . وأوضح لنا أن القراءات (بما فيها الشاذة) كان مصرحًا بها فى حياة النبى ﷺ . . . وأنها بذلك كانت قرآنا - بإقرار من الرسول - إبان حياته ،وأنها لم تكن جميعها بالضرورة إقراءً منه تمامًا كما نطقها ، وأن ذلك كان مضمون رخصة التيسير على الناس بموجب حديث الأحرف السبعة ، أوعلى أقل تقدير أن هذا كان مفهوم بعض الصحابة للرخصة .

كما أشار أيضا إلى أن مفهوم « الرخصة للتيسير » قد تجاوز به البعض ، من حد الضرورة (واقع اختلاف اللهجات وكبر السن وغيره) إلى حد الاستمتاع بالرخصة مع القدرة . أى تعمد النطق بلهجة مخالفة لما سمعه من النبى أو من أحد الصحابة إلى النطق بلهجته المفضلة مع أنه قادر على الأداء بما تعلم . وأشار إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد أقر ذلك فى حياته تحت ضغوط الواقع المتعددة الذى ذكر د . عبد الصبور أمثلة لها ، وبتأييد من السماء ، استجابة لنداء الرسول .

■ ويقودنا ذلك الرأى المستمد من السنة الشريفة فى أعلى مراتب إسنادها (التواتر) إلى طرح بعض التصورات الاجتهادية ، أو المحاولات التفسيرية بهدف الاقتراب من الحقيقة التى أضحت غيبا لا يعلمه إلا الله .

وليكن التصور الافتراضى كما يلى :

إن الحكمة الإلهية شاءت أن تكون العلاقة بين « المثال » - متمثلاً فى الوحى الإلهى - و « الواقع » متمثلاً فى تعدد اللهجات ومحدودية القدرات البشرية فى النطق والتذكر من جهة ،واختلاف الناس فى التذوق والميول من جهة أخرى ، شاءت الحكمة الإلهية أن تكون العلاقة بينهما علاقة « تكامل » ، و « مشاركة » ، لا أن تكون علاقة « فرض وإملاء وإلزام وإجبار » ، فتركت للناس « مساحة محدودة للمشاركة » ، تضمن على مر الأيام ولاءهم ، وتعمق على اتساع الرقعة انتماءهم ، فيعتز التميمى بالقرآن إذ ينطقه ببعض لهجته اعتزاز القرشى والهذلى والأسدى وغيرهم . فالقرآن ينطق بلغاتهم جميعًا ، لذا فهو ملكهم جميعًا ، ليس حكرًا على طائفة منهم دون الأخرى ، تستأثر بهذا الشرف وتحتكره لنفسها ، ثم تتعالى به على غيرها .

ولا أدل على ذلك من الصحابى الجليل ، وأحد أئمة القراءة الأولين ، رائد مدرسة الكوفة للقراءات ، عبد الله بن مسعود ، إذ كان يقرأ على عهد النبى « عتى حين » بدلاً من « حتى حين » .

وكان النبى يستمع إليه ، ويقول له : أحسنت .

والأمثلة غير ذلك بالآلاف ، سيرد ذكرها لاحقا إن شاء الله .

وملخص التصور : أن تلك كانت مشيئة الله وإرادته ، ونهج رسوله الكريم ، مبلغ الرسالة وحامل الأمانة ، **أن يحفظ القرآن على هذه الصورة .**

فإذا صدق هذا التصور ، فإن كفة الإقرار ترجح كفة الإقراء ، وإن لم تنفيها [1] .

---

(١) وإلى هذا ذهب الأشاعرة (السنيين) ، وألمح د . عبد الصبور شاهين فى تاريخ القرآن ، ود . محمد عمارة فى كتابه (تيارات الفكر الإسلامى) ص ٢٨٠ ط . دار الهلال ، ومكى فى الإبانة : ص ٨١ ، ٦٣ .

■ مفهوم القراءات عند الداني وابن الجزري :

عندما اتخذ عثمان (رضى الله عنه) قراره بكتابة المصحف العثمانى ، فقد أخذ فى الاعتبار مراعاة المقاصد الإلهية ، والسير على الهدى النبوى ، فأمر القائمين على النسخ بأن يكتب المصحف خاليًا من النقط (الشكل) والإعجام (النقط) ، وذلك حتى يستوعب – قدر الإمكان – ما كان مرخصاً به من القراءات على عهد الرسول ﷺ ولو شاء لأحكمه على قراءة واحدة . وقد أيده فى ذلك إجماع الصحابة .

يقول أبو عمرو الدانى : « وإنما خلى الصدر (الصحابة) منهم المصاحف من ذلك (الإعجام بمعنى النقط) ومن الشكل ، من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة فى اللغات ، والفسحة فى القراءات **التى أذن الله تعالى لعباده فى الأخذ بها ، والقراءة بما شاءت منها** »[1] .

ثم يأتى ابن الجزرى – معشر العشرة المتواترة – وإن لم ينكر هذه الحقيقة ، إلا أنه يحملها فوق ما تطيق ، فيقول فى هذا الصدد :

« ثم إن الصحابة – رضى الله عنهم – لما كتبوا تلك المصاحف (يقصد مصاحف عثمان) جردوها من النقط والشكل ، ليحتمله ما لم يكن فى العرضة الأخيرة مما صح عن النبى ﷺ . وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل ، **لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين** »[2] .

والفرق واضح بين اتجاهى الإمامين الجليلين ، فالدانى يبدو أنه يميل إلى النظر للقراءات باعتبارها :

إذنا من الله تعالى لعباده فى استعمال رخصة التيسير بالنطق بلغاتهم ولهجاتهم لألفاظ الوحى المنزل ، ثم إقرار النبى ﷺ لهم بذلك ، فى حدود تم التعارف عليها على عهده .

---

(١) انظر تاريخ القرآن : ص ٨٩ .

(٢) النشر فى القراءات العشر : ابن الجزرى ، ج ١ ص ٣٣ .

أما ابن الجزرى ، فهو ينظر إلى القراءات من منظور معاكس تمامًا ، ذلك أنه يعتبرها (منقولة) عن النبى ﷺ ، (مسموعة) من فمه ﷺ ، وهو بذلك يميل إلى أن جميع القراءات كانت إقراءً من النبى وليست إقرارًا منه !! .

ولا أدرى ، إذا كان الأمر كذلك قد جرى به الواقع ، فأين يذهب إذن معنى « الرخصة » ، و « التيسير » ، و « التوسعة » ؟

إذا سلمنا بمفهوم ابن الجزرى هذا ، لكانت القراءات المتعددة تعسيرًا وليس تيسيرًا !

أى المهمتين أســـهل ، نقل وحفظ القرآن بقراءة واحدة أم بعشرات القراءات ؟! .

وهل يعقل أن يطلب من أى عقل بشرى أن يؤمن – بالضرورة – بأن النبى ﷺ قد قرأ بنفسه كل هذا الخضم الهائل من القراءات ، وفضلاً عن ذلك فالمؤمنين مكلفين بحفظها جميعها – بما فيها (عتى حين) وما شابه – وأن يقر ويعترف بأن هذا كان على سبيل التيسير والرخصة والتوسعة ؟ .

إن التناقض الواضح فى خطاب الإمام العلاَّمة ابن الجزرى لم يأت من فراغ . إن قضيته الرئيسية التى وهب لها حياته كانت فى إضفاء الشرعية الدينية على القراءات الثلاث المكملة للقراءات السبع التى جمع الناس عليها ابن مجاهد ، حتى تصبح عدد القراءات الشرعية المعترف بها عشرة بدلاً من سبعة .

ولأن هدفه كانت منصبًّا على محاولة « إضفاء الشرعية » على القراءات الثلاث ، فقد اضطر – لا شعوريًّا – إلى الارتفاع بمستوى مصداقية القراءات إلى أعلى مستوى يمكنه الوصول إليه . والتمس إلى تحقيق ذلك كل السبل ، وفى جميع الاتجاهات . وكان أخطر ما فيها اتباع سياسة « التعتيم » على كل ما لا يخدم هذا الهدف . بل وتعدى ذك إلى الترويج لسياسة « تكميم الأفواه » لكل من تحدثه نفسه من علماء عصره بقول يخالف قوله . وسيلى ذكر الأدلة فى حينه ، وبنص كلامه .

وأعتقد أننا نعيش الآن المناخ الذى صنعه « ابن الجزرى » ، نتنفس آراءه ، ونفكر بعقله ، وندور فى فلكه ، ونردد أقواله ، وإن ناقض بعضها بعضاً .

وتلخص العبارة التالية مفهوم القراءات عند ابن الجــزرى ، والذى يقرر أن « القراءات نزلت من عند الله » ، فيقول [١] :

« **وكل ما صح عن النبى ﷺ** من ذلك (قراءات مختلفة) فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده **ولزم الإيمان به وأنه كله منزل من عند الله** ، **إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية** » أ . هـ .

والعبارة توضح مفهوم « القراءات » عند ابن الجزرى ، فهى :

* عن النبى . . . (أى أنه أقرأها) .
* منزلة من عند الله . . . (أى أنها وحى يوحى) .
* مثلها مثل الآيات . . . (أى أنها قرآن) .

والخلاصــة : أن ابن الجــزرى يــرى أن « القرآن والقراءات الصحيحة » « حقيقتان متحدتان » ، وإن لم يقل ذلك صراحة ، فرفع القراءات إلى مرتبة القرآن .

وقد تابعه فى ذلك من علماء القراءات المعاصرين الدكتور سالم محيسن بطريقة مباشرة ، والدكتور شعبان إسماعيل وإن أظهر خلاف ذلك ، وكما سبق بيانه .

وفى الطرف الآخر يأتى الإمام برهان الدين الزركشى فيقرر إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان . تابعه على ذلك القول الإمام البناء صاحب الإتحاف . ومن المعاصرين . د . نصر أبو زيد بتشدد ، ود . عبد الصبور شاهين بفطنة وكياسة ومنطق عقلانى .

والأسماء جميعها وردت على سبيل المثال لا الحصر ، لتؤكد أن معضلة

---

(١) النشر : ج ١ ص ٥١ .

القراءات لم تغلق ملفاتها بعد ، ذلك أنها بحكم طبيعتها تقع فى منطقة ما بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، بين المثال والواقع .

* * *

وقبل أن نسترسل فى طرح الرأى والرأى الآخر ، فلنطرح مثالاً لاختلاف القراءات فى سورة الفاتحة ، علنا نلمس حجم القضية التى نتناولها وطبيعتها عن قرب ، وأنها ليست ببساطة مالك أو ملك يوم الدين ... بل أكبر من ذلك بكثير .

**** مثال لاختلاف القرّاء فى سورة الفاتحة مما هو جزء من الأحرف السبعة [١] .**

● أولاً : ذكر اختلاف القرّاء السبعة المشهورين فى سورة الحمد (الفاتحة) ، مما قرأت به ، ويوافق الخط (المصحف العثمانى) :

* قرأ عاصم والكسائى : (مالكِ يوم الدين) بألف .

وقرأ باقى القرّاء : (مَلِكِ) بغير ألف .

* وقرأ ابن كثير فى رواية قنبل عنه : (السراط) و (سراط) بالسين .

وقرأ حمزه فى رواية خلف عنه : (الصراط) بين الصاد والزاى .

وقرأ ذلك باقى القرّاء بالصاد خالصة .

* قرأ حمزة : (عَلَيْهُم) بضم الهاء .

وكسرها باقى القرّاء .

* قرأ ابن كثير والحلوانى عن قالون عن نافع : (عليهمُ) بضم الميم ، ويصلانها بواو فى الوصل خاصة (عليهمُو) .

وأسكنها باقى القرّاء .

---

(١) الإبانة ، لمكى بن أبى طالب ، تحقيق د . عبد الفتاح شلبى ، دار نهضة مصر ص ١١٥ وما بعدها .

* قرأ أبو عمرو : (الرحيم مّلك) بالإدغام .

وباقى القرّاء بالإظهار .

* * *

• ثانيا : ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد مما يوافق المصحف ، ويقرأ به :

* قرأ إبراهيم بن أبى عبلة : (الحمدُ لُلّه) بضم اللام الأول .

* وقرأ الحسن البصرى : (الحمدِ لله) بكسر الدال .

* قرأ أبو صالح : (مالكَ يوم الدين) بألف ، والنصب على النداء .

وكذلك قرأ محمد بن السميفع اليمانى . وهى قراءة حسنة .

* وقرأ شريح بن يزيد الحضرمى أبو حيوه : (ملكَ يوم الدين) بالنصب على النداء من غير ألف .

* وقرأ على بن أبى طالب : (مَلَكَ يومَ الدين) بنصب اللام والكاف ونصب يوم . جعله فعلاً ماضياً .

* روى عبد الوارث عن أبى عمرو أنه قرأ : (مَلْكِ يوم الدين) بإسكان اللام والخفض ، ولم أقرأ بذلك له ، وهى قراءة منسوبة إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

* قرأ عمر بن فايد الأسوارى : (إياك نعبد وإياك نستعين) بتخفيف الياء فيهما . وقد كره ذلك بعض المتأخرين لموافقة لفظه لفظ إيَا الشمس ، وهو ضياؤها !! .

* وقرأ يحيى بن وثاب : (نِستعين) . بكسر النون ، وهى لغه مشهورة حسنة .

* وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير أنه قرأ : (غيرَ المغضوب) بالنصب ، ونصبه حسنٌ على الحال ، أو على الاستثناء ، أو على الصفة من الذين أنعمت عليهم .

* قرأ أيوب السختيانى : (ولا الضألين) ، بهمزة مفتوحة فى موضع الألف . . . وهو قليل فى كلام العرب .

وهذا كله موافق لخط المصحف ، والقراءة به من رواة عن الثقات جائزة ، لصحة وجهه فى العربية ، وموافقته الخط (المصحف) إذا صح نقله .اهـ .

** هذا وقد أورد ابن الجزرى مجموعة أخرى من القراءات ، حكمها حكم ما ذكر – ذكرها الإمام الصالح الولى أبو الفضل الرازى فى كتاب اللوامح له ، وذكرها ابن الجزرى فى كتابه النشر ص ٤٧ – ٤٩ . قال :

* (الحمدَ لله) بنصب الدال عن زيد بن على الحسين بن على (رضي الله عنه) .

وعن رؤبه بن العجاج وعن هارون بن موسى العتكى . ووجها النصب على المصدر وترك فعله للشهرة .

* وعن الحسن أيضًا (الحمدَ َلله) بفتح اللام اتباعًا لنصب الدال ، وهى لغة بعض قيس .

* وإمالة الألف من (الله) لقتيبه عن الكسائى ، ووجهها الكسرة .

* وعن أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى : (رب العالمين) بالرفع والنصب – وحكاه عن العرب ، ووجهه أن النعوت إذا تتابعت وكثرت جازت المخالفة بينها ، فينصب بعضها بإضمار فعل ويرفع بعضها بإضمار المبتدأ ولا يجوز أن ترجع إلى الجر بعدما انصرفت عنه إلى الرفع أو النصب .

* وعن الكسائى فى رواية سورة بن المبارك وقتيبة : (مالك يوم الدين) بالإمالة .

* وعن عاصم الجحدرى : (مالكٌ) بالرفع والألف منونًا .

ونصب (يومَ الدين) بإضمار المبتدأ وإعمال مالك فى يوم .

* وعن عون بن أبى شداد العقيلى : (مالكُ) ، بالألف والرفع مع الإضافة ، ورفعه بإضمار المبتدأ . وهى أيضًا عن أبى هريرة وأبى حيوه وعمر بن عبد العزيز .

* وعن على بن أبى طالب :(ملأَّكِ يوم الدين) بتشديد اللام مع الخفض .
وليس ذلك بمخالف للرسم ، بل يحتمله تقديراً ،كما تحتمله قراءة (مالك)
وعلى ذلك قراءة حمزة والكسائى (علاَّم الغيب) .

** وعن اليمانى أيضًا : (مليك يوم الدين) بالياء ، **وهى موافقة للرسم أيضًا كتقدير الموافقة فى جبريل وميكائيل بالياء والهمزة** . وكقراءة أبى عمرو (وأكون من الصالحين) بالواو .

* وعن الفضل بن محمد الرقاشى : (أياك نعبد وأياك نستعين) بفتح الهمزة فيهما . وهى لغة . ورواها سفيان الثورى عن على أيضًا .

* وعن أبى عمرو فى رواية عبد الله بن داود الخريبى إمالة الألف منهما (إياك نعبد وإياك نستعين) . ووجه ذلك الكسرة من قبل .

* وعن بعض أهل مكة : (نعبدْ) بإسكان الدال ، ووجهها التخفيف كقراءة أبى عمرو (يأمرْكم) بالإسكان . وقيل إنها عندهم رأس آية فنوى الوقف للسنة وحمل الوصل على الوقف .

*** وروى الأصمعى عن أبى عمرو : (الزراط) بالزاى الخالصة . وجاء أيضًا عن حمزة . ووجه ذلك أن حروف الصفير يبدل بعضها من بعض . **وهى موافقة للرسم كموافقة قراءة السين** .

* وعن عمر رضى الله عنه : (غيرُ المغضوب) بالرفع . أى هم غير المغضوب ، أو أولئك .

* وعن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج ، ومسلم بن جندب ، وعيسى بن عمر الثقفى البصرى ، وعبد الله بن يزيد القصير : (عليهُمو) بضم الهاء ووصل الميم بالواو .

* وعن الحسن وعمرو بن فائد : (هليهِمى) ، بكسر الهاء ووصل الميم بالياء .

* وعن ابن هرمز أيضًا : (عليهُمُ) بضم الهاء والميم من غير صلة .

* وعنه أيضًا : (عليهِمُ) بكسر الهاء وضم الميم من غير صلة .

فهذه أربعة وجوه ، وفى المشهور ثلاثة ، فتصير سبعة وكلها لغات .

** وذكر أبو الحسن الأخفش فيها (عليهم) ثلاث لغات أخرى ، لوقرىء بها لجاز وهى :

* (عليهُمِى) ، بضم الهاء وكسر الميم مع الصلة .

* و (عليهُمِ) ، بضم الهاء وكسر الميم بغير صلة .

* و (عليهِمِ) ، بالكسر فيهما من غير صلة .

ولم يختلف عن أحد منهم فى الإسكان وقفًا .

قلت (ابن الجزرى) :

وبقى منها روايات أخرى رويناها ، منها :

* إمالة (العالمين والرحمن) ، بخلاف لقتيبة عن الكسائى .

* إشباع الكسرة من (ملكى يوم الدين) قبل الياء حتى تصير ياء .

* إشباع الضمة من (نعبدو وإياك) حتى تصير واوًا ، رواية كردم عن نافع ورواها أيضًا الأهوازى عن ورش ولها وجه .

* (يُعبَدُ) : بالياء وضمها وفتح الباء على البناء للمفعول ، قراءة الحسن (البصرى) وهى مشكلة وتوجه على الاستعارة والالتفات .

* * *

• ثالثا : ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد ، مما يخالف خط المصحف ، فلا يقرأ به اليوم .

** قرأ أبو هريرة : (مليكِ يوم الدين) بياء بين اللام والكاف ، وهو معنى حسن ، لأنه بناء للمبالغة ، **فهو أبلغ فى الوصف والمدح من ملكِ ، ومن مالك .**

* قرأ ابن السوار الغنوى : (هياك نعبد وهياك نستعين) ، بالهاء فى موضع الهمزة ، وهى لغة قليلة ، أكثر ما تقع فى الشعر .

** روى الأصمعى عن أبى عمرو أنه قرأ : (الزِّراط) ، بزاى خالصة ، وهو حسن فى العربية .

* قرأ الحسن البصرى : (اهدنا صراطًا مستقيمًا) منونتين من غير ألف ولام فيهما . وبذلك قرأ الضحاك . وهو معنى حسن لولا مخالفته للمصحف .

* قرأ جعفر بن محمد رضى الله عنه : (اهدنا صراط المستقيم) بإضافة الصراط إلى المستقيم ، من غير ألف ولام فى الصراط . وهو جائز فى العربية كدار الآخرة .

* قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) ، فجعل (من) فى موضع (الذين) ، وغير فى موضع (لا) . وهو فى المعنى حسن كالذى قرأ الجماعة فى المعنى ، وهو مروى أيضًا عن أبى بكر رضى الله عنهما .

* قرأ بن مسعود : (أرشدنا الصراط) فى موضع (اهدنا) والمعنى واحد .

* قرأ ثابت البنانى : (بصرنا الصراط) فى موضع (إهدنا) والمعنى واحد .

* قرأ ابن الزبير : (صراط من أنعمت عليهم) مثل قراءة عمر فى هذا الحرف وحده .

قال أبو محمد (مكى بن أبى طالب) [1] : « فهذا لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به ، لأنه إنما نقل إلينا بخبر الواحد عن الواحد ، ولا يقطع على صحة ذلك ، ولا على غيبه ، وهو مخالف لخط المصحف الذى عليه الإجماع ، ويقطع على صحته وعلى غيبه ، فخط المصحف أولى ؛ لأنه يقين والخبر غير يقين ، فلا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير يقين .

وهذا المثال من الاختلاف الثالث هو الذى سقط العمل به من الأحرف السبعة التى نص عليها النبى ﷺ وهو الأكثر فى القرآن من الاختلاف .

---

(١) الإبانة : ص ١٢٧ .

وإنما قرىء بهذه الحروف التى تخالف المصحف قبل جمع عثمان رضى الله عنه الناس على المصحف ، فبقى ذلك محفوظًا فى النقل غير معمول به عند الأكثر ، لمخالفته للخط المجمع عليه » . أ . هـ .

* * *

وبعد ، فهذه نحو خمسون قراءة مختلفة لألفاظ سورة الفاتحة التى تقرأ جهراً وسرًّا فى كل صلاة . وكلها تدخل فى إطار « الأحرف السبعة » التى رخص الرسول ﷺ للمسلمين القراءة بها بموجب حديث الأحرف السبعة المتواتر . وتعارف الصحابة على القراءة بها فى حياته دون أن تثير مشكلة حسب مفهومهم لرخصة التيسير .

فلما مات الرسول ﷺ ، اختلف الناس فيها ، وكفر بعضهم بعضاً ، مما دفع عثمان رضى الله عنه إلى تحجيمها فى إطار رسم الكلمات التى كتب بها المصحف العثمانى ، والذى أمر بأن يكون خاليًا من النقط والإعجام ، ليستوعب جزءاً منها فقط . **وقرار عثمان هنا جاء « حلاً وسطًا » ، فلا هو ألغى رخصة الأحرف السبعة ، ولا هو ترك باب التيسير الذى جاءت به مفتوحًا على مصراعيه . فضيَّق بذلك من حجم الاختلاف الذى أدى إلى الفتنة ، وإن لم يحسمها تمامًا . تم ذلك فى إطار مفهومه عن « الرخصة » ، بأنها اختيار لا تكليف ، فلا مانع إذن من تحديد العمل بها إذا كان فى ذلك مصلحة .**

وقد اتخذ هذا القرار بإجماع الصحابة ، وعلى رأسهم على بن أبى طالب رضى الله عنه . وكانت النتيجة انخفاض عدد القراءات الموافقة لرسم المصحف العثمانى – وكما وردت بالمثال – بنسبة الربع تقريبا، إذا استبعدنا البند(ثالثًا) ، لتصل إلى نحو أربعين قراءة .

ولكن . . . هل تعتبر هذه النتيجة مرضية ؟

هل قراءة الفاتحة بنحو أربعين قراءة مختلفة – وقس على هذا باقى القرآن – كافٍ لدرء فتنة الاختلاف فى كلام الله ؟ .

لم يحسم هذا الأمر سوى ابن مجاهد وبعد ثلاثمائة سنة من الهجرة ،

حين اتخذ خطوة رائعة ، لم يخالفه عليها أحد حتى يومنا هذا ، فاصطفى - بعد دراسة عميقة - سبعة من أئمة القراءات ، شهد لهم الجميع بالثقة ، وذاعت في الأمصار قراءتهم . فاعتبر قراءتهم « مقبولة » ، وقراءة غيرهم « شاذة » . ووضع بذلك مصفاة أخرى إلى جانب مصفاة عثمان رضى الله عنه - فمصفاة ابن مجاهد هى « صحة السند » ، أما مصفاة عثمان رضى الله عنه فكانت « رسم المصحف » . ثم أضاف ابن مجاهد فى كتابه السبعة مصفاة ثالثة هى موافقة القراءة للغة العربية ، فأكمل بذلك الأصول الثلاثة لقبول أى قراءة . وهكذا انخفض عدد القراءات - من واقع مثال سورة الفاتحة - إلى حوالى العشرة ، بعد أن كانت نحو خمسين . ثم جاء ابن الجزرى بعد حوالى خمسمائة عام ليضيف إلى قرّاء ابن مجاهد السبعة ، ثلاثة قرّاء ، ليصبح بذلك « معشر العشرة ... المتواترة » . وما عداها « شاذ » .

وقبل أن نعرض لمفهوم « التواتر » ، و « الصحيح » و « الشاذ » دعنا نطرح نموذجًا من الأحاديث التى وردت بها قراءتين فقط من القراءات المتواترة الصحيحة للأئمة القرّاء العشرة ، لكلمة واحدة فى سورة الفاتحة ، هى كلمة : ملك / مالك .

* * *

ورد فى كتاب المصاحف ،

لأبى بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى (١)

باب ما روى عن رسول الله ﷺ (٢)

من القرآن فهو كمصحفه

فاتحة الكتاب

* حدثنا عبد الله ، حدثنا جعفر بن مسافر أبو صالح الهذلى ، حدثنا أيوب بن سويد ، حدثنا يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، عن أنس أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون : (**مالك** يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا هشيمْ قال : أخبرنا مُخبر ، عن الزهرى عن سالم ، عن أبيه أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون : (**مالك** يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد بن عوف، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشيم قال أخبرنى مخبر ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن أبيه أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرأون : (**مالك** يوم الدين) .

قال أبو بكر : هذا عندنا وهم ! والصواب رواية أبى الربيع وغيره عن هشيم ، وكل من رواه عن الزهرى متصلاً وغير متصل (فمالك) ، إلا رجل واحد فإنه قال : (**مَلِك**) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا الحسين بن على بن مهران قال : حدثنا إبراهيم

---

(١) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٣ حتى ص ١٠٦ .

ابن سليمان الزيات قال، حدثنا بحر عن الزهرى ، عن أبى سلمه ، عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ : (**مالك** يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدثنا ابن يمان ، عن معمر، عن الزهرى أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان قرأوا : (**مالك** يوم الدين) **وأول من قرأها (ملك) مروان** .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد بن عرفة ، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا الكسائى ، عن أبى بكر ، عن سليمان التيمى ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب والبراء بن عازب قالا : قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر : (مالك يوم الدين) .

[قال أبو بكر : هذا عندنا وهم وإنما هو سليمان بن أرقم] .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عمران القطان ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعى ، عن الزهرى أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون : (**مالك** يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا عمر بن شبَّه ، حدثنا محبوب ، حدثنا عباد ، عن طلحة بن عبيد الله بن أبى كلده ، عن الزهرى أن النبى ﷺ كان يقرأ : (**مالك** يوم الدين) وأبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأبى بن كعب وابن مسعود ومعاذ بن جبل رضى الله عنهم .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا أبو عبد الرحمن الأذرمى،حدثنا عبد الوهاب ، عن عدى بن الفضل ، عن أبى مطرف ، عن ابن شهاب أنه بلغه أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان **ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرأون** : (**مالك** يوم الدين) .

قال ابن شهاب : **وأول من أحدث : (ملك) مروان** .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا عمرو بن عبد الله الأودى ، حدثنا عثمان بن زفر ، حدثنا أبو إسحاق الخميس ، عن مالك بن دينار ، عن أنس قال : **صليت**

خلف النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، عليهم السـلام كلهم كان يقرأ : (**مالك** يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمـد بن غالب (لعل الصواب ابن أبى غالب) ، حدثنا يحيى بن إسماعيل ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قرأ : (**مالك** يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامه ، عن سفيان ، عن الأعمش بهذا موقوفًا .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ، حدثنا خلاد ، حدثنا سفيان بهذا موقوفًا .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان بهذا موقوفًا .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد بن غالب (بن أبى غالب) ، حدثنا يحيى بن إسماعيل ، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قرأ : (ملك) أو قال (**مالك**) .

* حدثنا عبـد الله ، حدثـنا محمد بن إسـماعيل الأحمس ، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة أنه كان يقرأ : (**مالك**) .

* حدثنا عبد الله، حدثنا هشام بن يونس،حدثنا حفص يعنى ابن غياث ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكه ، عن **أم سلمة** قالت قام رسول الله ﷺ من الليل ؛ فقرأ الحمد لله فقطعها وقرأ : (**ملك** يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا شعيب بن أيوب ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن بعض أزواج النبى ﷺ ، **نظنها أم سلمة** ، قالت كان رسول الله ﷺ إذا قرأ قال : (**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين**) يقطع قراءته ، **قال قلت لحفص قرأ (ملك يوم الدين) ؟ فقال هكذا قال** .

* حدثنا عبد الله قال : **سمعت أبى يقول فى هذا الحديث إنما هو الحديث فى تقطيع القراءة والترسل فيها ، وأما قوله (ملك) فيقال إنها قراءة ابن جريج لا أنه رواها عن ابن أبى مليكة .**

* حدثنا عبد الله ، حدثنا شعيب بن أيوب ، حدثنما يحيى قال : **قال الكسائى قراءتهم ، يعنى أهل مكة (ملك)** [1] ، إنما روى هذا الحديث لتقطيع القراءة ولا أدرى ما قولهم (**ملك**) .

قال ابن أبى داود ، ومما يدل على أنه كما قال أبى وكما قال الكسائى أن نافع بن عمر روى هذا الحديث عن ابن أبى مليكه فقال : (**مالك**) .

* حدثنا على بن حـــرب ، حدثنا العباس بن سليمان ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبى مليكة عن بعض أزواج النبى ﷺ أن النبى ﷺ قرأ : (**مالك** يوم الدين) .

* * *

تعقيب : قد يتسرع القارىء الآن فيميل إلى قراءة (مالك) ، التى لم يقرأ بها غير اثنين فقط من القرّاء السبعة هما عاصم والكسائى .

ولكن من أدراك بباقى الروايات ؟ فإن سألت أين هى ؟ أتاك جوابى : لا أدرى .

لقد عكفت على هذا الكتاب سنوات عديدة ، أجمع فيها مادته ، ولم أعثر على مرجع واحد – باستثناء كتاب المصاحف للسجستانى – يتحدث عن الروايات التى تدعم ما اختلف من القراءات .

والكاتب يتوجه بنداء إلى علماء القراءات المعاصرين بإرشاده إلى هذه النوعية من المراجع إن كانوا يعرفون لها طريقا . فإن لم يكن ، فلماذا يسكتون عن ذكر هذه الحقيقة فى كل كتاباتهم ؟ .

---

(١) لعله يقصد (مالك) – المؤلف .

ويبدو أن الرد على هذا النداء ، لن يخرج عما ذكره الشيخ البنا الدمياطى صاحب الإتحاف على من سبقونا إليه ، حين قال [١] :

« (فإن قيل) : الأسانيد إلى الأئمة وأسانيدهم إليه ﷺ على ما فى كتب القراءات آحاد لا تبلغ عدد التواتر ، (أجيب) : بأن انحصار الأسانيد المذكورة فى طائفة لا يمنع مجىء القراءات عن غيرهم .

وإنما نسبت القراءات إليهم لتصديهم لضبط الحروف وحفظ شيوخهم فيها ومع كل واحد منهم فى طبقته ما يبلغها عدد التواتر » . أ . هـ .

* * *

---

(١) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر : البنا الدمياطى ص ٧ .

الفصل الثانى

علامات فى تاريخ القراءات

- الاختلاف على مقاييس القراءة المقبولة .
- المصحف الإمام سنة ٣٠ هـ .
- القرّاء السبعة سنة ٣٠٠ هـ .
- القرّاء العشرة سنة ٨٠٠ هـ .
- أعتقد .. وأُرجح .. ولا أدرى .

●● ابن الجزرى ، واشتراط التواتر :

● يقول ابن الجزرى [١] :

« نقول : كل قراءة وافقت العربية مطلقًا .

ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً

وتواتر نقلها .

هذه القراءة المتواترة المقطوع بها » .

وابن الجزرى هنا لم يضف جديداً لأركان القراءة المقبولة عما كان عليه من سبقوه من أمثال أبى عمرو الدانى ومكى بن أبى طالب . إلا أنه اشترط « تواتر النقل » بدلا من « صحة السند » ، ثم تراجع فيه فيما بعد .

والمعايير الثلاثة بالرغم من تميزها وقبول الأمة بها وبما أسفرت عنه من نتائج ، إلا أنها جميعا مقاييس مرنة تقبل بعض الاختلاف بشأنها .

فمقياس اللغة يخضع لعوامل كثيرة بما فيها التذوق ، وهو مقياس ذاتى . ومن هذا الباب دخل الخلاف بين النحويين والقرَّاء .

وقد ساهم فى هذا أن كلمة (مطلقًا) كانت تعنى : ولو بوجه من الإعراب ، كما ذكر ابن الجزرى [٢] . وقد امتلأت مكتبة القراءات التراثية بالعديد من الأسفار التى قلبت وجوه الإعراب لكل قراءة .

ونقد بعض النحويين قراءات متواترة لمشاهير القرَّاء السبع ، مثل ابن عامر قارىء الشام من السبعة ، وأبى جعفر من العشرة . وهبَّ علماء القراءات للدفاع عن القراءات ، وقالوا إنها الأصح لأنها وردت بالرواية ، وأنها تعلو على النحو وتهيمن عليه ، مما لا يتسع المجال لذكره فى هذا المقام [٣] .

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين : لابن الجزرى ، ص ١٥ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥ .

(٣) راجع من قضايا اللغة والنحو فى كتاب النشر لابن الجزرى، د. فؤاد السيد الحطاب .

أما مقياس موافقة المصاحف العثمانية ولو تقديراً ، فقد جاءت كلمة (ولو تقديراً) لتلعب نفس الدور الذى لعبته كلمة (ولو بوجه) عند الحديث عن موافقة العربية . ذلك أنها فتحت الباب للاختلاف ، حتى بين أئمة علماء القراءات بعضهم البعض .

مثال ذلك : الخلاف بين ابن الجزرى ومكى بن أبى طالب فى قراءة (الزراط) فى سورة الفاتحة ، حيث أدخلها مكى تحت البند (ثالثا) **مما يخالف خط المصحف فلا يقرأ به** ، فى حين أوردها ابن الجزرى تحت البند (ثانيا) حكمها حكم **ما يوافق المصحف ويقرأ به** ، وقال ابن الجزرى فى توجيه تلك القراءة : « ووجه ذلك أن حروف الصفير يبدل بعضها من بعض ، **وهى موافقة للرسم كموافقة قراءة السين** »[1] . والأمثلة غيره كثير ، على الاختلافات فى الآراء التى تسبب فيها « الخط » أو « الرسم » الذى كتبت به المصاحف . ولنؤجل الحديث عنها الآن أيضًا ، لنصل إلى الركن أو الشرط أو الأصل الثالث وهو « التواتر » .

قال ابن الجزرى مستكملاً حديثه السابق : « **ونعنى بالتواتر** ما رواه جماعة عن جماعة كذا إلى منتهاه ، يفيد العلم :

– من غير تعيين عدد .. هذا هو الصحيح .

– وقيل بالتعيين ... واختلفوا فيه ، فقيل ستة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل أربعون وقيل سبعون » .

وبعد أن فرغ ابن الجزرى من ذكر الأركان الثلاثة ، ووضح معنى كل كلمة فيها وما يقصده بها بدقة ، قال :

« والذى جمع فى زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف ، أخذها الخلف عن

---

(١) راجع مثال سورة الفاتحة .

السلف إلى أن وصلت إلى زماننا كما سنوضح ذلك . فقراءة أحدهم كقراءة الباقين فى كونها **مقطوعًا بها** كما سيجىء » . .

ثم قال : « لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر . . . » . أ هـ .

* ولنتوقف قليلاً عند هذا الحد لنستعيد كلمات بعينها ، لم يكتبها الإمام ابن الجزرى اعتباطا ، بل كان فيها ملتزمًا غاية الدقة ، فلا يجب أن نمر عليها مر الكرام ، وهى فيما يختص بوصف القراءات العشر بالتواتر ، الذى اعتبره ركنا من أركان القراءة المقبولة .

لقد وصف ابن الجزرى قراءة الأئمة العشرة بأنها متواترة ، بل وأكد أنه لا يوجد قراءة متواترة ،وراء العشر .

إلا أن ابن الجزرى سرعان ما تراجع عن تصريحه هذا حين قال [١] : « إن خبر الواحد العدل الضابط إذا حفته القرائن ، يفيد العلم ، ونحن ما ندعى التواتر فى كل فرد مما انفرد به بعض الرواة أو اختص ببعض الطرق ، لا يدعى ذلك إلا جاهل لا يعرف ما التواتر ، وإنما المقــروء به عن القرَّاء العشرة على قسمين :

١ – متواتر .

٢ – وصحيح . . . مستفاض . . . متلقى بالقبول .

والقطع حاصل بهما » . أ هـ .

والصحيح الذى يذكر ابن الجزرى أنه يدخل فى بعض مفردات قراءة الأئمة العشرة هو خبر آحاد ، حفته القرائن من كل جانب ، وتلقته الأمة بالقبول ، ولهذا فيمكن أن « يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها » [٢] . على حد تعبير ابن الجزرى بنفسه .

ويقول أيضًا فى نفس المعنى : « فإن قلت قد وجدنا فى الكتب المشهورة

---

(١) المنجد : ص ٢٠ . (٢) المنجد : ص ١٦ .

المتلقاة بالقبول تباينًا فى بعض الأصول والفرش كما فى الشاطبية ، نحو قراءة ابن ذكوان (تتبعان) بتخفيف النون ، وقراءة هشام (أفئدة) بياء بعد الهمزة ، وكقراءة قنبل (على سوقه) بواو بعد الهمزة ، وغير ذلك من التسهيلات والإمالات التى لا توجد فى غيرها من الكتب إلا فى كتاب أو اثنين . **وهذا لا يثبت به تواتر .**

قلت (ابن الجزرى) :

هذا وشبهه ، وإن لم يبلغ مبلغ التواتر ، صحيح مقطوع به ، نعتقد أنه من القرآن ، وأنه من الأحرف السبعة التى نزل القرآن بها .

والعدل الضابط إذا انفرد بشىء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقى بالقبول ؛ قطع به ، وحصل به العلم » أ هـ .

* أما الإمام مكى بن أبى طالب (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) فلم يذكر لفظ « التواتر » عند حديثه عن أركان القراءة المقبولة ، فقال فى الإبانة [١] : « قسم يقرأ به اليوم : وذلك ما اجتمعت فيه ثلاث خلال ، وهى :

١ - أن ينقل عن الثقات إلى النبى ﷺ .

٢ - ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن شائعًا .

٣ - ويكون موافقًا لخط المصحف .

فإن اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاثة قرىء به ، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه ؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف وكفر من جحده » أ هـ .

وما يهمنا الآن هو صياغة مكى للبند الأول الذى يشير إلى سند القراءة المقبولة ، والفرق بين صياغته لها ، وصياغة ابن الجزرى . فنلاحظ أن مكى لم

---

(١) ص ٥١ .

يستخدم لفظ « التواتر » ، ولكن اكتفى بقوله : **إن ينقل عن الثقات إلى النبى ﷺ** .

واعتبر ذلك « مقطوع به » ، وسكوته عن ذكر هذا الوصف « التواتر » قد جنبه الحرج الذى واجه ابن الجزرى حين استخدم لفظ التواتر ثم اضطر للتراجع عنه فألحق به لفظ « الصحيح المستفاض المتلقى بالقبول ... وذكر أن القطع حاصل بهما (سويًّا) ، وأقر أن رتبة هـذا الصحيـح لا تبلغ مبلغ القراءة المتواترة ، ولكن تلحق بها .

فهذا ما أردنا التنبيه إليه .

إلا أن الغريب حقا هو إصرار ابن الجزرى على استخدام لفظ « التواتر » على إطلاقه ليكون علماً على القراءات السبعة المعروفة ؛ حتى إذا نجح مسعاه فى إلحاق الثلاث المكملة لها - وهو هدفه الذى وهب نفسه لتحقيقه - أصبح لقب « المتواترة » علما على القراءات العشر . وقد نجح فى مهمته بالفعل ، ولكنه نجاح لا يقاس بنجاح ابن مجاهد « مسبع السبعة » . لقد سارع إلى قاضى القضاة فى زمانه ، ولم يزل به حتى استكتبه فتوى بأن القراءات العشر متواترة ، ومعلومة من الدين بالضرورة ، ويكفر من يقول بغير ذلك . وفيما يلى نص طلب الفتوى الذى كتبه ابن الجزرى إلى الشيخ الإمام قاضى القضاة عبد الوهاب السبكى ، بعد حوار وجدل بينهما ، أقنع فيه ابن الجزرى الشيخ ابن السبكى بإضفاء شرعية « التواتر » على القراءات الثلاث لتصبح السبعة المتواترة ، عشرة متواترة .

*** نص طلب الفتوى :**

« ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وهداة المسلمين رضى الله عنهم أجمعين فى القراءات العشر التى يقرأ بها اليوم .

هل هى متواترة ، أو غير متواترة ؟

وهل كل ما انفرد به واحد من الأئمة العشرة بحرف من الحروف متواتر أم لا ؟ .

وإذا كانت متواترة ، فماذا يجب على من جحدها ، أو حرفًا منها ؟ أفتونا مأجورين رضى الله عنكم أجمعين » [١] .

* وجاء نص الفتوى [٢] :

« القراءات العشر : السبع التى اقتصر عليها الشاطبى ، والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف :

متواترة ، معلومة من الدين بالضرورة .

وكل حرف انفرد به واحد من العشر :

متواتر معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر فى ذلك إلا جاهل .

وليس التواتر فى شىء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات ، بل هى متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشـهد أن محمداً رسول الله ، ولو كان مع ذلك عاميًا جلفًا لا يحفظ من القرآن حرفًا . ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا تسع هذه الورقة شرحه . وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله تعالى ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شىء منه والله تعالى أعلم .

كتبه عبد الوهاب السبكى الشافعى

* * *

---

(١) منجد المقرئين : ابن الجزرى ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥١ .

والآن ، حان الوقت لنستعرض سويًّا ، وباختصار ، قصة المحطات الثلاث الرئيسية فى تاريخ القرآن والقراءات ، والتى شهدت كل منها تحولاً ملموسًا فى الاتجاه ، حتى وصلنا إلى المرحلة الحالية .

والمحطة الأولى : هى « المصحف العثمانى ... المجمع عليه » ، والبطولة فيها لعثمان بن عفان ، وقام بدور المعارض عبد الله بن مسعود .

والمحطة الثانية : هى « السبعة الأشهر » ، والبطولة لابن مجاهد .

والمعارضون : ابن شنبوذ ، وابن مقسم العطار .

والمحطة الثالثة : هى إعلان « العشر المتواترة » والبطولة لابن الجزرى .

والمعارضون : ابن الحاجب ، وأبو شامة .

* * *

** المصحف الإمام ... والإجماع :

* مقدمة :

جاء فى البند ثالثا ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد (الفاتحة) مما يخالف خط المصحف . ونذكر هنا بعضها على سبيل التذكر :

– قرأ ابن مسعود : (أرشدنا الصراط المستقيم) فى موضع (اهدنا) ، والمعنى واحد .

– قرأ ثابت البنانى : (بصرنا الصراط) فى موضع (اهدنا) ، والمعنى واحد .

– قرأ ابن الزبير : (صراط من أنعمت عليهم) مثل قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الحرف وحده .

قال مكى بن أبى طالب فى إبانته [1] معقبا :

« قلت : وهذا الاختلاف الذى يخـــالف خط المصـــحف (العثمانى) وما جاء منه مما هو زيادة على خط المصحف ، أو نقصان من خط المصحف ، وتبديل لخط المصحف – وذلك كثير جداً – هو الذى سمع حذيفة فى المغازى ، وسمع رد الناس بعضهم على بعض ، ونكير بعضهم لبعض ، فجراه ذلك على إعلام عثمان رضى الله عنه ، وهو (هذا النوع من الاختلاف فى القراءة) الذى حدا عثمان على جمع الناس على مصحف واحد ؛ ليزول ذلك الاختلاف فافهمه » . أ هـ .

ويقول د . شوقى ضيف [2] : « ... ومضى الناس يقرءون القرآن ويقرىء بعضهم بعضاً بالحروف التى تلقوها عن الرسول ﷺ أو الحفظة المتقنين

---

(١) ص ١٢٦ .

(٢) كتاب السبعة فى القراءات : لابن مجاهد ، تحقيق د . شوقى ضيف ط ٣ ، دار المعارف ص ١٠ .

من الصحابة . وكان هؤلاء الحفظة يختلفون فى بعض الأداء حسب سماعهم من الرسول ﷺ . وتفرق المسلمون فى الأمصار مع الفتوح ، فأخذ هذا الخلاف فى الأداء يشتد ، حتى إذا كانت سنة ثلاثين من الهجرة اجتمع فى غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون الذكر الحكيم فلاحظوا جميعًا وجوهًا من الخلاف ، وتنازعوا حتى كاد يكفر بعضهم بعضًا .

وكان حذيفة بن اليمان معهم فهاله هذا الخلاف وخشى تفاقمه فركب إلى عثمان ، وقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . وأبلغه خلاف الناس فى القراءة . وفزع عثمان لذلك فزعًا شديداً . ثم أرسل توًّا إلى السيدة حفصة أن أرسلى إلينا بصحف القرآن ننسخها ، ثم نردها إليك ، فأرسلتها إليه . فأمر زيد بن ثابت أن ينسخها فى المصاحف ، وضم إليه عبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال لهم إذا اختلفتم فى شيىء فاكتبوه بلسان قريش **فإنما نزل بلسانهم** .

وكتبوا ثمانية مصاحف ، وجه منها بمصحف إلى البصرة ، وبثان إلى الكوفة ، وبثالث إلى الشام ، وبرابع إلى مكة ، وبخامس إلى اليمن ، وبسادس إلى البحرين ، وترك مصحفًا بالمدينة ، وأمسك لنفســه مصحفًا سمــى باسم « الإمام » .

وأمر بإحراق ماعدا هذه المصاحف ، فأحرقت مصاحف لبعض كبار الصحابة على نحو ما هو معروف من حرق مصحف أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ، حتى لا يدع فرصة لأى خلاف ممكن . وأمر المقرئين فى كل الأمصار أن يتمسكوا بتلك المصاحف وأن يقرئوا الناس على حروفها . وأطاعته الأمة وأجمعت على ما تضمنته نسخ مصحفه مهملة ما خالفها من إبدال كلمة بأخرى ، مما قد يكون تسمح فيه بعض الصحابة ، أو روى عن آحاد ، فلا يعتد به أى اعتداد . كما لا يعتد بما أدخله ابن مسعود فى مصحفه من زيادات لغرض تفسير بعض الكلمات ، وقد أمر عثمان بإحراقه كما أسلفنا » .

* أحاديث وردت فى كراهية عبد الله بن مسعود ذلك [1] :

– حدثنا عبد الله قال : حدثنا شعيب بن أيوب ، حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا عمرو بن ثابت قال : حدثنا حبيب بن أبى ثابت عن أبى الشعثاء قال : كنا جلوساً فى المسجد وعبد الله (بن مسعود) يقرأ ، فجاء حذيفة فقال : قراءة ابن أم عبد (يعنى ابن مسعود) وقراءة أبى موسى الأشعرى ، والله إن بقيت حتى آتى أمير المؤمنين (يعنى عثمان) لأمرته بجعلها قراءة واحدة .

قال : فغضب عبد الله (بن مسعود) فقال لحذيفة كلمة شديدة ، قال : فسكت حذيفة .

– حدثنا عبد الله قال : حدثنا أحمد بن منصور بن سيار قال : حدثنا قبيصة قال : حدثنا سفيان عن أبى إسحاق عن حميد بن مالك قال : قال عبد الله (بن مسعود) لقد قرأت من فى (فم) رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن لزيد ابن ثابت ذؤابتين يلعب مع الصبيان .

– حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد بن عبد الوهاب الدعلجى : حدثنا أيوب بن مسلمة : حدثنا أبو شهاب ، عن أبى وائل ، عن عبد الله (بن مسعود) قال : قرأ (ابن مسعود) :﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[2] ، غلوا مصاحفكم ، فكيف تأمرونى أقرأ قراءة زيد ، ولقد قرأت من فى (فم) رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب بين الصبيان .

– حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهرى قال : وأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال : يا معشر المسلمين ، أعزل عن نسخ (كتابة) المصاحف وتولاها رجل والله لقد أسلمت وأنه لفى صلب أبيه كافراً (يريد زيد بن ثابت) .

---

(١) كتاب المصاحف للسجستانى ، ص ٢٠ – ٢٥ .

(٢) آل عمران : ١٦١ .

وكذلك قال عبد الله : يا أهل الكوفة (أو يا أهل العراق) اكتموا المصاحف التى عندكم وغلوها فإن الله يقول : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بما غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ فالقوا الله بالمصاحف .

* وأكتفى بهذا القدر من الأحاديث – فهى كثير – وأنبه على أنها أفادتنا بأن ابن مسعود قد تزعم حملة لمعارضة قـــرار عثمان بكتابة المصحف الإمام دون أن يستعين به ، وأنه قد تعمد إثارة الرأى العام حين طالب الناس بعدم الانصياع لقرار عثمان ، وبأن يحتفظ كل منهم بمصحفه الذى أقرأهم به على حرفه .

إلا أنه من المعروف أن ابن مسعود قد تراجع عن موقفه هذا فيما بعد ، وبعد أن اطمأن إلى صواب القرار ، وبعد أن استيقن من إجماع الصحابة وعلى رأسهم على بن أبى طالب (رضى الله عنه) على هذا القرار . فانصاع له فى النهاية .

*** دور المصحف العثمانى فى القراءات :**

وهكذا جاء « المصحف العثمانى » ليضع حدًّا لمرحلة ويبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ القرآن والقراءات .

فقد ضيق المصحف العثمانى من إطار استخدام رخصة الأحرف السبعة والتى كانت مفتوحة على مصراعيها من قبل . وصفَّى إلى الأبد متن القرآن كل القراءات التى لم يثبت على سبيل القطع واليقين أنها من القرآن على حد تعبير ابن الجزرى إذ قال (١) : « **وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف (العثمانية) وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونًا فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتًا مستفيضًا أنه من القرآن** » أ . هـ .

وجدير بالذكر أن ابن مسعود قد سجل له التاريخ هذا الموقف المعارض فى

---

(١) النشر : ج ١ ص ٧ .

البداية لأنه أعلنه بوضوح وجاهر به ، وإن تراجع عنه فى النهاية . إلا أن القراءات من هذا النوع كانت قد شاعت وبصورة أضخم عند أبى كعب من ناحية الكيف وعند ابن عباس من جهة الكيف والكم معًا ، وهو ما سنعرض له فى حينه بتفصيل أكبر .

والآن يمكن القول بأن المصحف العثمانى جاء ليجسد هيكل الألفاظ التى نزل بها الوحى ، ونطق بها الرسول ﷺ ، فى صورة مكتوبة ، محفوظة على الورق ، مجمعة فى كتاب واحد ، مجمع على صحة نسبته إلى الرسول ﷺ ، فكان بهذا إمامًا ومرجعًا يقاس عليه القراءات عند اختلافها ، فإن وافقت رسمه ، وإلا فتعتبر شاذة عن الإجماع الذى تحقق له .

كانت هذه نبذة سريعة عن نشأة الركن الأول من أركان القراءة المقطوع بها وهو مقياس « رسم المصحف العثمانى الإمام » ، الذى وضع سنة ٣٠ هـ ، بمشاركة من رجل الشارع الذى شكّل تواتره ، فقد كان محفوظًا فى الصدور ، وبلجنة من كتاب الوحى من الصحابة الأجلاء ، وبمعزل عن المتعصبين لآرائهم وإن كانوا على علم من أمثال ابن مسعود ، وبمباركة وتأييد من كبار الصحابة القريبين من الأحداث المعاصرين لكل التطورات ممن يطلق عليهم اليوم « النخبة الاستراتيجية » القريبة من مركز صنع القرار والمساهمة فيه مثل على بن أبى طالب رضى الله عنه .

*** المصحف العثمانى وعبقرية « إجماع الرأى العام » :**

فإذا أطلقنا على تلك الخطوة وصف « عبقرية التفكير الإسلامى » .

فإننا لا نكون قد وفيناها حقها . فمثل تلك اللحظات من تاريخ العقل الإسلامى هى ما نفتقر إليه اليوم حقًّا .

وقد استوقف نظرى العبارة السابقة لابن الجزرى والتى تكشف عن عبقرية غير مسبوقة اتسم بها تفكير هذا الإمام الجليل الذى لا نبالغ إن قلنا أنه –وبحق– جمع فأوعى .

إن ما فهمناه من نص تلك العبارة أن « المصحف الإمام » كان خطوة

عبقرية للأخذ بيد « القراءات » والاقتراب بها نحو « القرآن » ، بهدف تضييق الفجوة التى نشأت عن المبالغة فى استخدام رخصة التيسير بموجب حديث الأحرف السبعة .

إن عبارة ابن الجزرى : « **ولم يثبت عندهم ثبوتًا مستفيضًا أنه من القرآن** » **لهى خير دليل على أنه كان على يقين من أن « القرآن والقراءات » كانا حقيقتان متغايرتان فى فترة ما قبل « المصحف العثمانى الإمام »** .

كما أن عبارته : « وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ » على ترك ما كان مأذونًا فيه توسعة عليهم ، لا يعتبر مدحًا ولا تعصبًا للعقل الإسلامى الجمعى ، بقدر ما هو تعبير علمى دقيق ، شديد الموضوعية عن تقديره لعبقرية التفكير الإسلامى فى إدارة الأزمات وتقليص الفجوة بين « المثال » و « الواقع » ، بين « القرآن » و « القراءات » .

إن العقل الجمعى للأمة الإسلامية لم يكن عقلاً تابعًا عند تناوله لتلك الأزمة ، بل كان عقلاً ناقدًا مبصرًا من جهة ، ومبتكرًا وفاعلاً من جهة أخرى . إنه كان يصنع الحدث ، ثم يتابعه بالرصد والتقييم ، فإذا سارت الأمور على ما يرام ، وإلا فإنه يلتقط عثرات التطبيق بحس مرهف ، فإن تداعت الأمور حتى وصلت إلى حد يشكل ظاهرة أو ينبىء بأزمة أو فتنة ، سارع من فوره ليبتكر « الحل الأنسب والأمثل » ، ولا يقف عند هذا الحد بل ويشارك فى التطبيق ، ولا يتوقف لحظة عن التعبير عن تقييمه لكل خطوة ، إما بالتأييد وإما بالمعارضة ، وحتى يعبر الأزمة .

إن إجماع « الرأى العام المسلم » على المصحف الإمام لم يكن فى حقيقته نوعًا من التهليل والتكبير لقرار علوى اتخذه خليفة المسلمين ، ولم يكن بأى حال انصياعًا لقرار علوى هبط عليه ممن يملك السلطة والقوة رضوخًا واستسلامًا للأمر الواقع ، ولكنه كان بمثابة احتفالية جماعية بالنجاح الذى صنعوه هم بأنفسهم ولأنفسهم بتنازلهم طواعية عن رخصة كانت ممنوحة لهم .

إن الإجمـاع علـى المصحف الإمـام لـم يكـن « إجماع النخبة » ، أو الصفوة ، بل كان إجماعًا « للرأى العام » للأمة الإسلامية . إنه صوت الجماهير التى وحدها القرآن ، لا فرق بين عربى وأصبهانى ورومى ، ولا أبيض ولا أسود ولا أصفر .

إن السبب الجوهرى فى هذا الإجماع العبقرى كان يرجع فى حقيقة الأمر إلى شعور « الولاء » للقرآن الكريم ، هذا الولاء الذى لم يكن ليبلغ هذه الدرجة من التمكن فى « عقل وقلب » كل مسلم لولا رخصة « الأحرف السبعة » التى جعلت القرآن هبة الله للجميع .

إن الحكمة العليا فى الترخيص للناس – بشتى انتماءاتهم – بقراءة القرآن بقدر ما تسعفهم به لهجاتهم ، ثم التسامح الكبير – غير المتوقع ولا المفهوم فى حينها – من النبى ﷺ للاستمتاع بهذه الرخصة فى العامين الأخيرين من عمر الرسالة المحمدية بعد أن كان الجميع يقرأ بقراءة واحدة ، هذا السلوك البالغ الحكمة ، البعيد المدى هو ما ولد الشعور « بالولاء » تجاه القرآن فى نفس كل مسلم ، حتى أصبح القرآن عنده أعز عليه من نفسه وماله وولده . حتى إذا جاءت لحظة الخطـر سـنة ٣٠ هـ ، سـارع الناس بالتنازل عن الرخصة طائعين مختارين فى سبيل الحفاظ على هويَّة القرآن والذى أصبح هوية لكل فرد منهم .

فليكن هذا درسًا فى فن القيادة لكل من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد . ليكن درسًا لمن يبحثون عن سر انهيار الأمة الإسلامية والعربية على حد سواء . إن إحياء الولاء للقرآن فى نفس كل مسلم فى كافة أنحاء المعمورة هو الحل . إن الولاء هو ثمرة المشاركة . والولاء عطاء ، فلا عطاء بدون ولاء ، حتى لو كان الأمر يتعلق بكلام الله وقرآنه ، ذلك أن النبى الذى يبشر به بشر يعيش بين بشر على الأرض ويتكلم بلغتهم ويمشى فى الأسواق ويتزوج النساء ويمرض ويشفى ويلقى فى النهاية قدره المحتوم « الموت » ، « من كان يعبد محمدًا ، فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حى لا يموت » [1] .

---

(١) قالها أبو بكر الصديق إثر وفاة النبى ﷺ .

ولكن الرسالة لا تموت . والقرآن - كلام الله - هو علم على تلك الرسالة المحمدية وهدية الله إلى العالمين ، فكان لزامًا أن يكون كلامًا واقعيًا ينطقه الناس بلغتهم السائدة بينهم ، وهى العربية المبينة ، وبلهجاتهم أيضًا على تعددها وتنوعها واختلافها وهو ما جعله قطعة من النسيج الثقافى لهم جميعًا - على الأقل فى مرحلته الأولى ، وحتى يتمكن من صدورهم ويستولى على ألبابهم ، وهو صلب ما أدت إليه رخصة الأحرف السبعة العبقرية البالغة الحكمة .

*** المصحف العثمانى - نقلة حضارية كبرى :**

تبقى نقطة أخيرة فى « المصحف الإمام » تكشف عن عبقرية هذا القرار الإجماعى لأمة القرآن .

لقد كان « المصحف العثمانى الإمام » أول كتاب عربى إسلامى . . .

فلم يسبق للعرب أن استخدموا الكتاب كوسيلة للتداول ونشر الفكر فى الثقافة العربية ، اللهم إلا ما ذكر عن بعض المعلقات التى دونت فى صحائف وتم تعليقها على أستار الكعبة ،وكان ذلك فى العصر الجاهلى ، ولكنها لم تكن فى شكل كتاب .

من هـنا كان قرار نسخ وتدوين القرآن وجمعـه فى شـكل كتاب ، هو « المصحف العثمانى » ، خطوة رائدة ومبتكرة للانتقال بالثقافة العربية الشفاهية إلى ثقافة التدوين والكتابة ، وهى خطوة عبقرية بكل المقاييس ، إذ سرعان ماتلاها خطوات وخطوات فى ابتكار وتطوير شكل الحروف فى الكتابة ، ووضع النقط لتمييز الحروف (الباء ، والتاء ، والثاء . . . وغيرها) وهـو ما يطلق عليه « الإعجام » ، ثم وضع علامات الشكل مثل (الفتحة والكسرة ، والشدة ، والتنوين وغيرها) ، تم أتبعت بوضع قواعد وأصول النحو والإعراب ، وكله مما نعيش عليه الآن ، ونرتع فى نعيمه .

حقًا ، لقد كان « المصحف الإمام » بداية حقيقية لتطور الحضارة الإسلامية التى قادت العالم ، ومازالت تقوده نحو الجنة ، وتزحزحه بعيداً عن النار ، ومن زحزح عن النار فقد فاز .

* * *

والخلاصة :

أن لحظة ميلاد « المصحف العثمانى الإمام » كانت :

* خطوة نحو تقليص الفجوة بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات اقتربت فيها القراءات بخطى واسعة فى اتجاه القرآن .

* أن اقتراب القراءات من القـــرآن جاء بتنازل اختـــيارى من البشر عن جزء من الرخصة التى كانت أتيحت لهم يومًا ما بموجب حديث « الأحرف السبعة » .

* أن هذا التنازل الطوعى جاء إثر تفوق النزعة المثالية لدى المسلمين على حساب النزعة الواقعية ، وكان هذا « التغيير فى الاتجاه » من التفكير الواقعى إلى التفكير المثالى علمًا على مـــيلاد سمة أصيلة فى التفكير الإسلامى حتى يومنا هذا ، وهى سمة « أولوية التفكير المثالى » . وهو تغيير جذرى وأصيل ، حيث أتى طواعية واختياراً .

* إن هذا التغيير فى اتجاه التفكير لدى العقل الجمعى المسلم جاء على صورة عطاء ، حيث تنـازل طوعًا عن بعض حقوقه فى سبيل تحقيق المصلحة العليا . وهو عكس « التفكير النفعى البراجماتى » الذى أتت به « الفلسفة النفعية البراجماتية » التى اتخذت من الإسلام عدوها الاســتراتيجى ، والتى تقوم على « الأخذ » لا العطاء وعلى قيم الأنانية الضيقة وإن تجملت بمعسول الكلام .

فالإسلام يراهن على « التضحية فى سبيل المبادىء » ، والبراجماتية تراهن على « شهوة التملك الغريزية » ، ومن هنا فالصدام حتمى بين أهل القرآن وأهل اللذة .

* إن « المصحف الإمام » جاء تعبيراً عن ميلاد الحضارة الإسلامية التى انضوى تحت لوائها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، العربى والرومى والفارسى والأعجمى ، يعيشون ويتعايشون « فى ظلال القرآن » ، حيث شارك الجميع فى حفظه .

* أن « المصحف الإمام » جاء درسًا بليغًا فى نظام الحكم « بالشورى » ، وتعبيرًا عن توحد الحاكم والمحكوم حول رمز واحد .

وهو ما تسعى الحضارة الغربية الغازية للتجمل به تحت اسم « الديمقراطية » ، وتباهى به الأمم اليوم ، بعد أن جهلت أو تجاهلت أن الريادة فيه والابتكار والسبق كان لأمة القرآن ، يوم أجمعت هذه الأمة المعصومة من الخطأ على المصحف الإمام ، وبأسلوب مثالى ، كاد البشر فيه أن يكونوا ملائكة تمشى فى الأرض .

* أن المصحف الإمام كان مصفاة ، حجزت خلف ثقوبها من القراءات ما شذ عن ألفاظ القرآن ، بالزيادة أو بالنقص أو بالتبديل أو على سبيل التفسير ، مما دخل على القرآن بموجب رخصة التيسير وبموجب فهم بعض الصحابة لحدود هذه الرخصة ، ومبالغتهم فى استخدامها ، بدرجات .

* إن المصحف الإمام كان سببًا فى دخول كلمة « شواذ القراءات » فى قاموسنا الإسلامى ، حيث أطلق لفظ « الشاذ » على كل قراءة لا توافق « رسم الكلمات » كما جاءت بالمصاحف العثمانية .

* أن المصحف العثمانى جاء مقياسًا ومرجعًا وإمامًا ، يختبر على رسم ألفاظه المكتوبة كل قراءة منطوقة متلوة ، فإن وافقت الرسم – ولو تقديرًا – وإلا فهى إما شاذة أو مكذوبة .

* إن الشاذ بالمفهوم السابق ، إن كان عن رواية وإسناد ، كان ينظر إليه باعتباره « قراءة » أكثر من كونه « قرآنا » ، وقد اختلفوا فى كونه قرآنًا من عدمه [1] على الحقيقة ، مما سيلى ذكر أقوالهم فيه .

والقراءة الشاذة التى خالفت خط المصحف الذى عليه الإجماع ، لا يجوز لأحد أن يقرأ بها أو يتعبد بتلاوتها أو يصلى بها لأنها :

---

(١) يرى د . عبد الفتاح شلبى أنه « لا يحكم بقرآنيتها » ، راجع كتابه المدخل والتمهيد فى علم القراءات والتجويد : ص ٢٣ .

– آحاد فى السند ، أى نقلت إلينا بخبر الواحد عن الواحد ، ولم ترد متواترة ، جماعة عن جماعة .

– أن خبر الواحد أو الآحاد غير يقينى الثبوت ، فلا يصح أن يؤخذ به قرآن ، لأنه لا يقطع على صحته ومغيبه .

– أن القراءة الشاذة بمخالفتها خط المصحف ، إنما تكون قد خرجت عن « الإجماع » الذى انعقد له ، والذى يقطع على صحته وعلى غيبه . فهو يقين ، أما الخبر أو الآحاد الذى أتى بالقراءة الشاذة فهو خبر غير يقين . ولا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير يقين .

– إن القراءة الشاذة التى خالفت خط المصحف تنحصر علاقتها بالقرآن فى كونها كان مسموحاً بها فى عهد الرسول ﷺ فى إطار رخصة الأحرف السبعة ، إلا أنه سقط العمل بها بموجب « الإجماع » على مصحف عثمان .

– والخلاصة فى تعريف القراءة الشاذة أنها أصناف يهمنا منها الآن صنفان :

الأول : آحاد غير متواترة « وردت بخبر الواحد عن الواحد وليس الجماعة عن الجماعة » .

الثانى : شاذة غير مجمع عليها « بموجب خروجها على خط المصحف المجمع عليه » .

وتوصف القراءة بالشذوذ إذا توافر فيها الوصفان السابقان مجتمعين أو منفردين – إلا أن دور « المصحف الإمام » قد تركز على غربلة الصنف الثانى من القراءات مما خالف خطه الذى كتب به فى المقام الأول .

ومن هنا كان خط المصحف هو أول مقياس تاريخى لصحة القراءات فى تاريخ القرآن والقراءات القرآنية .

* إن المصحف الإمام هو أول كتاب فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، وبه انتقلت تلك الحضارة من مرحلة « الثقافة الشفاهية » إلى مرحلة « الثقافة المدونة » . وكان هذا إيذاناً « بانفجار المعرفة الإسلامية » وحتى يوم الدين ، أو قل هو طفرة فى تاريخ الإنسانية جمعاء .

* أن الفكرة الجوهرية التى تمحور حولها المصحف العثمانى كانت الإجماع .

** القراءات السبع ... الأشهر [1] :

* تكاثر القراءات بعد المصحف الإمام :

علمنا فيما سبق أن خط المصحف العثمانى جاء خاليًا من النقط (تشكيل الحروف كالفتحة والكسرة والضمة ... إلخ) والإعجام (النقط التى تلحق بالحروف المتشابهة فى الرسم لتميزها عن بعضها ، مثل تمييز الباء عن التاء عن الثاء ... وهكذا) .

وذكرنا أيضًا أن خلو خط المصحف من النقط والإعجام كان على الأغلب - متعمداً - على الأقل من ناحية الإعجام ، ذلك أنه قد ثبت أن الإعجام كان معروفًا ومستخدمًا فى الكتابة العربية قبل كتابة المصحف العثمانى ، مما لن نتوسع فى مناقشة صحته حاليًا .

أما الشكل فلم يكن مستخدما فى تلك الأيام ، ولكن تم ابتكاره فيما بعد بهدف ضبط المصاحف .

وعرفنا أيضًا أن خط المصحف الإمام جاء خاليا من النقط والإعجام ، إما للأسباب المذكورة ، أو - وهو الأرجح - لكى يتسع لأكثر من قراءة واحدة لنفس الكلمة على شرط الالتزام برسمها ، وأن تكون القراءة مما كان مسموحًا به بموجب رخصة التيسير .

وعلى سبيل المثال كلمة : فتبينوا ، رسمت هكذا فى المصحف العثمانى لأنها تحتمل القراءتين : فتبينوا ، وفتثبتوا سويًّا . أى أنه يمكن تلاوتها بالأولى أو بالثانية .

وهكذا سمح خط المصحف للاختلاف فى القراءات ، فى حدود رسم الكلمة المكتوبة ، واعتبر ما خالف الرسم هو الشاذ .

وقد كان التعويل فى ذلك على أن القرآن محفوظ فى الصدور ، قبل أن يحفظه كونه مكتوبًا فى مصحف . وأن القراءة الصحيحة لن تكون أى نطق محتمل لخط المصحف ، بل لابد أن تكون رواية عن رسول الله ﷺ .

إلا أن هذا التصور كان متفائلاً على ما يبدو .

---

(١) المنجد : ص ١٨ .

فقد دارت الأيام ، وكثر المقرئين والقرَّاء والحفاظ والرواة حتى بلغت عدداً كبيراً فاق الحصر ، مما بشر بقرب حدوث أزمة أخرى فى تاريخ القرآن ، وإن كانت مختلفة فى طبيعتها عن تلك التى كانت سبباً فى كتابة المصحف على عهد عثمان .

يقول ابن مجاهد فى كتابه السبعة (١) :

« كذلك ما روى من الآثار فى حروف القرآن ، منها المعرب السائر ، الواضح ، ومنها المعرب الواضح غير السائر ، ومنها اللغة الشاذة القليلة (الانتشار) ، ومنها الضعيف المعنى فى الإعراب غير أنه قد قرىء به ، ومنها ما توهم فيه فغلط به – فهو لحن غير جائز – عند من لا يبصر من العربية إلا اليسير ، ومنها اللحن الخفى الذى لا يعرفه إلا العالم النحرير ، **وبكلٍّ قد جاءت الآثار فى القراءات .**

والقراءة التى عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هى القراءة التى تلقوها عن أوليهم تلقياً ، وقام بها فى كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين ، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه » . أ . هـ .

ويشرح ذلك د . شوقى ضيف فى مقدمته لكتاب السبعة فيقول (٢) :

« رأينا فيما مضى أن القراءات أخذت تتكاثر ، حتى وصل بها أبو عبيد القاسم بن سلام نحو ثلاثين قراءة ، وتوسع فيها – فيما بعد – بعض القراء ، حتى وصل بها إلى نحو **خمسين قراءة .**

وأوشك ذلك أن يكون باباً لدخول شيىء من الاضطراب على السنة القرَّاء ، وكان منهم المتقن كما يذكر ابن مجاهد فى تقديمه للكتاب ، ومنهم غير المتقن الذى يعتريه النسيان .

---

(١) ص ٤٩ . (٢) السبعة : ص ٢٠ .

وزادت الطامة بما كان بعض القرَّاء يرويه – مثل **ابن شنبوذ** – عن مصحفى أبى (بن كعب) وابن مسعود ، وما كان آخرون مثل **ابن مقسم العطار يستنبطونه بعقولهم من احتمالات القراءة لخط المصحف العثمانى** مما جعل الحاجة تشتد إلى شيخ من شيوخ القرَّاء النابهين ، يضع الأصول والأركان لقبول القراءات من جهة ، وليختار طائفة نابهة من القرَّاء يكتفى بها عمن سواهم **حتى تستطيع عقول أوساط القرَّاء أن تتمثلهم وتستوعبهم** .

فاجتهد (ابن مجاهد) للأمة والدين وقرآنه العظيم ، وبالغ فى اجتهاده ، حتى استصفى سبعة من أئمة القرَّاء فى أمصار خمسة ، هى أهم الأمصار التى حملت عنها القراءات فى العالـم الإسلامى ، وهى المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ، واختار من المدينـة نافعًا ومن مكة ابن كثير ومن الكوفة عاصمًا وحمزة والكسائى ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ومن الشام عبد الله بن عامر » . أ . هـ .

ويحدثنا الدكتور عبد الفتاح شلبى [1] تحت عنوان ، ما بعد عهد عثمان فى العصرين الثانى ، والثالث حتى ابن مجاهد ، فيقول :

« .. ثم إن الرواة عن الأئمة (الصحابة) من القرَّاء كانوا فى العصر الثانى والثالث كثيرًا فى العـدد ، (حتى بلـغ من كان يجلس فى حلقة أبى الدرداء بدمشق ألفًا وستمائة) [2] ؛ كما كانوا كثيرًا فى الاختلاف [3] ، فأراد الناس فى العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التى توافق المصحف على **ما يسهل حفظه** ، وتنضبط القراءة به ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفا – إمامًا مشهورًا بالضبط والأمانة فى النقل ، توافق قراءته مصحف ذلك المصر فكان :

أبو عمرو من أهل البصرة .

---

(١) المدخل والتمهيد فى علم القراءات والتجويد ، د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الفيصلية – مكة المكرمة ص ٤ .

(٢) معرفة القراء الكبار للذهبى : ص ٣٨ .

(٣) الإبانة : ص ٨٦ .

وحمزة وعاصم والكسائى من أهل الكوفة .

وابن كثير من أهل مكة .

وابن عامر من أهل الشام .

ونافع من أهل المدينة .

وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أو فى نحوها وتابعه فى ذلك من أتى ، إلى الآن » أ . هـ .

*** أزمة القراءات على عصر ابن مجاهد سنة ٣٠٠ هـ :**

بعد نسخ المصحف الإمام سنة ٣٠ هـ ، وحتى سنة ٣٠٠ هـ فإن قضية القراءات قد تطورت فى اتجاه جديد ، نتج فى نهاية الأمر عن ظاهرة سلبية وصلت لحد الأزمة مما كان يستلزم وقفة ، وتفكيراً ، وقراراً ، وإجماعًا جديداً ، بهدف تصحيح المسار .

ومن العبارات السابقة يمكن تلخيص تطور الظاهرة فيما يلى :

١ - تكاثر القراءات حتى وصلت إلى نحو خمسين قراءة .

٢ - تكاثر القرَّاء حتى بلغ ألوفًا مؤلفة .

وقد شكل ذلك صعوبة بالغة على المقرئين والقرَّاء والحفَّاظ فى الاستيعاب .

٣ - تكاثر الاختلاف فى القراءات ، حتى تبلور فى اتجاهين رئيسيين شكلا العمود الفقرى للأزمة :

(أ) **اتجاه قديم** : تزعم إحياءه من جديد « ابن شنبوذ » ، حيث أراد العودة بالقراءات إلى مرحلة ما قبل المصحف العثمانى الإمام ، فكان يقرىء الناس بما ورد فى المصاحف القديمة من مصاحف الصحابة ابن مسعود وأبى بن كعب ، بما خرج عن خط المصحف العثمانى خارجًا بذلك عن الإجماع الذى انعقد للمصحف الإمام ، ومثيراً فتنة قديمة مضى عليها نحو ثلاثمائة عام ، وابن شنبوذ بهذا كان قد التزم بالرواية - وإن كانت آحاداً ، ولم يلتزم برسم المصحف .

(ب) **اتجاه جديد** : خطير للغاية تزعمه ابن مقسم العطار ، الذى كان

يستنبط بعقله قراءات دون أن يخـــرج عن رسم الحروف وخط المصحف العثمانى . أى أنه كان على العكس من ابن شنبوذ ، يلتزم بالمصحف الإمام ، ولا يلتزم بالرواية .

٤ - انتشر بين حملة القرآن على عهد ابن مجاهد أصنافًا منهم [١] :

- من مثله كمثل الأعرابى الذى يقرأ بلغته (لهجته) ولا يقدر على تحويل لسانه ، فهو مطبوع على كلامه .

- من يحفظ ، ولا علم له بالإعراب ، فلا يلبث أن ينسى ما حفظه لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره .

- من له علم بالنحو والإعراب واللغة ، ولا علم له بالقراءات والآثار ، فربما دعاه ذلك إلى أن يقرأ بحرف جائز فى العربية لم يقرأ به أحد من الماضين ، فيكون بذلك مبتدعًا (مثل ابن مقسم العطار) .

- ومنهم المدلس (تدليس إسناد أو تدليس شيوخ) .

- ومنهم المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلمات البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذى يفزع إليه حفَّاظ القرآن فى كل مصر من أمصار المسلمين [٢] .

*** دور ابن مجاهد :**

* من هنا ، تصدى ابن مجاهد (رحمه الله) لمواجهة هذه الإشكالية ، وبعبقرية مشهودة ، توصل إلى حل لها ، أجمع المسلمين حتى يومنا هذا على تأييده والاعتراف به ، حيث :

* استوعب كل ما وصل إليه من تراث القراءات والقرَّاء .

* قارن بينها جميعًا ، مستخدما عقله الناقد التحليلى .

---

(١) السبعة لابن مجاهد : ص ٤٥ ، بتصرف .

(٢) السبعة : ص٤٥ وما بعدها .

* وضع أركان القراءة المقبولة فكانت ثلاثة : مطابقة خط المصحف ، وصحة السند ، وموافقة العربية ولو بوجه .

* اتخذ الخطوات العملية لطرح الأركان الثلاثة على الرأى العام لتحصل على شرعيتها بأن :

١ – عقد محاكمة « لابن شنبوذ » بعد أن أثار عليه الرأى العام ، بحضور القضاه والفقهاء والقرَّاء سنة ٣٢٣ هـ ، حتى أعلن توبته .

وما أشبه ابن شنبوذ هنا بابن مسعود على عهـــد عثمان . وبذلك أقر – أو أعاد إقرار – الركن الأول وهو **خط المصحف العثمانى** .

٢ – عقد محاكمة مشابهة لابن مقسم العطار – الذى كان يقرأ من عند نفسه ، مع المحافظة على إطار رسم الحروف كما هى فى المصحف الإمام ، وهى بدعة خطيرة مفادها « إهدار السند » . فأعلن توبته هو الآخر .

فكان ذلك إعلانا للرأى العام على اعتماد الركن الثانى للقراءة المقبولة وهو **صحة السند** .

٣ – قام ابن مجاهد فى كتابه السبعة برد بعض القراءات المروية لأنها **لا توافق العربية** ، وبذلك يكون قد وضع الركن الثالث للقراءة المقبولة .

* حدد عدد القراءات التى ينوى اعتمادها بسبعة ، تيمنًا بعثمان حين أرسل سبع نسخ من مصحفه الإمام للأمصار .

* حدد الأمصار التى سيختار منها القرَّاء السبعة بقراءاتهم المعتمدة ، فجعلها هى نفس الأمصار التى أرسل عثمان نسخ المصحف الإمام إليها ، بعد أن استثنى منهم اليمن والبحرين حين لم يجد فيها من القرَّاء من تحلى بالمواصفات التى حددها للقارىء كما يريده .

فكانت الأمصار هى : المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام .

* حدد المواصفات التى ينبغى توافرها فى القرّاء الذين ينوى الاختيار من بينهم وهم كثر ، فكانت أن يكون مشهوراً [١] :

بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم ، وأن يكون قد طال عمره واشتهر أمره ،وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما قرأ وروى وعلمه بما يقرأ فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم .

* حدد أسماء الأئمة القرّاء السبعة على ضوء ما سبق ، وقد سبق ذكرهم .

* يقول مكى : « وأول من اقتصر على هؤلاء : أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أو فى نحوها (سنة ٢٩٠ هـ) [٢] ، وتابعه على ذلك من أتى بعده إلى الآن .

ولم تترك القراءة بقراءة غيرهم ، واختيار من أتى بعدهم إلى الآن » [٣] .

* * *

** فلسفة ابن مجاهد فى اختيار القرّاء السبعة :

إن القيمة الأصيلة التى استند عليها ابن مجاهد عند اختياره للقرّاء السبعة كانت تكمن جوهريًا فى إحساسه المرهف لنبض الجماهير فيما يطلق عليه حديثا « اتجاهات الرأى العام » .

من هنا جاءت اختيار ابن مجاهد لقرائه السبعة تعبيراً صادقًا عن نبض الرأى العام .

ومن هنا أيضا ، كتب لاختياره « الخلد » ، حيث لم تترك قراءة أى منهم إلى قراءة غيرهم إلى الآن ... وإلى أن يشاء الله .

---

(١) الإبانة : ص ٨٦ .

(٢) الاختيار .

(٣) توفى مكى سنة ٤٣٧ هـ .

وللرأى العام أكثر من خمسين تعريفًا [1] ، إلا أن علماءه اتفقوا على أنه :

- يمثل مجموعة من آراء جمع كبير من الأفراد .
- يتعلق بالمسائل الخلافية ، لا بالحقائق .
- يتعلق بمسائل تحوذ على اهتمام الناس .
- قوة حقيقية شأنه شأن الريح ، له ضغط لا تراه ولكنه ذو ثقل عظيم ، وهو كالريح لا تمسك بها ولكنك تحنى لها الرأس وتطيع .

ولقد تجلت عبقرية ابن مجاهد فى إحساسه المرهف بمدى ثقل هذه القوة الخطيرة ، وساعده تجرده لخدمة الحق ، وصدقه مع نفسه ، واستعلائه على تحقيق مجد شخصى ، ساعده كل ذلك إلى جانب ما تمتع به من قدرات عقلية متميزة ، وعقل ناقد ثاقب ، وبصيرة نافذة على أن يهتدى إلى « مفتاح الحل » وسط هذا الخضم المتلاطم .

وفى وقت تعددت فيه القراءات حتى وصلت لنحو خمسين قراءة ، مما كان يشكل خطراً كبيراً على مسيرة القرآن ، واتجهت جهود كل عالـم إلى أن يكون « صاحب قراءة » يتميز بها عن غيره ويدخل بها التاريخ من أوسع أبوابه ، اتجه ابن مجاهد اتجاهاً معاكساً تماماً ، فجاء الفتح على يديه .

يقول د . شوقى ضيف [2] :

« ومن طريف ما يروى عنه (ابن مجاهد) أن بعض تلاميذه ممن بهرتهم سعة روايته للقراءات وعلمه بوجوهها وضبط حروفها قال له :

لم لا تختار لنفسك قراءة تحمل عنك ؟

فقال (ابن مجاهد) :

نحن إلى أن نعمل أنفسنا فى حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا » .

---

(١) الرأى العام ، طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة العامة ، د . أحمد بدر وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٣ ص ٥١ ، وما بعدها .

(٢) السبعة : ص ٢٤ .

ويعلق د . شوقى ضيف على ذلك قائلاً : فهو قد وهب نفسه للوقوف على القراءات وتمثلها واستيعابها ، ولم يفكر فى أن ينفرد لنفسه بقراءة يشتهر بها وتعرف به ، ولو فكر لاستطاع فى يسر أن يتميز بقراءة يختارها من قراءات الأئمة ، وليكن مثلاً نافع أساسها ثم يتركه إلى حروف يختارها من لدن قرّاء آخرين يخالفه فيها ، وبذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميزة ، ولكن لم تكن هذه وجهته » . أ . هـ .

ورجل مثل ابن مجاهد لابد أن يأتى الحق على يديه ، وقد حدث . لأن ابن مجاهد لم يكن يجاهد لنفسه ، بل كان يجاهد فى الله ، فصدق فيه وعد الله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (1) .

وهداه الله إلى الحق فى مناخ فقد فيه الجميع الرؤية حيث تكاثرت القراءات والقرّاء حتى أصبح المسلم مثله كمثل من يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، أمواج من القرّاء من فوقها أمواج من القرّاء ، من فوقهم سحاب من القراءات ، حتى كاد « **القرآن** » **يضيع فى خضم** « **القراءات** » .

والتقط ابن مجاهد طوق النجاة ... الذى كان « **القراءة التى عليها الناس** » .

*** ابن مجاهد وعبقرية التناغم مع اتجاهات الرأى العام :**

بعد أن استوعب ابن مجاهد تراث القراءات كاملاً ، وبعد أن غاص بعقله التحليلى فى أعماق كل قراءة ، وبعد أن أعمل فكره الناقد فى كل مفردة منها وردت عن كل راوٍ ، وبعد أن ألمَّ بالاختلافات فى خط المصاحف العثمانية التى نسخها عثمان من مصحفه الإمام وبعث بها إلى الأمصار ، وبعد أن تبلور لديه مذهب كل قارىء فى قراءته فرشًا وأصولاً ، وبعد أن اكتمل لديه تصور عن أركان القراءة المقبولة التى تميزها عن غيرها مما أطلق عليها « شاذة » وهى موافقة الخط وموافقة العربية وصحة السند ؛ بعد أن فعل كل هذا ، لم يبق أمامه سوى

---

(1) العنكبوت : 69 .

أن يعثر على ضالته المنشودة ، وهى القراءات التى تجتمع فيها تلك الأركان الثلاثة أكثر من غيرها ، وفوجىء ساعتها بانها القراءات التى التف حولها الناس حين انفضوا عن غيرها ، وكأن ما توصل إليه ابن مجاهد بعدجهد جهيد كانت « أمة القرآن » قد توصلت إليه من عشرات السنين ، وعبرت عن هذا الاتجاه لديها بسلوك فعلى وهو الالتفاف حول هذا القارىء والإعراض عن آخر ، وبدرجات متفاوتة .

من هنا ، حدث التناغم العبقرى بين تفكير ابن مجاهد وبين تفكير العوام ، والذى نسميه « اتجاه الرأى العام » ، فأبصر ما لم يبصره غيره ، فالتقط القراءات السبعة من بين الخمسين بصفتها أنها كانت الأكثر شيوعاً وشهرة بين الناس والعوام ، وأنها هى التى التف الناس حولها بفطرتهم التى فطرهم الله عليها ، فالتقى « حدس الجماهير » « بدرس العلماء » على كلمة سواء ، كتب لها الخلد .

وليس هذا الكلام من زخرف القول ، ولا هو مدح وثناء على العقل الإسلامى بدون دليل ، فليس لهذا الغرض بذلت جهدى فى سبيل إخراج هذا الكتاب إلى النور . كما أنه ليس أيضاً ترديداً لما ذكره أحد من السابقين أو المعاصرين على ضوء ما فهمه أو استوعبه ، بل إن الدليل والبرهان يأتى من كلام ابن مجاهد بنصه ، وكما ورد فى كتابه السبعة ، وباستقرائه وصلنا إلى هذه النتيجة .

يقول ابن مجاهد فى مقدمة كتابه « السبعة » :

« وحملة القرآن متفاضلون فى حمله ، ولنقلة الحروف منازل فى نقل حروفه ، وأنا ذاكر منازلهم **ودال على الأئمة منهم ، ومخبر عن القراءة التى عليها الناس بالحجاز والعراق والشام** »[1] .

فبين هنا أن الأئمة من القرّاء هم أصحاب القراءة التى عليها الناس .

---

(١) السبعة : ص ٤٥ .

ثم قال مؤكداً على فكرته :

« فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلمات البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ، **فذلك الإمام الذى يفزع إليه حفَّاظ القرآن فى كل مصر من أمصار المسلمين** » (١) .

فأكد هنا على أن الحفَّاظ كانوا ينتقون لأنفسهم من بين القرَّاء على كثرتهم من كانت لديه القدرة على أن يوفر لقراءته ركن صحة السند ، وموافقة العربية . وكأن ابن مجاهد بهذه الكلمات المكتوبة بحروف من نور الصدق وإنكار الذات ينسب للناس وضع معايير القراءة الصحيحة بدلاً من أن ينسبها لنفسه فيشتهر بها .

ويقول ابن مجاهد أيضا مؤكداً على أن اختياره لم يكن سوى **اختيار الناس** ، **الخاصة منهم والعامة** على حدٍ سواء :

« **والقراءة التى عليها الناس** بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هى القراءة التى تلقوها عن أوليهم تلقياً ، وقام بها فى كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين ، **أجمعت الخاصة** / **والعامة** على قراءته وسلكوا فيها طريقه ، وتمسكوا بمذهبه » (٢) .

وعملاً بالقول المأثور : وبضدها تتضح الأمور ، يكشف لنا ابن مجاهد عن أن اختيار الناس لم يكن مجرد تبعية أو تقليداً أو انسياقًا أعمى ، بل كان انتقاءً واعيًا وبصيرة نافذة جعلتهم ينصرفون عن بعض القرَّاء ، وإن ذاع عنه أنه قد روى وحفظ .

يقول ابن مجاهد :

« وأما الآثار التى رويت فى الحروف (القراءات المختلفة) فكالآثار التى

---

(١) السبعة : ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٩ .

رويت فى الأحكام منها المجتمع عليه السائر المعروف ، **ومنها المتروك المكروه عند الناس المعيب من أخذ به ، وإن كان قد روى وحفظ** » [١] .

وهكذا كان يرى ابن مجاهد الرأى العام الإسلامى على مدى ثلاثمائة سنة ، كائنًا حيًّا يتمتع بعقل ناقد يميز الصحيح من المعيب ، فيتحرك وجدانه السوى فيحب الصحيح ويكره المعيب ، ثم ينتقل من مرحلة الحب والكره إلى مرحلة السلوك والفعل ، فيلتف حول الصحيح ، ويترك المعيب الذى كرهه ، وأن الرأى العام بهذا كان مثله كمثل الإنسان الرشيد السوى صحيح العقل والمشاعر والسلوك ، مؤمن كيس فطن لا تغره – فى كلام الله – أيه دعاية أو ترويج لقراءة لم يطمئن إليها ، وإن أتى بها من روى وحفظ .

ويشهد الله ، والتاريخ أن أمة محمد بموقفها هذا من القرآن والقراءات قد ضربت المثل – وبحق – على أنها كانت خير أمة أخرجت للناس ، وصدق فيهم ظن الله ، فأنعِم بهم .

* * *

*** * سبعة ابن المجاهد ... أئمة القراءة باختيار الناس :**

نوالى الحديث عن المقياس الذى اطمأن إليه ابن مجاهد عند اختياره لقرائه السبعة ، ونؤكد أن هذا المقياس كان فى المقام الأول هو اشتهاره عند الناس العامة منهم والخاصة ، والتفافهم حوله وتلقيهم منه وانصرافهم عن غيره من معاصريه ، وإن كانوا شيوخه الذين أخذ عنهم القراءة ولا يزالون أحياء يرزقون . فلم يكن مقياس « **الأقدمية** » يشكل بأى حال أى وزن أو اعتبار عند الناس . كما لم يكن التحيز لعرق أو عصب أو جنس أو لون أية قيمة أيضًا ، حيث أننا سنجد فى سبعة ابن مجاهد الأسود والأبيض ، والعربى والأصبهانى (الفارسى) ، والحر والمولى ،والأعمى والبصير ، والميسور والفقير ، والبشوش المتواضع والمترفع العزيز بنفسه حتى تكاد تدخله خيلاء ، كما سنجد بينهم المدنى والمكى

---

(١) السابق : ص ٤٨ .

والشامي والبصرى والكوفى . وقد وضع الرأى العام الرشيد لجمهور المسلمين كل هذه الاعتبارات فى حجمها الطبيعى ، ولم يعرها أى التفات حين انصرف بكل همه نحو التماس القراءة المقبولة ، حتى إذا وجدها عند أى منهم التف حوله ورفع بها ذكره، ونقط بها مصاحفه ، وحفظها ورددها وتلاها حق تلاوتها ، ولم يفته أن ينتقد منها ما رآه غير مقبـول حـتى يطمئن أو يغير الراوى روايته على ما تذكر كتب القراءات ، فمارس بهذا أيضًا دور الرقيب والمصحح ، فالحق أحق أن يتبع ، والله لا يستحيى من الحق .

فياله من قرآن معجز ، ويالها من أمة تورث الفخر والاعتزاز لكل من ينتمى إليها .

* * *

*** أحاديث وردت عن ابن مجاهد فيما يخص القرّاء السبعة :**

*** نافع الأصبهانى . . . إمام القرّاء بالمدينة :**

يقول ابن مجاهد فى كتابه السبعة :

« حدثنى عبد الله بن الصقر أبو العباس السكرى ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : سمعت أبا خليد الدمشقى يحدث عن الليث بن سعد أنه قدم للمدينة سنة عشر ومائة ، **فوجد نافعًا إمام الناس فى القراءة لا ينازع** ، قال المسيبى : يعنى ، **وشيبة يومئذ حى** »[1] .

وشيبة ، هو شيبة بن نصاح أحد شيوخ نافع وأساتذته ، كما أنه كان قاضى المدينة أيضًا .

وقال ابن مجاهد :

« أخبـرنى سلـيمان بن يـزيد أبـو عـبد الله البصـرى عـن أبى حاتم (السجستانى) عن الأصمعى ، قال : قال فلان : أدركت المدينة سنة مائة ونافع رئيس القرّاء بها »[2] .

(١ ، ٢) السبعة : ص ٦٢ .

وقال ابن مجاهد :

« حدثنى الحسن بن أبى مهران ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد ، قال : سمعت سعيد بن منصور ، يقول : سمعت مالكا (ابن أنس) يقول : قراءة نافع سنة »[1] .

قال ابن مجاهد :

« وكان (نافع) عالمًا بوجوه القراءات متبعًا لآثار الأئمة الماضيين ببلده ، أخذ القراءة عن جماعة من التابعين »[2] .... ثم ذكرهم .

قال ابن مجاهد :

« حدثنى عبد الله بن الصقر ، قال : سمعت المسيب يقول : توفى نافع سنة تسع وستين ومائة . قال أبو بكر ، **وعلى قراءة نافع أهل المدينة إلى اليوم** »[3] .

فهذا نموذج لقارئ ، فضَّل أهل المدينة قراءته على قراءة شيوخه .

*** ابن كثير ... مقرئ مكة :**

يقارن ابن مجاهد بين ابن كثير الذى اختار قراءته وبين أحد معاصريه من أئمة القراءة بمكة أيضًا وهو ابن مُحَيْصِنْ ، ويذكر أنه اختار قراءة ابن كثير لأنها القراءة التى التف حولها الناس واجتمعوا عليها . فأكد ابن مجاهد بذلك أن مقياسه كان اختيار الناس . يقول ابن مجاهد موضحًا ذلك :

« وكان فى عصر عبد الله بن كثير بمكة ممن تجرد للقراءة وقام بها محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمى ... وكان ابن محيصن عالمًا بالعربية ، **وكان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه ... ولم يجمع أهل مكة على قراءته** كما أجمعوا على قراءة ابن كثير »[4] .

---

(١) السابق : ص ٦٢ .

(٢) السابق : ص ٥٤ .

(٣) السابق : ص ٦٣ .

(٤) السبعة : ص ٦٤ – ٦٥ .

قال ابن مجاهد :

« والذى أجمع عليه أهل مكة على قراءته إلى اليوم ابن كثير » .

وهذا نموذج لقارىء ، فضَّل أهلٍ مكة قراءته على قراءة أحد معاصريه ، ممن تفرغ للإقراء ، وكـان عالمـا بالعـربية ، وأسـاتذته هم نفس أسـاتذة ابن كثير ، وهو أحد القرَّاء الأربعة عشر .

إلا أن أهل مكة انصرفوا عنه لأن له اختيار فى بعض القراءات لم يتبع فيها أصحابه . وقال فيه ابن الجزرى : لولا ما فى قراءته من مخالفة المصحف العثمانى لألحقتها بالقراءات المشهورة .

فانظر يا أخى كيف اختار الناس لأنفسهم قبل أن يختار لهم ابن مجاهد أو ابن الجزرى .

*** أبو عمرو بن العلاء . . . مقرىء البصرة :**

قال ابن مجاهد :

« وقد كان أبو عمرو بن العلاء وهو إمام أهل عصره فى اللغة **وقد رأس فى القراءة والتابعون أحياء** »[١] ، ولعله يعنى شيخه الإمام الحسن البصرى .

وقال[١] : « وكان فى عصره (بالبصرة) **جماعة من أهل العلم بالقراءة لم يبلغوه** ، منهم عبد الله بن أبى إسحاق ، وعاصم بن أبى الصباح الجحدرى وعيسى بن عمر الثقفى النحوى . **وكان هؤلاء أهل فصاحة أيضًا ، ولم يحفظ عنهم فى القراءة ما حفظ عن أبى عمـرو ، وإلى قراءته صار أهل البصـرة أو أكثرهم** »[٢] .

وقال : « ولم تزل العلماء فى زمانه تعرف له تقدمه ، وتقر له بفضله ، وتأتم فى القراءة بمذهبه »[٣] .

---

(١) السابق : ص ٤٧ .

(٢) السابق : ص ٨٤ .

(٣) السابق : ص ٨١ .

وقال ابن مجاهد :

« حدثنى محمد بن عيسى بن حيان ، قال : حدثنا نصر بن على قال : قال لى أبى : قال لي شعبة : أنظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختار لنفسه فاكتبه فإنه سيصير للناس إسناداً » (١) .

وبعد ، فهذا إمام من السبعة شهد له العامة والخاصة ، وانصرف أهل البصرة عن قراءة شيوخه ومعاصريه وتلاميذه على السواء ، والتفوا حول قراءته .

*** ابن عامر ... مقرىء الشام :**

قال ابن مجاهد :

« وعلى قراءة ابن عامر أهل الشام وبلاد الجزيرة إلا نفراً من أهل مصر ، فإنهم ينتحلون قراءة نافع ، والغالب على أهل الشام قراءة ابن عامر » (٢) ، وبالرغم من وجود بعض التحفظ لدى ابن مجاهد على بعض الروايات التى نسبت إليه ، إلا أنه كان يتربع على قمة الإقراء بالشام بلا منافس .

*** عاصم ... الكوفى :**

قال ابن مجاهد :

« وإلى قراءة عاصم **صار بعض أهل الكوفة** ، **وليست بالغالبة عليهم** ، ... وكان أهل الكوفة لا يأتمون فى قراءة عاصم بأحد ممن يثبتونه فى القراءة عليه إلا بأبى بكر بن عياش ، **وكان أبو بكر لا يكاد يمكن من نفسه من أرادها منه** ، فقلت بالكوفة من أجل ذلك وعز من يحسنها . وصار الغالب على أهل الكوفة إلى اليوم قراءة حمزة بن حبيب الزيات » (٣) .

وهنا يثور التساؤل عن السبب الذى حدا بابن مجاهد أن يخالف القاعدة التى وضعها لنفسه فيختار قراءة عاصم على الرغم من أن غالبية أهل الكوفة تركتها إلى قراءة حمزة ؟

---

(١) السابق : ص ٨٢ .

(٢) السابق : ص ٨٧ .

(٣) السابق : ص ٧١ .

والإجابة هنا تشهد لابن مجاهد ولا تشهد عليه . ذلك أن اختياره الوحيد الذى خالف فيه القاعدة التى وضعها لنفسه يدل على أنه ليس من ذلك النوع من البشر الذى يسير مغمض العينين ومغيب العقل على القواعد . إذ لكل قاعدة استثناء .

فلقد أكد ابن مجاهد أنه كان ينشد الحق أينما وجد . فإن وافق اختيار الناس ، وإلا فهو يختار لهم .

وهذا عين ما حدث عند اختياره لقراءة عاصم . فلقد أدرك وهو الخبير بالقراءات فضل هذه القراءة الذى لا ينكر . ثم بحث فى أسباب انصراف غالب أهل الكوفة عنها فوجدها أسباباً ذاتية غير موضوعية . ذلك أن الإمام العظيم عاصم بن أبى النجود « **كان إذا تكلم كاد يدخله خيلاء** »[1] ، فلعل هذا ما جعل العامة ينصرفون عن قراءته . فإذا أضفنا إلى هذا السبب أن شعبة (أبو بكر بن عياش) وهو أحد راويى عاصم ، والذى كان الناس فى الكوفة يأتمون بروايته عن عاصم ، كان هو الآخر « لا يكاد يمكن من نفسه من أرادها منه »[2] ، وصلنا إلى أن الناس لم ينكروا لقراءة عاصم فضلها ، إلا أنهم حين سعوا إليها ، وجدوا نوعاً من الاستعلاء ربما جرح كبرياءهم فانصرفوا عنها إلى غيرها غير منكرين لفضلها .

من هنا ، اعتبر ابن مجاهد انصراف أهل الكوفة عن قراءة عاصم لقراءة حمزة ، لم يكن لعيب شابها ، بل على العكس ، ربما كان هذا الخيلاء الذى نسب لصاحبها نتيجة لثقته الزائدة فى علو سنده الذى كان ينتهى إلى عثمان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما وهو ما لم يتوافر لأى قراءة أخرى ، يضاف إلى ذلك أن عاصماً كان قد أخذ قراءته عن أبى عبد الرحمن السلمى – التابعى الكبير – دون أن يخالفه فى حرف واحد . فإذا أضفنا إلى ذلك أن أحد راويى عاصم ، وهو حفص الذى يقرأ العالم الإسلامى على الغالب بقراءته اليوم ، لم

---

(١) السبعة : ص ٧٠ .

(٢) السبعة : ص ٧١ .

يخالف شيخه عاصم فى حرف واحد . وأن عاصم فضلاً عن ذلك كان يتمتع بذاكرة حافظة ليس لها نظير « قال عاصم : مرضت سنتين ، فلما قمت قرأت القرآن ، فما أخطأت حرفًا » (١) . إذا علمنا ذلك كله أدركنا السر وراء تمسك ابن مجاهد بقراءة عاصم - خلافًا لقاعدة الشهرة - فاثبت بذلك أنه كان عقلاً فذًا ، مستقلاً ، غاية فى المرونة ، يضع الأولوية للجوهر قبل المظهر ، ويرجح المضمون على الشكل ، ولا تعنى « القاعدة » عنده أكثر من كونها مجرد مرشد وهادٍ يسير فى ضوئه ولكنه لا يسير على قضبانها مغمض العينين ، كما يدل على أن عقله الناقد لا يتوقف للحظة واحدة عن النظر والتأمل وتقييم النتائج واختبار الفروض . ويدل أيضًا على رؤية شاملة تنير له الطريق فيتحرك بمرونة فذة يلتمس الحق ولو كان فى طريق معاكس .

وسوف تظهر الإحصائيات أن ابن مجاهد باختياره عاصمًا كواحد من القرَّاء السبعة الأئمة - خلافًا للقاعدة التى وضعها لنفسه - قد أهدى إلينا ، أدرك ذلك أم لم يدرك ، القراءة الذهبية التى تمحورت حولها باقى القراءات جميعها ، ودارت فى فلكها فرشًا وأصولاً . وللحديث بقية .

* حمزة ... مقرىء الكوفة :

قال ابن مجاهد :

« حدثنى على بن الحسن الطيالسى ، قال : سمعت محمد بن الهيثم المقرىء يقول : أدركت الكوفة ومسجدها الغالب عليه قراءة حمزة / ولا أعلمنى أدركت حلقة من حلق المسجد الجامع يقرءون قراءة عاصم » (٢) .

قال ابن مجاهد :

« حدثنى ابن أبى الدنيا ، قال : قال محمد بن الهيثم المقرىء ، أخبرنى الحسن بن بكار أنه سمع شعيب بن حرب يقول : أمَّ حمزة الناس سنة مائة » (٣) .

---

(١) السبعة : ص ٧٠ . (٢) السبعة : ص ٧٦ .
(٣) السبعة : ص ٧٥ .

وبالرغم من أن مقياس الشهرة قد توفر لحمزة ، إلا أنه يبدو أن مجاهد كان له بشأن بعض حروفه بعض التحفظات ، التى أبداها بوضوحه المعهود ، كما أبداها من قبل على بعض حروف انفرد بها ابن عامر .

قال ابن مجاهد :

« **وكان حمزة يعتبر قراءة عبد الله (بن مسعود) فيما لم يوافق خط مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه** » [١] . . . كان هذا عن فرش الحروف .

وقال أيضًا ، مثيرًا بعض الأخبار عن أصول قراءته :

« حدثنى على بن الحسن ، قال : حدثنا محمد بن الهيثم ، قال : قلت لعبد الله بن داود : **إن بعض الناس يكره قراءة حمزة أو نحو هذا** [٢] ، فقال ابن داود : سمعت كلام هؤلاء البصريين ؟ من كان أعلم من حمزة بعلمها وعلتها »[٣] .

قال ابن مجاهد :

« حدثنى على بن الحسن ، قال : قال محمد بن الهيثم : واحتج من عاب قراءة حمزة بعبد الله بن إدريس **أنه طعن فيها** ، وإنما كان سبب هذا أن رجلاً ممن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس عبد الله ، فقرأ ، فسمع ابن إدريس ألفاظًا فيها **إفراط فى المد والهمز وغير ذلك من التكلف المكروه** ، فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه . قال محمد : وهذا الطريق عندنا مكروه مذموم ، وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه ، وكذلك من أتقن القراءة من أصحابه » [٤] .

وقال ابن مجاهد : « وكل هؤلاء (تلاميذ حمزة) متقاربون لا يكادون يختلفون فى أصل من أصول قراءة حمزة ، غير أنهم **كانوا يتفاضلون فى الألفاظ**

---

(١) السابق : ص ٧٢ .

(٢) لعله يقصد الإمام ابن حنبل .

(٣) السابق : ص ٧٦ .

(٤) السابق : ص ٧٧ .

ورقة الألسن ، ويختلفون فى الإفراط فى المد والتوسط فيه وفى شيىء من الإدغام أيضاً اختلفوا ، وقد بينت ذلك فى كتابى هذا » (١) .

*** الكسائى ... مقرىء الكوفة :**

قال ابن مجاهد :

« وكان على بن حمزة الكسـائى قد قرأ على حمزة ونظر فى وجوه القراءات ، وكانت العربية علمه وصناعته .واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة .

وكان إمام الناس فى القراءة فى عصره ، وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءته عليهم » (٢) .

وقال خلف : « كنت أحضر بين يدى الكسائى وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم » .

وهكذا أثبت ابن مجاهد للمقرىء النحوى الإمام الكسائى أنه كان إماماً للناس ، إلا أنه لم يفته أن ينوه إلى أنه كان تلميذاً لحمزة ، وأن قراءته كانت هى قراءة حمزة فى الأساس ، ثم خالفه فيها فى حروف أخذها عن غيره من أئمة القرَّاء ، ووصفها بذلك أنها قراءة متوسطة .

وسوف تظهر الدراسة الإحصائية الاتجاه الذى إليه ذهب الكسائى مخالفاً أستاذه حمزه فى بعض حروفه ، فرشاً وأصولاً حتى ألف لنفسه قراءة باسمه ، نسبت إليه ، ورشحته كواحـــد من سبعة ابن مجاهـــد ، وهـــو عين ما رفض ابن مجاهد القيام به ، مع قدرته .

* * *

*** فكرة « الشهرة » عند ابن مجاهد :**

وبعد ، **فإن الفكرة الجوهرية التى تمحور حولها عمل ابن مجاهد كانت تنصب على « الشهرة » .**

---

(١) السابق : ص ٧٧ .

(٢) السابق : ص ٧٨ .

فعندما يتكلم مكى بن أبى طالب عن السبعة فإنه يقول : « السبعة المشهورين »[1] .

ويقول ابن الجزرى عن مؤلف كتاب السبعة (ابن مجاهد) بأنه اشترط الأشهر[2] . ، كما يصف كتابه السبعة بأنه من الكتب « المشهورة المتلقاة بالقبول »[3] . ثم لجأ ابن الجزرى إلى وصف « المشاهير » أيضاً ليتوج به الثلاثة المكملة للعشرة حين قال : « فى سرد مشاهير من قرأ بالعشرة »[4] .

كذلك أورد نفس اللفظ الدمياطى البنا حين قال : « ... القرَّاء المشهورين » .

فإذا أضفت إلى ذلك ما ورد آنفًا على لسان ابن مجاهد مرارًا وتكرارًا من وصف « الشهرة » الذى نسبه لقرائه المصطفين ، لتأكد لدينا أن « الشهرة » كانت هى الفكرة المحورية عند ابن مجاهد .

ولقد انعكس مفهوم « الشهرة » هذا على مفهوم « الشذوذ » عند ابن مجاهد ومن أتى بعده مثل ابن جنى[5] ، وتصوروا أن « **الشذوذ** » لا يعنى « **الضعف** » ، **إنما يعنى قلة القرَّاء به فى الأمصار بالقياس إلى قراءات السبعة[6] ، ليس إلا .**

*** ابن مجاهد ... وفكرة « التواتر » :**

لم يرد عن ابن مجاهد أنه أثار قضية « التواتر » ، بل اكتفى بمقياس « صحة السند » كما ظهر ذلك فى كتابات الإمام أبو عمرو الدانى (ت٤٤٤هـ) . ومكى بن أبى طالب[7] (ت ٤٣٧ هـ) .

إلا أن بعض علماء القراءات لم يكتف بمقياس « صحة السند » بل اشترط

---

(١) الإبانة : ص ١١٥ .
(٢) المنجد : ص ١٨ .
(٣) المنجد : ص ١٩ .
(٤) المنجد : ص ٢٩ .
(٥ ، ٦) راجع المحتسب فى شواذ القرآن لابن جنى .
(٧) السبعة : ص ٢٢ .

« التواتر » ، وقد تفجرت تلك القضية على يدى ابن الجزرى وابن الحاجب ، على أساس أن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن [١] .

وقضية التواتر برمتها ستطرح نفسها عند الحديث عن ابن الجزرى ، حيث أرى أنها كانت محوراً رئيسيًا من محاور الصراع الذى خاضه إلى جانب محـور « تعشير العشرة » الذى أعتقد أنه كان الهـدف الرئيسى لمعارك ابن الجزرى قاطبة .

فابن الجزرى – كما سنرى – كان همـه الأول إلحاق القـراءات الثلاث لأبى جعفر ويعقوب الحضرمي وخلف العاشر بالسبعة المشهورة لابن مجاهد .

وكان المناخ السائد قد بدأ يضفى شرعية « التواتر » على القراءات السبع المشهورة فرشًا وأصولاً . وبدأ الجدل العلمى يثور حول هذه النقطة ، وحول رفع شرط القراءة المقبولة من مجرد « صحة السند » كما نص على ذلك مكى فى إبانته إلى « التواتر » .

وقد حاول ابن الجـزرى القـفز على الأحـداث حين سعى لإضفاء شرعية « التواتر » على القراءات العشره ، فوقع فى مصيدة الجدل الدائر بشأن تواتر السبعة – فضلاً عن العشرة . وقد دفع ثمن ذلك غاليًا فيما بعد ، حين اضطر للتنازل عن شرط « التواتر » [٢] من جهة ، وحين لم تضف الفتوى « بتواتر العشر » أى ثقل للقراءات الثلاث يوازى ثقل سبعة ابن مـجاهد حتى يومنا هذا . وهذا حكم التاريخ الذى لا تصنعه الفتاوى .

* * *

**** ابن الجزرى . . . العشرة متواترة معلومة من الدين بالضرورة :**

*** مقدمة :**

علمنا أن « المصحف الإمام » جاء ليشذذ من القراءات ما خرج عن رسمه وخطه . . . وأنه استمد شرعيته من « الإجماع » .

---

(١) الإتحاف : ص ٦ .

(٢) انظر النشر ج ١ : ص ١٣ .

والإجماع كان كافيًا فى حينها لإخماد فتنة الاختلاف فى القراءات الذى انطلقت شرارته فى العراق حين اختلف الناس فى المسجد على قراءتى أبى موسى الأشعرى وقراءة عبد الله بن مسعود الذى ساهم تعصبه لقراءته وإبداء مشاعر الغضب فى وجه حذيفة بن اليمان وعلى مرأى ومسمع من الناس فى تفجير الموقف . ومن هنا سارع حذيفة إلى إبلاغ عثمان ، فاتخذ قراره بكتابة المصحف بشكل تزول معه أسباب الصراع المؤدى للفتنة ، فجاء خطه ورسم كلماته على ما أجمع الناس أنه قرآن ، طبقًا للعرضة الأخيرة للرسول ﷺ على جبريل ، وبلسان قريش ، وبالحرف الذى قرأه النبى ﷺ ، وبذلك خرَّج المصحفَ الإمامُ من القراءات تلك التى كان مسموحًا بها من قبل من زيادة كلمة أو نقص كلمة أو إبدال موضع كلمتين أو زيادة ربما كانت بغرض التفسير . وكانت تلك النوعية من القراءات هى بعينها ما تسبب فى حدوث الأزمة ، حيث كانت موجودة فى مصاحف كبار الصحابة الذين انصب اهتمامهم على نقل الوحى من أمثال عبد الله بن مسعود بالعراق وأبى بن كعب بالمدينة وغيرهم كثير . ومن ثم أمر عثمان بتحريق كل هذه المصاحف المخالفة لمصحفه ، كوسيلة لإزالة أسباب الفتنة الحقيقية .

أما عن شكل الإجماع الذى مكَّن لهذا القرار فقد كان إجماعًا من الخاصة والعامة على السواء . أما إجماع الخاصة ، فقد ذكرنا مثالاً له بتأييد على بن أبى طالب ولجنة كتابة المصحف وغيرهم . وأما إجماع العامة ، فقد تمثل فى تأييد ومشاركة نحو اثنى عشر ألفا من الصحابة والتابعين ، كما تمثل بصورة أوسع حين التف العامة فى كافة الأمصار حول مبعوثى عثمان إلى الأمصار بنسخ من المصحف الإمام ، يتلقون منهم القراءة عن قناعة تامة ورضى واطمئنان ، فلا معارضة ولا تحزب ولا تعصب ولا مشاعر استياء لمصحف تم حرقه ، أو لقراءة تم حذفها .

من هنا ، كان هذا الإجماع كافيًا من وجهة النظر العملية لحل أزمة طارئة لم ينظر إليها من قبل على أنها مشكلة فى ضوء رخصة التيسير بموجب حديث

الأحرف السبعة . وقد جاء الحل فى صورة تنازل جزئى عن جانب من الرخصة فى مقابل توحيد الكلمة ودرء فتنة الاختلاف ، وتحقيقًا للمصلحة العامة .

والمصلحة العامة هنا لم تكن « واقعية » بقدر ما كان « مثالية » . وأعنى بذلك أن المصلحة لم تنصب على مجرد إخماد لنار الفتنة بهدف تحقيق الاستقرار السياسى مهما كان الثمن ، مما يصلح معه استخدام مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » . فهذا يدخل فى إطار « التفكير الواقعى » . أما « المصلحة » التى جاء ذكرها نصًّا فى كتب أئمتنا وعلى رأسهم ابن الجزرى ، فقد انصبت على « حماية القرآن من التحريف » فى المقام الأول . وهذا ما فهمناه أيضًا من موقف الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان . إذ أنه حين سارع بإبلاغ عثمان بما حدث ، لم يكن دافعه إلى ذلك خوفه من اختلاف الناس ، بل كان فى المقام الأول خوفه على « القرآن ... المثال » ، من أن يلقى مصير ما سبقه من الكتب السماوية – التوراة والإنجيل – من التحريف بعد الاختلاف فيه .

والخلاصة أن المصحف الإمام جاء ليحفظ « كلام الله » فى صورة مكتوبة ، بعد تنقيته من كل كلام ليس بقرآن من أمثال :

« كالصوف المنفوش » مكان ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [1] ، و « وعنى حين » مكان ﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾ [2] ، و (إذا جاء فتح الله والنصر) بدلاً من ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [3] ، وقراءة (إن الله لا يظلم مثقال نملة) بدلاً من ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [4] .

كان هذا سنة ٣٠ هـ أو نحوها . فلما جاءت سنة ٣٠٠ هـ على عصر ابن مجاهد كانت المشكلة قد غيرت من طبيعتها كما وكيفًا .

فأما من جهة الكم ، فلقد تضخم عدد القراءات حتى وصل إلى نحو خمسين قراءة ، وأصبحت المشكلة تتمثل فى صعوبة استيعاب أو حفظ كل هذا

---

(١) القارعة : ٥ .
(٢) الذاريات : ٤٣ .
(٣) النصر : ١ .
(٤) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

الكم من القراءات ، وبدأ الخطر يلوح فى الأفق من أن يتوه « القرآن » وسط هذا الخضم من « القراءات » .

وأما من ناحية الكيف ، فقد كان الخطر أعظم ، حين سولت للبعض أنفسهم بأن يبتدعوا قراءات من عندياتهم ، تلتزم بخط المصحف وبلغة عربية فصيحة إلا أنها غير مروية ولا سند لها ، ضاربين عرض الحائط المبدأ الأصولى القائل : « القراءة سنة متبعة » يتلقاها الآخر عن الأول . وكان ابن مقسم العطار نموذجًا لهذا الصنف .

من هنا ، قام ابن مجاهد بإزالة أسباب المشكلة بشقيها .

فخفض عدد القراءات إلى سبعة . ووضع شرطًا للقــراءات المقبــولة وهو « صحة السند » . وهاتان الخطوتان كانتا جوهر الحل لإزالة السببين الرئيسيين فى مشكلة القراءات على عهد ابن مجاهد كمًّا وكيفًا .

*** أزمة القراءات على عصر ابن الجزرى :**

فلما جاءت سنة ٨٠٠ هـ أو نحوها ، والناس على سبعة ابن مجاهد ، لم يكابر فى أحد منهــم مســلم ، جاءت المشكلة من اتجاه جديد تمامًا هو اتجاه العمق . ذلك أن الأعوام تمر والعقل لا يمل من التفكير . فلما استقر الأمر على السبعة الأشهر ، كان لزامًا أن تتعمق الدراسات والأبحاث فى تلك القراءات . فتناولها العلماء بالدرس والتحليل والمقارنة والنقد ، حتــى طفا على السطح رأيان ، اشتم منهما ابن الجزرى رائحة الخطر على « شرعية القرآن » . فهب للذود عن حياض القرآن ونجدته ، ونشب الصراع بينه وبين صاحبى الرأيين ، وهما من أئمة العلم فى القراءات : ابن الحاجب وأبو شامة .

وجدير بالذكر أن هذا الصراع كان صراعًا أكاديميًّا بحتًا فى ظاهره ، إلا أنه كان يمس « القرآن » فى الصميم ، وكان يدور حول « التواتر » .

و « التواتر » كلمة ذات تأثير خاص للغاية فى نفوس المسلمين ، فهى عندهم مرادف « لليقين » . ولم تكن تحمل ذات الثقل على أيام ابن مجاهد ،

حيث كانت تقوم بهذا الدور كلمات أخرى لها نفس التأثير والثقل فى وجدان الناس آنذاك مثل « سنة متبعة » ، و « صحة السند » ، و « المشهور » .

أما على عهد عثمان ، فقد كان « الإجماع » هو الذى يورث اليقين فى النفوس ، لأنه كان إجماع الصحابة الذين عاصروا النبى ﷺ .

*** لغة الخطاب عند ابن الجزرى :**

« فاليقين » الذى عبر عنه « بالتواتر » كان هو محور صراع ابن الجزري ، ولذلك فقد كان لزاماً الاستعانة فى هذا الصراع بأسلحة تتناسب مع ثقله ، من أمثال « المعلوم من الدين بالضرورة » الذى هو حد الردة ، وأن يرتفع « منع الكراهة إلى منع التحريم » ويوصف هذا التشدد بأنه « لا إشكال فى ذلك » ، ثم وصف ما كان متساهلاً فى شأنه « بالبدع والأهواء » مع عدم الاكتفاء بالتلويح ، بل بالتخصيص أن ذلك هو شأن بعض المعتزلة والرافضة ، وأخيراً الحكم بالكفر صراحة على أمثال ابن مقسم العطار الذين يقرأون « من غير نقل » ، مع تطعيم الحوار من وقت لآخر بكلمات صاروخية من أمثال : « تأديب » و « استتابة » و « مباحث لا طائل من تحتها » و « اتسع الخرق » و « غاية فى السقوط » و « أحضر واستتيب وكتب عليه محضر بذلك وبرجوعه » و « انظر يا أخى إلى هذا الكلام الساقط » و « الأخذ بالأدب بالضرب والسجن » و « وجب عليه القتل » و « ينبغى أن يعدم هذا الكتاب من الوجود ولا يظهر البتة وأنه طعن فى الدين » و « إلا نويس (تصغير ناس بهدف الاحتقار والازدراء) » و « قلة حياء » و « كثرة الجهل » و « هذا كلام من لم يدر ما يقول » . . .

والكلمات والعبارات السابقة جميعها وردت بالنص فى كتاب ابن الجزرى « منجد المقرئين ومرشد الطالبين » الذى لا تتعدى صفحاته الثمانين صفحة ، وهى تعبر بوضوح عن « لغة الخطاب » الذى انتهجه ابن الجزرى فى معركته الشرسة ضد ابن الحاجب وأبى شامة كممثلين عن اتجاه اشتم فيه ابن الجزرى فى

مطلع شبابه رائحة الخطر الشديد الذى يوشك أن يصيب القرآن فى مقتل ، وبصرف النظر عن نوايا أصحاب الرأى الآخر أو مقاصدهم ، فالأمر جدلا يحتمل الهزل ، ولا حتى الفذلكة الأكاديمية .

والحق أن كل مسلم – وإلى أن تقوم الساعة – لمدين بالفضل لابن الجزرى فى جهاده هذا للمنافحة عن القرآن والقراءات القرآنية . وقد وصفه الإمام البنا الدمياطى صاحب « إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر » وصـفه بأنه « محرر الفن » [١] يقصد فن القراءات .

أما أنا ، فأحب أن أسميه « أبو القراءات » . . .

رحم الله ابن الجزرى ، فإن سلاحه الحقيقى الذى حارب به معركته لم يكن تلك الكلمات والعبارات التى أشرت إليها والتى تعبر أصدق التعبير عن مدى حماسه الصادق ، ولكن سلاحه الحقيقى كان فى « الدقة العلمية البالغة » التى تناول بها موضوع الخلاف ، والقـــدرة الإقناعية الفائقة على دحض آراء مخالفيه . ورجل كابن الجزرى جمعت جوانب شخصيته بين التفكير العلمى الدقيق والقدرة الإقناعية الفائقة ومن ورائهما حب جارف للقرآن ، لجدير بأن ينتصر فى معركته ، ثم يدون فى سجل الخالدين .

فماذا كانت معركته بالتفصيل ؟ وماذا عن نتائجها ؟

يأتى الجواب من توجهات معارضيه الرئيسيين ابن الحاجب وأبى شامة ، فماذا كانت توجهاتهما الأساسية ؟ .

*** كان ابن الحاجب يرى : تواتر القراءات السبع فى الفرش وعدم تواترها فى الأصول . . . والقراءة : فرش وأصول .**   *** وكان أبو شامة [٢] يرى : تواتر القراءات المتفق عليها فقط عند القرّاء السبعة وعدم تواتر ما انفرد به كل قارىء فقرأه وحده .**

* * *

---

(١) الإتحاف : ص ٧ . (٢) ت ٦٦٥ هـ .

*** القراءة : فرش وأصول :**

يقول د . عبد الفتاح شلبى [1] : « الاختلاف بين القرَّاء نوعان :

الأول (الأصول) : يكون فيما يطرد ، ويكثر دورانه فى القرآن الكريم ، **ويجرى القياس عليه** . وذلك النوع يسمى **الأصول** ، مثل :

الإظهار والإدغام ، والإخفاء ، والمد ، والفتح والإمالة ، وتفخيم الراءات أو ترقيقها . . . وهكذا .

والآخر (الفرش) : والنوع الآخر يكون فى تلك الكلمات المتفرقة فى القرآن الكريم ، والتى يقل دورها ، وورودها فى السور ، **ولا يقاس عليها** ، وذلك مثل اختلاف القرَّاء فى القراءة :

- بالتذكير والتأنيث : فى مثل : يقبل وتقبل .
- وبالتوحيد والجمع : فى مثل : كتابه وكتبه .
- وبالتخفيف والتشديد : فى مثل : يكْذبون ويُكذِّبون .
- بالغيب والخطاب : فى مثل : يعملون وتعملون .
- وبالإسكان والضم : فى مثل : قدْس وقدُس .
- وباختلاف حركات الإعراب : فى مثل : ولكنِ الشياطِين ، ولكنَّ الشياطين .
- وبالأمر والإخبار : فى مثل : واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى .

واتخَذوا من مقام إبراهيم مصلى .

وسمى هذا النوع **بالفرش (أو بالفروع)** » ا . هـ .

* * *

---

(١) المدخل والتمهيد فى علم القراءات والتجويد ، تأليف د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ص ١٠١ .

**** معركة ابن الجزرى - ابن الحاجب :**

* كانت أقوال ابن الحاجب تمثل عقبة رئيسية أمام الهدف الذى يسعى ابن الجزرى لتحقيقه ، ومن هنا جاء الصراع .

فابن الحاجب كان يقول بتواتر السبع باتفاق ، وتواتر الثلاث المكملة للعشر باختلاف ، وشذوذ ما وراء ذلك . وقوله هذا كان عقبة رئيسية أمام ابن الجزرى وهو يحاور قاضى القضاة [1] لإقناعه بتواتر العشر وإصدار فتوى بذلك . ومن هنا بدأت المعركة .

إلا أن ما يستوجب الانتباه فى حوار ابن الجزرى عبارة لها مغزاها إذ قال [2] :

« . . . قلت له ما معناه : كان ينبغى أن تقول والعشر (متواترة) ولابد .

فقال لى (الشيخ ابن السبكى) : أردنا التنبيه على الخلاف .

فقلت : يا سيدى وأين الخلاف ؟ وأين القائل بالخلاف ؟ ومن نص من الأئمة أو غيرهم على أن قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف غير متواترة ؟ .

فقال : يفهم من **قول ابن الحاجب : والسبع متواترة** .

فقلت : أى سبع ؟ .

وعلى تقدير أن يقول هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر [وعاصم] [3] وحمزة والكسائى مع أن كلام ابن الحاجب ما يدل على ذلك ، فقراءة خلف لا تخرج عن قراءة أحد منهم أبداً ولا عن قراءة عاصم وحمزة والكسائى فى حرف واحد .

فكيف يقول أحد بعدم تواترها مع ادعائه تواتر السبع ؟ .

---

(١) عبد الوهاب السبكى .

(٢) المنجد : ص ٥٠ .   (٣) سقطت .

وأيضًا فلو قلنا إن مراده قراءة هؤلاء السبعة ، فمن أى رواية ومن أى طريق ، ومن أى كتاب ؟ .

فالتخصيص لم يدَّعه ابن الحاجب . ولو ادعاه لما سلم إليه ، ولا يقدر عليه . بقى الإطلاق وهو : **كل ما جاء عن السبعة .**

فقراءة يعقوب وأبى جعفر فيما انفردا به جاءت عن السبعة » . أ هـ .

ويهمنا من الحوار السابق العبارة الأخيرة التى تفيد بأنه إذا كان من المستحيل إطلاق لفظ التواتر على سبيل التخصيص لتعدد الرواة والطرق والوجوه ، فلايبقى غير الإطلاق الذى يعنى تواتر كل ما جاء عن السبعة المشهورة ، وكأن التواتر قد انتقل من كونه صفة للقراءات السبع إلى كونه صفة للقرَّاء السبع على الإطلاق ، وبهذا يمكن أن يدخل فيهم من قرأ بقراءتهم فلم يخرج عنها ، وهم القرَّاء الثلاثة المكملين للعشرة .

وتواتر القرَّاء الثلاثة جاء تدعيمًا لتواتر السبعة المشهورين وما وراء القرَّاء العشرة فشاذ .

وإذا كان ابن الجزرى قد نجح فى هذه الجولة ، فأصبح « معشر العشرة » إلا أنه لم ينجح فى إضفاء صفة « التواتر » على القراءات العشر بجميع مكوناتها فرشًا وأصولاً ، وقف فى سبيله أيضًا ابن الحاجب بقوله : الفرش متواتر والأصول غير متواترة .

وكان هذا هو مدار الصراع فى الجولة الثانية بينهما .

* يقول ابن الجزرى تحت عنوان « فى أن القراءات العشر متواترة فرشًا وأصولاً حال اجتماعهم وافتراقهم وحل مشكل ذلك » [1] : « اعلم أن العلماء بالغوا فى ذلك نفيًا وإثباتًا . . .

أما من قال بتواتر الفرش دون الأصول فابن الحاجب ، قال فى مختصر الأصول له :

---

(١) المنجد : ص ٥٧ .

القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتخفيف الهمزة ونحوه . فزعم أن المد والإمالة وما أشبه ذلك من الأصول كالإدغام وترقيق الراءات وتفخيم اللامات ونقل الحركة وتسهيل الهمزة **من قبيل الأداء ، وأنه غير متواتر .**

وهذا قول غير صحيح كما سنبينه » . أ هـ .

ومضى ابن الجزرى فى منجده يفند هذا القول بدقة لا باس بها ، إلى أن قال (١) :

« وليت الإمام ابن الحاجب أخلى كتابه (مختصر الأصول) من ذكر القراءات وتواترها كما أخلى غيره كتبهم منها .

وإذ قد ذكر فليته لم يتعرض إلى ما كان من قبيل الأداء .

وإذ قد تعرض فليته سكت عن التمثيل .

فإنه إذا ثبت أن شيئًا من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواترًا عن النبى ﷺ كتقسيم وقف حمزة وهشام وأنواع تسهيله فإنه – وإن تواتر تخفيف الهمز فى الوقف عن رسول الله ﷺ – فلم يتواتر أنه وقف على موضع خمسين وجهًا ولا بعشرين ولا بنحو ذلك ، وإنما إن صح شيىء فيها فوجه .

والباقى لا شك أنه من قبيل الأداء » أ هـ .

وهكذا وافق ابن الجزرى على كلام ابن الحاجب فى قسم منه ، وهو وجوه تقسيم وقف حمزة وأنواع تسهيل هشام ، وإن عارض ابن الحاجب فى ضرورة تواتر الهمز بصفة عامة عن الرسول ﷺ ، هذا وإلا تعرض القرآن للخطر .

وأما عن المد فقد اعترف ابن الجزرى أيضًا – وبنفس الأسلوب السابق – بان **الجزء المشترك من المد فقط هو الذى يمكن اعتباره متواترًا** ، ونفى **صفة التواتر عن اختلاف درجاتهم فى المد** ، حين قال (٢) :

(١) المنجد : ص ٦٢ .

(٢) المنجد : ص ٥٩ .

« وكيف يكون المد غير متواتر وأجمع الناس عليه خلفا عن السلف ؟ .

فإن قيل : قد وجدنا القرّاء في بعض الكتب كالتيسير للدانى وغيره جعل لهم فيما مد للهمز مراتب فى المد إشباعًا وتوسطًا وفوقه ودونه وهذا لا ينضبط إذ المد لاحد له ، **وما لا ينضبط كيف يكون متواترا** ؟ قلت (ابن الجزرى) : **نحن لا ندعى أن مراتبهم متواترة** !! وإن كان قد ادعاه طائفة من القرّاء الأصوليين . بل نقول إن المد العرضى من حيث هو متواتر مقطوع به قرأ به النبى ﷺ وأنزله الله تعالى عليه وأنه ليس من قبيل الأداء **فلا أقل من أن نقول القدر المشترك متواتر ، وأما ما زاد على القدر المشترك كعاصم (رواية شعبة) وحمزة وورش فهو إن لم يكن متواترا فصحيح مستفاض متلقى بالقبول .**

ومن ادعى تواتر الزائد على القدر المشترك فليبين » . أ . هـ .

وهكذا فشل ابن الجزرى فى جولته الثانية مع ابن الحاجب فى دحض ادعائه بعدم تواتر الأصول فى القراءات السبع المشهورة بصورة نهائية ، بل واعترف ابن الجزرى – صراحة – وكما بينا فى أكثر من موضع ، بعدم تواتر جزئى فى الأصول ، وأنه يكفينا القول بأنها صحيحة (خبر آحاد) مستفاضة متلقاة بالقبول وإن لم تبلغ درجة التواتر . . . **وتحدى من يدعى غير ذلك أن يبينه** ، فالبينة على من ادعى .

ولم يرد إلى علمنا من فعل حتى يومنا هذا .

* * *

**** معركة ابن الجزرى – أبى شامة (ت ٦٦٥ هـ) :**

كان من نتائج المعركة الفكرية السابقة أن تراجع ابن الجزرى قليلاً عن فكرة شرط التواتر كأصل من أصول القراءة المقبولة ، والذى أراد أن يثبته بديلاً عن شرط « صحة السند » .

إلا أن أهم نتائج معركته الفكرية الثانية مع أبى شامة تمثلت **فى تراجعه عن الإصرار على التزام التواتر فى جميع الألفاظ المختلف فيها .**

قال ابن الجزرى [1] :

« قال أبو شامة فى المرشد (الوجيز) : فالحاصل أننا لسنا ممن يلتزم التواتر فى جميع الألفاظ المختلف فيها .

قلت (ابن الجزرى) :

ونحن كذلك ... لكن فى القليل منها [2] !! » أ هـ .

وهكذا وجد ابن الجزرى نفسه مضطرًا للاعتراف بوجود « قليل من عدم التواتر » فى فرش الحروف .

وملخص نتائج معارك ابن الجزرى هى :

(١) الفوز المؤقت فى معركة « تعشير العشرة » ... وصدرت الفتوى بذلك .

(٢) الهزيمة النسبية فى معركة إحلال ركن « تواتر السند » محل ركن « صحة السند » .

* فى الأصول ... أمام ابن الحاجب .

* فى الفرش ... أمام أبو شامة .

- **تراجع ابن الجزرى عن شرط التواتر فى حروف الاختلاف :**

فما كان من ابن الجزرى إلا أن تراجع عن شرط « تواتر السند » .

واعترف بأنه « رأى فاسد » [3] على حد قوله فى كتابه « النشر » فقال فيه :

« وقد شرط بعض المتأخرين التواتر فى هذا الركن ولم يكتف فيه بصحة السند ، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأن ما جاء مجىء الآحاد لا يثبت به قرآن . وهذا مما لا يخفى ما فيه .

---

(١) المنجد : ص ٦٧ .

(٢) وباقى عبارة ابن الجزرى : « كما تقدم فى الباب الثانى (من المنجد) » .

(٣) النشر ص ١٣ .

فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين وغيره . إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم خالفه .

وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف ، انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم .

ولقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده » أ هـ .

ويجب التنبيه هنا على عدة نقاط :

– ولد ابن الجزرى سنة ٧٥١ هـ .

– انتهى من تأليف كتابه « منجد المقرئين ومرشد الطالبين » سنة ٧٧٣ هـ.

– انتهى من تأليف كتابه « النشر فى القراءات العشر » سنة ٧٩٩ هـ .

أى أن ابن الجزرى كان عمره ٢٣ سنة عندما ألف « المنجد » ، الذى اشترط فيه التواتر .

وكان عمره حوالى ٤٨ سنة عندما ألف النشر ، واعترف فيه بفساد رأيه بضرورة اشتراط « التواتر » بدلاً من « صحة السند » ، متابعًا فى ذلك ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) وإن لم يعلنه ، ومكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) فى إبانته .

* وقد اعترض من علماء القراءات المعاصرين د . شعبان إسماعيل على رأى ابن الجزرى بخصوص اكتفائه بشرط « صحة السند » وتنازله عن شرط « التواتر » كركن من أركان القراءة المقبولة . ويثير د . شعبان القضية فى كتابه « القراءات أحكامها ومصادرها » تحت عنوان : **هل صحة السند كافية** ، فيقول [١] :

---

(١) القراءات وأحكامها ومصادرها : ص ٧٨ ، ٧٩ . ط سنة ١٩٨٦ ، القاهرة .

« إن اشتراط « التواتر » فى قبول القراءة هو رأى جمهور العلماء من الأصوليين ، وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدثين والقرّاء ، فيرون أن شروط القراءة الصحيحة هو التواتر ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر .

وقال الشيخ مكى بن أبى طالب القيسى : القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبى ﷺ وساغ وجهها فى العربية ، ووافقت خط المصحف .

وتبعه (مكى) على ذلك بعض المتأخرين ، ومنهم الإمام ابن الجزرى ، حيث قال فى طيبته :

فكل ما وافق وجه نحوى ... وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصح إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه فى السبعة

وهو رأى ضعيف لا يعول عليه ، لأنه يؤدى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن .

واشترط ابن الجزرى – نفسه – فى كتابه « المنجد » التواتر فى قبول القراءة الصحيحة ، فكان بذلك مخالفًا لما اشترطه هو فى كتابه المذكور » أ . هـ .

*** وأقول معقبا :**

لم يكن للعالم الجليل الدكتور شعبان أن يتعرض لإبداء الرأى فى قول العلاّمة الإمام ابن الجزرى بعبارة من مثل التى قالها : « وهو رأى ضعيف لا يعول عليه » لسببين :

الأول : أن د . شعبان لم يستطع الرد على التحدى الذى أعلنه ابن الجزرى فى كتابه « المنجد » حين قال :

« ومن ادعى تواتر الزائد على القدر المشترك (فى المد) فليبين » .

الثانى : أن الدكتور شعبان قد وافق ابن الجزرى على شرطه « صحة السند » فى نفس كتابه الذى ضعف فيه هذا الرأى .

فقد قال د . شعبان فى كتابه « القراءات ، أحكامها ومصادرها »[1] . تحت عنوان « أنواع القراءات من حيث السند » ، قال :

« بين الإمام ابن الجزرى أن أنواع القراءات من حيث السند ستة :

الأول : المتواتر :

وهو ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم .

مثاله : ما اتفقت الطرق فى نقله عن السبعة .

وهذا الغالب فى حروف القرآن .

الثانى : المشهور :

وهو **ما صح سنده** بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا .

ووافق العربية .

ووافق أحد المصاحف العثمانية .

سواء أكان عن الأئمة السبعة أم العشرة أو غيرهم من الأئمة المقبولين .

واشتهر عند القرَّاء فلم يعدوه من الغلط ، ولا من الشذوذ .

إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر .

مثاله :

- **ما اختلف فى نقله عن السبعة** ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض .

ومن أشهر ما صنف فى هذين النوعين : التيسير للدانى والشاطبية وطيبة النشر فى القراءات العشر .

وهذا النوعان هما اللذان يقرأ بهما مع وجوب اعتقادهما ولا يجوز إنكار شيىء منهما » . أ . هـ .

---

(١) ص ٧٥ .

وأنهى د . شعبان ما نسبه إلى ابن الجزرى ، ولم يعقب عليه بأى نقد مما يفهم منه أنه يوافقه أو يقره بالسكوت ، وإلا ثبت تناقضه .

* * *

**** القياس فى القراءات القرآنية :**

والقياس فى القراءات نوعان عند ابن الجزرى [1] :

الأول : القياس المطلق :

وهو الذى ليس له أصل فى القراءة يرجع إليه ، ولا ركن وثيق فى الأداء يعتد عليه ، ولا يعترف بأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، ويزعم الآخذ به أن كل ما صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها .

مثاله : قراءة ابن مقسم العطار . وقد تمت استتابته على يد ابن مجاهد .

حكمه : بدعة ضالة يكفر صاحبها ويستتاب .

الثانى : نسبة جزئى إلى كلى :

يقول عنه ابن الجزرى :

« أما إذا كان القياس على :

– إجماع انعقد .

– أو عن أصل يعتمد .

فيصير إليه عند :

– عدم النص .

– وغموض وجه الأداء .

فإنه مما يسوغ قبوله ولا ينبغى رده .

---

(١) النشر : ص ١٧ – ١٨ .

لاسيما فيما تدعو إليه الضرورة ، وتمس الحاجة ، مما يقوى وجه الترجيح ويعين على قوة التصحيح .

بل قد لا يسمى ما كان كذلك قياسًا على الوجه الاصطلاحى ، إذ هو فى الحقيقة : نسبة جزئى إلى كلى .

كمثل :

ما اختير فى تخفيف بعض الهمزات لأهل الأداء .

وفى إثبات البسملة وعدمها لبعض القرَّاء .

ونقل (كتابيه إنى) ، وإدغام (ماليه هلك) قياسًا عليه .

وقياس (قال رجلان . وقال رجل) على (قال رب) فى الإدغام كما ذكره الدانى وغيره ونحو ذلك مما :

- لا يخالف نصًّا .
- ولا يرد إجماعًا ولا أصلاً .

مع أنه قليل جداً .

وإلى ذلك أشار مكى بن أبى طالب فى التبصرة حيث قال : « فجميع ما ذكرناه فى هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام » :

* قسم قرأت به ونقلته وهو منصوص فى الكتب موجود .

* وقسم قرأت به وأخذته لفظًا أو سماعًا وهو غير موجود فى الكتب .

* وقسم لم أقرأ به ، ولا وجدته فى الكتب ، ولكن قسته على ما قرأت به؛ إذ لا يمكن فيه إلا ذلك عند عدم الرواية فى النقل والنص وهو الأقل » أ هـ .

* ثم يأتى الإمام البنا الدمياطى (ت ١١١٧ هـ) فى كتابه « إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر » فيكرر بالنص ما قاله ابن الجزرى ثم يضيف [١] :

---

(١) ص ١٢٦ .

« وأما كثرة الوجوه بحيث بلغت الألوف فإنما ذلك عند المتأخرين دون المتقدمين لأنهم (المتقدمين) كانوا يقرؤون القراءات طريقًا طريقًا فلا يقع لهم إلا القليل من الأوجه . وأما المتأخرون فقرؤوها رواية رواية ، بل قراءة قراءة ، بل أكثر ، حتى صاروا يقرؤون الختمة الواحدة للسبعة أو العشرة فتشعبت معهم الطرق وكثرت الأوجه » . أ هـ .

* * *

** خاتمـــة :

وبعد ، فإذا كان حديث « الأحرف السبعة » يمثل « بداية التاريخ » للقراءات القرآنية ، فإن فتوى ابن الجزرى بأن « العشر متواترة معلومة من الدين بالضرورة » كانت بمثابة « نهاية التاريخ » فى دنيا القراءات .

فقبل السنة التاسعة للهجرة كان هناك « قرآن بلا قراءات » .

فلما ظهر حديث الأحرف السبعة – فى تلك السنة على الأغلب – نشأت بظهوره « القراءات » ، فأصبح « القرآن يتلى بقراءات متعددة » .

والتعدد ليس مرادفًا للتناقض بالضرورة ، إلا أنه مثير للخلاف بحكم طبيعته . والاختلاف حركة ، والحركة حياة ، والحياة تطور ، والتطور دورات .

والقرآن كائن حى ، بدأ بآية ، تلتها آيات ، ثم آيات ، ثم سور ، وجرت عليه سنة الله فى الأحياء فمنه الناسخ والمنسوخ ، تلاوة وحكما ، حتى إذا انقضت نحو عشرين عامًا أو يزيد نزل فيها منجمًا ، جاءت العرضة الأخيرة تعلن عن تمام نوره وكمال بدره ، قرآنا عربيًّا غير ذى عوج ، تنزيل من عزيز حميد .

فى تلك اللحظة ، ولدت القراءات من رحم القرآن ، ولادة شرعية بموجب حديث الأحرف السبعة المتواتر قطعى الثبوت ، ظنى الدلالة ، بل مشكلها بإجماع . وكأن القراءات كانت المولود الواقعى للقرآن المثالى . فما أن توقف الوحى عن السعى بين السماوات والأرض حاملاً آيات القرآن ، حتى بدأت حركة السعى بين البشر فى أرجاء الأرض حاملة القراءات القرآنية إلى شتى أرجائها .

وكما نزل القرآن ، قطعى الثبوت ، بآيات متشابهات ظنية الدلالة من أمثال الحروف فى فواتح السور (الم ، طه ، يس . .) ، جاء حديث الأحرف السبعة متواترًا أيضًا ، قطعى الثبوت ، ظنى الدلالة ، فلا أحد يعرف على وجه اليقين

حتى الآن معنى كلمة « حرف » ، ولا المقصود من العدد « سبعة » . وشكل هذا الغموض المتعمد حافزًا لا يهدأ للعقل البشرى لأن يمارس مهمته التى خلق من أجلها وهى « التفكير » ومحاولة الفهم والتفسير ، حتى يصل لليقين ، ويطمئن به .

لقد استغرقت دورة القرآن عشرين عامًا منذ نزل وحتى اكتمل بالعرضة الأخيرة . أما دورة القراءات فقد استغرقت – فيما أرى – نحو ثمانمائة عام ، منذ بدأت فى العام التاسع للهجرة بحديث الأحرف السبعة ، وحتى اكتملت على عصر ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) بفتوى ابن السبكى بتواتر العشرة وشذوذ ما وراءها ، وأن هذا وذاك « معلوم بالضرورة » .

إلا أن الإمام البنا الدمياطى (ت ١١١٧ هـ) أبى إلا أن يحسم أمر الشواذ فألف سنة ١٠٨٢ هـ كتابه « إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر » ، فوثق أربع قراءات شاذة ، وأضاف بذلك ثلاثمائة سنة إلى عمر القراءات فاصبحت إحدى عشر قرنًا أو نحوه .

وكانت أهم المحطات فى مسيرة « القراءات » هى :

* بداية القراءات بموجب حديث الأحرف السبعة سنة ٩ هـ .
* تدوين المصحف العثمانى الإمام سنة ٣٠ هـ .
* تاليف كتاب السبعة لابن مجاهد نحو سنة ٣٠٠ هـ على الأرجح [١] .
* تأليف كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى سنة ٧٩٩ هـ .
* تأليف كتاب إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى سنة ١٠٨٢ هـ .

ولم تكن تلك المراحل سوى علامات على جهد مستمر لم ينقطع ، ولم

---

(١) الاختيار فى القراءات ، د . عبد الفتاح شلبى ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، سنة ١٩٩٦ ص ٢٤ .

تمثل تلك الوقفات سوى بلورة لجهود سبقتها ، ولم تكن بأى حال طفرات نشأت بالصدفة أو تولدت من فراغ .

فالمصحف العثمانى ، كان أساسه الصحيفة التى جمع فيها القرآن فى خلافة أبى بكر الصديق بعد إلحاح من عمر بن الخطاب وطول تردد من زيد بن ثابت (رضى الله عنهم أجمعين) .

والصحيفة كان أساسها ما دون من القرآن على عهد النبى ﷺ على الأكتاف واللخف والعظام والجلود وغيرها ، دونها كتبة الوحى أولاً بأول .

فانظر سنة التطور ، كيف أخذت مجراها على أرض الواقع .

وابن مجاهد لم يسبع السبعة من فراغ . فالإمام الرازى [1] يوضح أن المسلمين كانوا قد ارتضوا خمس قراءات ، وأن ابن مجاهد لم يفعل سوى أن أضاف إليهم اثنين هما : الكسائى وحمزة ، كما أشار إلى أن ابن مجاهد كان متردداً بين الكسائى ويعقوب قبل أن يستقر رأيه على الكسائى . ومن هنا فقد جاءت خطوة ابن مجاهد تطويراً وبلورة لما وافق رضا المسلمين كافة ، ليس إلا .

فإذا وصلنا إلى عشرة ابن الجزرى ، وجدنا أن الناس كانوا على قراءتهم وقراءة غيرهم منذ مئات السنين ، وأن ما فعله حين ألحق الثلاثة بسبعة ابن مجاهد لم يكن سوى اختياراً لقرّاء لم تخرج قراءتهم عن قراءة السبعة ، فلماذا لا تلحق بهم وتأخذ حكمهم ؟ .

هذا ولا يفوتنا التلميح لما تندر به البعض من أن تلقيب أحدهم وهو خلف « بالعاشر » جاء على محمل أنه « تكملة عدتهم » [2] . . . !! ولا يخفى المعنى .

أما الجانب الآخر الذى أتى به الجزرى فقد كان إطلاق لفظ « المتواترة » على القراءات ليحل محل لفظ « المشهورة » . ذلك أن سبعة ابن مجاهد كانت

---

(١) المنجد : ص ٧٥ .

(٢) د . شوقى ضيف فى مقدمة كتابه السبعة : ص ١٤ ، دار المعارف .

تلقب بالمشهورة . ثم تطور الأمر بمرور السـنين حتى أصبح يطلق عليها السبع المتواترة . ظهر ذلك من محاورات ابن الجزرى فى كتابه المنجد . وكان الإجماع قد انعقد على أن السبعة متواترة باتـفاق وأن الثلاثة المكمـلة متـواترة باختـلاف . إذن فالعشرة كانت معروفة ومحددة ومقومة من قبل ابن الجزرى . فماذا أضاف إذن ؟

لقد انصب جهده لكى يجعل الثلاثة متواترة أيضًا ، واتخذ ذريعة لذلك أن العامة قد خدعهم الرقم « سبعة » فظنوا أن سبعة ابن المجاهد هى السبعة أحرف التى نزل عليها القرآن !! . . .

ومن هنا حاول ابن الجزرى أن يزحزح الناس عنها ، فحوَّلهم إلى العشرة . إلا أن أحداً من الناس أو الأمصار لم يتحول عن قراءة واحد من سبعة ابن مجاهد إلى واحد من ثلاثة ابن الجزرى وحتى يومنا هذا . كما أن أغلب الآراء حتى اليوم على الرأى بتواتر السبع باتفاق وتواتر الثلاث بخلاف . فهل يعنى ذلك أن جهد ابن الجزرى ذهب هباء ؟

الإجابة حتما بلا . إلا أن الناس قد أخذوا منه ما يحقق رضاءهم ، فثبتوا لقب « المتواترة » على سبعتهم المفضلة ، واطمأنوا بها على حفظ القرآن ، وتركوا الثلاثة وما وراءهـا للعلمـاء مجالاً لأبحاثهـم ، فقد كان هذا اختيارهم (الناس) منذ عهـد ابن مجاهـد . والدليل أن قراءة خلـف كان يطلق عليها « اختيار خلف » الذى لم يخرج عن قراءة أساتذته الكسائى وحمزة وعاصم الكوفيون ، وهم ثلاثة من السبعة ، فاكتفوا بهم . وأكثر من هذا أن الناس كانت قد اختارت خمسة منهم فقط قبل أن يأتى ابن مجاهد فيضيف اثنين من الكوفة هما حمزة والكسائى ، وقد كان عاصم الكوفى واحداً من هؤلاء الخمسة الذين اجتمعت على قراءتهم الناس فى الأمصار .

أما قراءة أبى جعفر ، فقد سبق والتف الناس حول قراءة تلميذه نافع حتى أصبحت هى قراءة المدينة . وما دام الناس قد اختاروا فليس لأحد أن يجىء بعد

سبعمائة عام ليغير من اختيارهم ، ولو بفتوى . أما يعقوب البصرى ، فلم يترك أحد قراءة شيخه أبى عمرو بن العلاء إلى قراءته . وقد اختار الناس الأستاذ .

ويبدو أن هذا هو ما حدا بابن الجزرى لفرض اختياره « للعشر المتواترة » عن طريق فتوى تلوح لكل من يعتقد بغير ما كتب فيها بانه « منكر للمعلوم من الدين بالضرورة » ، وتسلط على الناس سيف التكفير لإقرار رأى واحد من البشر ليس بنبى ولا برسول ولا بمعصوم .

وأكدت الأيام ذلك ، فسرعان ما تراجع ابن الجزرى بنفسه عن رأيه هذا واصفًا إيَّاه بالفساد .

لقد دخل الناس فى دين الله أفواجًا يوم قال لهم الرسول ﷺ وقد تمكن من رقابهم جميعًا يوم فتح مكة : « اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وأرى – والله أعلم – أن محطة ابن الجزرى كانت نهاية التاريخ فى دنيا القراءات ، ليس بسبب أنه أتى بالقول الفصل فيها ، بل لأنه أغلق بفتوى التكفير باب التفكير فى علم القراءات والدليل على ذلك أن البنا الدمياطى حين ألَّف فى القراءات الأربع عشرة ، لم يخرج فى حرف واحد عن تكرار عبارات من سبقوه من أئمة القراءات ، وكان هذا بعد ثلاثمائة سنة من فتوى ابن الجزرى – ابن السبكى . وما زال هذا العرف سائداً حتى اليوم ، لدرجة أننا لن نتجاوز إن أسميناه « سنة متبعة » يأخذها الآخر عن الأول .

* إن بعض القراءات من أمثال « مثقال نملة » ، لم تكن موجودة قبل سنة ٩ هـ . ثم سمح بها النبى ﷺ وصوبها وأقرها بموجب حديث الأحرف السبعة فى إطار رخصة التيسير وتعارف الصحابة على القراءة بمثلها دون مراء حتى سنة ٣٠ هـ . ثم أصبحت مكروهة بعد المصحف الإمام سنة ٣٠ هـ بصفتها خارجة عن الإجماع على رسم المصحف . ثم استتيب من قرأ بمثلها كابن شنبوذ بعد سنة ٣٠٠ هـ بصفتها شاذة للسبب السابق ولسبب آخر تم إضافته هو

مخالفتها لشرط صحة السند ، حيث إنها خبر آحاد ، ووصفت بالشذوذ من قبل ابن مجاهد ، ووصف الشاذ بعد ابن مجاهد بأنه لا يقصد به الضعف ، ولكنه لم يشتهر ولم يتلق بالقبول .

وأخذ الحنفية بمثله فى فتاواهم ، وخالفهم بعض الشافعية فاعتبروها ليست بقرآن ، ورد عليهم الجمهور بأنها وإن انتفى كونها قرآنًا ، إلا إنها تعد أخباراً ، وخبر الواحد يعمل به ولا يعتبر فى العقائد ، واعتبرها البعض تفسيراً للقرآن ، وأخيراً منعها أبو عمرو بن الصلاح منع تحريم لامنع كراهة قبيل عصر ابن الجزرى .

والخلاصة فى تطور القراءات الشاذة ، أنها بدأت حلالاً وانتهت حرامًا . بدأت قرآنا وانتهت بأنها ليست بقرآن .

والقراءات المقبولة ، بدأت بقراءة النبى ﷺ قبل سنة ٩ هـ ، ثم تطورت إلى عدد نجهله إبان نزول حديث الأحرف السبعة ، ثم وصلت للرقم خمسين أو نحوه فى حدود سنة ٣٠٠ هـ ثم استقرت على خمس ثم سبع بعد سنة ٣٠٠هـ ثم وقفت عند عشر بعد سنة ٨٠٠ هـ .

وتطور حكم القراءات المقبولة ، من المجمع عليها بموجب موافقتها للمصحف العثمانى المجمع عليه ، ثم أخذت حكم المشهورة على عصر ابن مجاهد سنة ٣٠٠ هـ ، ثم أخذت حكم المتواترة المعلومة من الدين بالضرورة منذ سنة ٨٠٠ هـ وحتى الآن .

* وأخيراً ، فإنه باستقراء تاريخ القراءات يمكن القول بأن :

– دعوى ابن شنبوذ كانت – شكلاً ومضمونًا – مطابقة لدعوى ابن مسعود فى الإقراء بالشاذ ، وقد حكم عليها بأنها : خروج على « الإجماع » الذى انعقد « للمصحف العثمانى الإمام » .

وهنا يثور السؤال الخالد : هل الخروج على الإجماع ، خروج عن المعلوم من الدين بالضرورة ، يكفر صاحبه ؟ .

- القضايا التي أثيرت حول رأى ابن الحاجب ورأى أبى شامة على عصر ابن الجزرى لم تحسم بعد حتى يومنا هذا . ذلك أن ابن الجزرى قد أقر - وهو يهاجمها - بصحتها من حيث المبدأ ، وانتهى إلى أنها ليست صحيحة على الإطلاق ، بل صحيحة فى القليل فقط ، فكان الاختلاف بشأنها خلافًا فى الكم ، لا فى الكيف . مما أرى معه أنها بذلك لا تدخل فى دائرة « المعلوم بالضرورة » مما يوجب تكفير من يقول بخلافها ، وأنها تحتاج للمزيد من البحث والجهد .

- أما عن « ابن مقسم العطار » ، الذى نفى شرط « الرواية » وأسقط ليس فقط شرط التواتر أو حتى صحة السند ، بل حاول أن يضرب القاعدة المعروفة والأصل السائد ، وهو أن القراءة « سنة متبعة » يأخذها الآخر عن الأول ، فتتحول القراءة بذلك عن النقل إلى العقل ، مما لا يخفى خطره ، فذلك هو الخروج عن المعلوم بالضرورة فى حدها الأعلى . وذلك هو الخط الأحمر الذى يوجب - بحق - تكفير من يحاول الاقتراب منه ، فضلاً عن اقتحامه . فعند هذا الحد تصبح القراءات والقرآن حقيقتان متحدتان ، ويصبح الاجتهاد فى القراءات نوعًا من التحريف فى القرآن .

* * *

**** أعتقد . . . وأميل . . . وأرجح . . . وأوافق . . . ولا أدرى :**

* أرجح القول بأن « القرآن و (مطلق) القراءات » حقيقتان متغايرتان على القول بأنهما حقيقتان متحدتان . أوافق الزركشى [1] ومن تابعه .

* وأرجح القول بأن « القرآن والقراءات السبع المتواترة » حقيقتان متغايرتان .

* وأرجح القول بأن « القرآن والقراءات العشر المشهورة » حقيقتان متغايرتان ؟ .

---

(١) القراءات أحكامها ومصادرها : د . شعبان إسماعيل ص ٢٠ .

* **وأسأل** : هل « قراءة النبى ﷺ » كما نطقها من فيه ﷺ هى هى بعينها قراءة عاصم برواية حفص عنه كما هى مسجلة على شرائط الكاسيت من أولها إلى آخرها ؟ وهل قراءة النبى ﷺ هى هى بعينها قراءة نافع برواية ورش عنه كما هى مسجلة على شرائط الكاسيت من أولها إلى آخرها ؟ وهل قراءة النبى هى هى بعينها قراءة أى قارىء من سبعة ابن مجاهـد الأشهر أو عشـرة ابن الجزرى (المتواترة) برواية أى راوٍ عنهم من أولها لآخرها كما هى مدوَّنة فى كتاب السبعة لابن مجاهد أو النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ؟ .

وأرد : بأنى أميل إلى القول بأن قراءة النبى من فيه ﷺ موجودة فى القراءات العشر جميعها برواتها العشرين ، موزعة هـنا وهناك من غير تعيين ولا تخصيص ؟ أوافق مكى فى إبانته ، وإن اقتصر هو على السبع دون العشر »(١) .

* وأرجح أن القراءة بالحروف المختلفة بموجب حديث الأحرف السبعة كانت إقراءً من النبى ﷺ بوجه أو بوجهين ، ثم إقرارًا منه ﷺ لقراءة الصحابة بتصويبها فى باقى الأوجه على الأغلب الأعم ، فرشًا كانت أم أصولاً . إجابة على تساؤل طرحه د . عبد الصبور شاهين فى كتابه تاريخ القرآن (٢) .

* وأعتقد أن النبى ﷺ لم يتواتر عنه أنه وقف على موضع خمسين وجهًا ولا بعشرين ولا بنحو ذلك ، وإنما إن صح شىء منها فوجه والباقى لا شك أنه من قبيل الأداء . أوافق ابن الجزرى (٣) .

* وأعتقد بالرأى القائل بأنا لسنا ممن يلتزم التواتر فى جميع الألفاظ المختلف فيها ، لكن فى القليل منها (٤) . أوافق ابن الجزرى .

* وأرجح القول بأن القدر المشترك فى مراتب المد متواتر ، وأمَّا ما زاد على القدر المشترك فهو إن لم يكن متواترًا فصحيح مستفاض متلقى بالقبول ، يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يرق إليها (٤) أوافق ابن الجزرى .

---

(١) الإبانة : ص ٣٦ .
(٢) تاريخ القرآن : ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٣) المنجد : ص ٦٢ .
(٤) المنجد : ص ٥٩ .

* وأقر ابن الجزرى [١] على تحديه فيما يتعلق بالبند السابق : « ومن ادعى تواتر الزائد (على القدر المشترك فى المد العرضى) فليبين » .

* وأرجح القول بأن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة فى نفس الأمر فإنها مما كان أذن فى قراءته ولم يتحقق إنزاله [٢] ، أوافق ابن الجزرى .

* وأرجح القول بأن : المقروء به عن القرّاء العشرة على قسمين :

الأول : متواتر ... وهو ما اتفقت الطرق فى نقله ... وهو الغالب فى حروف القرآن .

والثانى : صحيح مستفاض متلقى بالقبول (مشهور) .. وهو ما اختلف فى نقله .

وأن القطع حاصل بهما ، وليس بالمتواتر فقط ، مع وجوب اعتقادها . أوافق ابن الجزرى [٣] .

* وأرجح القول بعدم تواتر ما ورد فى الكتب المشهورة المتلقاة بالقبول من تباين بعض الأصول والفرش ، كما فى الشاطبية نحو قراءة ابن ذكوان (تتبعان) بتخفيف النون ، وقراءة هشام (أفئدة) بياء بعد الهمزة ، وكقراءة قنبل (على سوقه) بواو بعد الهمزة وغير ذلك من التسهيلات والإمالات التى لا توجد فى غيرها من الكتب إلا فى كتاب أو اثنين وهذا لا يثبت به تواتر .

وأعتقد أن هذا وشبهه – وإن لم يبلغ مبلغ التواتر – صحيح مقطوع به ، نعتقد أنه من القرآن من باب أنه من الأحرف السبعة .

وأميل للقول بأن خبر الواحد العدل الضابط إذا انفرد بشيىء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقى بالقبول ، قطع به ، وحصل به العلم [٤] . أوافق ابن الجزرى .

---

(١) المنجد : ص ٥٩ .
(٢) المنجد : ص ٢٤ .
(٣) المنجد : ص ١٩ .
(٤) المنجد : ص ٢٠ .

* وأرجح شرط « صحة السند » على شرط « التواتر » فى تحديد صفة القراءات المقبولة المقطوع بها (١) أوافق ابن الجزرى .

* وأميل إلى تعريف التواتر بأنه : ما رواه جماعة عن جماعة ... كذا إلى منتهاه ، يفيد العلم ... **من غير تعيين عدد** ، هذا هو الصحيح (٢) . أوافق ابن الجزرى .

* وأعتقد أن القراءات السبع والعشر قد اشتملت فى القليل جداً على بعض « القياس » – ليس بمعناه الاصطلاحى العام – بل فى إطار نسبه جزئى إلى كلى ، وبمعنى أن القراءة به لم تأت عن طريق النقل من كتاب ، ولا التلقى سماعاً على شيخ ، ولكن بالقياس على قراءة أخرى ، كما أقر بذلك مكى ابن أبى طالب فى تبصرته ، وما مثل له الدانى وسبق وروده .

وأن هذا القياس ليس هو القياس المطلق الذى ليس له أصل فى القراءة يرجع إليه ، بل هو مما صير إليه على إجماع انعقد أو أصل معتمد ، عند عدم النص وغموض وجه الأداء ، وأن اللجوء إليه كان فيما تدعو إليه الضرورة وتمس الحاجة (٣) .

* ولا أوافق د . سالم محيسن على قوله : « لا فرق بين كل من القرآن والقراءات ، إذ كل منهما الوحى المنزل على النبى ﷺ » . أوافق د . شعبان إسماعيل بأنه رأى مردود وغير مقبول (٤) .

* وأقر أن رأيى اجتهاد وصواب يحتمل الخطأ .

* وأسأل الله وحده ثواب المجتهد .

* وأطمع أن يغفر لى خطيئاتى يوم الدين .

* * *

(١) النشر : ص ١٣ . (٢) المنجد : ص ١٥ .

(٣) راجع النشر : ص ١٧ – ١٨ . (٤) القراءات ، أحكامها ومصادرها : ص ٢٢ .

الفصل الثالث

مفهوم الاختيار فى القراءات

- الاختيار عند القرّاء .
- الاختيار فى القراءات .
- الاختيار فى اللهجات .
- الاختيارات المرفوضة .
- اختيار عدم الاختيار .

* **اختيار القراءة عند القرّاء :**

يقول د . شوقي ضيف [1] :

« . . . ولم يفكر (ابن مجاهد) فى أن ينفرد لنفسه بقراءة يشتهر بها وتعرف به ، **ولو فكرٍ لاستطاع فى يسر أن يتميز بقراءة يختارها من قراءات الأئمة ، وليكن مثلاً نافع أساسها ثم يتركه إلى حروف يختارها من لدن قرّاء آخرين يخالفه فيها ، وبذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميزة** » .

وهكذا ، وضع د . شوقي ضيف أيدينا ببساطة على « المنهج » الذى اتبعه القرّاء للانفراد بقراءة ، تعرف بهم ، وتنسب إليهم .

ونقطة الارتكاز فى هذا المنهج هو « الاختيار » . أما الإطار الذى يحكم الاختيار فهو : أن القراءة « سنة متبعة » يأخذها الآخر عن الأول . أما مقياس نجاح هذا الاختيار من عدمه فهو : القبول والاشتهار عند الناس . وإقبال الناس على قراءة دون أخرى يتوقف أساساً على عاملين :

١ - **مقياس اللغة** : ومدى اشتهارها وشيوعها فى هذا المصر أو ذاك .

٢ - **سهولة التذكر** : بحيث تستطيع عقول أوساط القرّاء أن تتمثلها وتستوعبها .

* **اختيار القرّاء عند ابن مجاهد وابن الجزرى :**

وأوضح د . شوقي أن هذه العوامل كانت تقف وراء اختيار ابن مجاهد لسبعته ، يكتفى بهم عمن سواهم ، فقال :

« . . . وليختار (ابن مجاهد) طائفة نابهة من القرّاء يكتفى بهم عمّن سواهم حتى تستطيع عقول أوساط القرّاء أن تتمثلهم وتستوعبهم .

فاجتهد للأمة وللدين وقرآنه العظيم ، وبالغ فى اجتهاده ، حتى استصفى

---

(١) راجع مقدمته لكتاب السبعة : ص ٢٤ .

سبعة من أئمة القرَّاء في أمصار خمسة ، هى أهم الأمصار التى حملت عنها القراءات فى العالم الإسلامى ، وهى المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ، واختار من المدينة نافعًا ومن مكة ابن كثير ومن الكوفة عاصمًا وحمزة والكسائى ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ،ومن الشام عبد الله بن عامر .

وقد رأى لكل قارىء من قرَّاء الكوفة الثلاثة **مذهبًا متميزًا فى القراءة** ينفرد به عن زميليه ، حمله عنه جلة القرَّاء من العالم الإسلامى ، فرأى أن يستبقيهم جميعًا »[1] .

فانظر مفهوم د . شوقى عن الدوافع الكامنة عند ابن مجاهد والتى وقفت وراء اختياره لهؤلاء السبعة دونًا عن غيرهم والتى تركز على أن يتمتع القارىء الذى وقع عليه اختياره « بمذهب » متميز فى القراءة ينفرد به عن غيره ، ثم قارِن هذا المنهج فى الاختيار – والذى مكث فى الأرض – بمنهج ابن الجزرى المعاكس تمامًا ، عندما استند فى اختياره للثلاث المكملة للعشر إلى أنها « لم تخرج عنها » ، وهو ما سنعرض له تفصيلاً ، وبخاصة اختيار خلف الذى لم يخرج فيه أبدًا عن قراءة من سبقوه فى الكوفة ، ويعقوب الذى حاول التوفيق بين البصرة والكوفة ، ويبدو أن ذلك جاء على حساب « التميز والتفرد في المذهب » مما جعل ابن مجاهد يستبعده – بعد طول تردد – من السبعة مفضلاً عليه الكسائى الذى كان مذهبه أكثر تفردًا فى ميزان ابن مجاهد على الأرجح .

*** الاختيار بين القرَّاء والقراءات عند مكى بن أبى طالب :**

يقول الإمام مكى فى إبانته[2] :

« . . . وقد اختار الطبرى وغيره .

وأكثر اختياراتهم إنما هو فى الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء :

* قوة وجهه فى العربية .

* وموافقته للمصحف .

---

(١) السبعة : ص ٢٠ .

(٢) ص ٨٩ .

* **واجتماع العامة عليه .**

والعامة عندهم :

* **ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة :**

فذلك عندهم حجة قوية ، توجب الاختيار .

* وربما جعلوا العامة :

ما اجتمع عليه أهل الحرمين (مكة والمدينة) » .

فذلك كان محاولة مكى بن أبى طالب لتفسير مفهوم الاختيار ، بأنه كان يتم على أساس « المفاضلة بين القراءات » [١] .

ثم انتقل الإمام مكى إلى « احتمال آخر » ، أو قل « فرضية أخرى » ، قد تفسر مفهوم الاختيار ، فافترض أنه ربما كان يتم على أساس « المفاضلة بين القرَّاء » وليس بين « القراءات » ، فقال [٢] :

« وربما جعلوا الاختيار :

* **ما اتفق عليه نافع وعاصم .**

فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات ، وأصحها سنداً ، وأفصحها فى العربية .

ويتلوهما فى الفصاحة خاصة قراءة :

* أبى عمرو والكسائى » أ هـ .

وهكذا فإن رأى الإمام مكى بن أبى طالب لم يخرج عن كونه مجرد « احتمالات » ، أو قل « فروض » وضعها فى إطار محاولته لتفسير معنى ومفهوم « الاختيار » .

---

(١) الاختيار فى القراءات ، منشؤه ومشروعيته : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، سنة ١٩٩٦ ، ص ٦١ .

(٢) الإبانة : ص ٨٩ ، والاختيار : ص ٦٠ .

وقد تراوح فيها بين مقياسين للاختيار :

الأول : قراءات متفق عليها (بين أهل المدينة وأهل الكوفة) .

الثاني : قرّاء متفق عليهم (نافع وعاصم ، يليهم أبو عمرو والكسائى) .

ولقد أثبتت نتائج الدراسة الإحصائية (سياتى بيانها تفصيلاً) التنافر الشديد بين اختيارات أهل الكوفة وأهل المدينة، كما أثبتت أيضًا التنافر الشديد بين اختيارات أبى عمرو واختيارات الكسائى فرشًا وأصولاً على السواء .

وصدقت بذلك فراسة الإمام مكى بن أبى طالب حينما اعتبر اتفاق أى من القطبين المتنافرين ، حجة قوية توجب الاختيار ، وإن لم ينص صراحة على تنافر اختياراتهم .

*** اختيار مرفوض بسبب اللغة :**

أولاً : ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) :

وهو من القرّاء الأربعة عشر (أحد الأربعة أصحاب القراءة الشاذة) .

قال الذهبى عنه : « ولابن محيصن رواية شاذة فى كتاب المنهج وغيره »[١] .

وقال ابن الجزرى : « قراءته فى كتاب المنهج ، والروضة ، وقد قرأت بها القرآن ، ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة ... » .

وقال ابن مجاهد : « كان لابن محيصن اختيار فى القراءة على مذهب العربية ، **فخرج عن إجماع أهل بلده** ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتّباعه » .

وقال الامام الطبرى فى تفسيره : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ »[٢] .

(لبداً) : وفيها لغتان : كسر اللام ، وضم اللام .

---

(١) انظر الاختيار فى القراءات : د . عبد الفتاح شلبى ص ٦٤ وما بعدها ، ومعرفة القرّاء الكبار للذهبى : جـ ١ ، ص ٩٩ .

(٢) الجن : ١٩ .

وقراءة الأمصار على كسر اللام ، غير أن ابن محيصن كان يضمها ، وهما بمعنى واحد ، غير أن القراءة التى عليها قرَّاء الأمصار أحب إلىَّ . . . » (١) .

وقال ابن مجاهد : « وكان ابن محيصن عالمًا بالعربية ، وكان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه ، وأخذ عن مجاهد (٢) أيضاً ،ويروى أن مجاهد كان يقول : ابن محيصن يبنى ويرصص فى العربية ، **يمدحه بذلك** !! » (٣) .

ثانيا : عيسى بن عمر الثقفى (ت ١٤٩ هـ) :

يقول د . عبد الفتاح شلبى : « وكان الغالب عليه حب (النصب) إذا وجد لذلك سبيلاً » (٤) . ومن اختياراته :

* ﴿ الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي . . . ﴾(٥) .
* ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ ﴾ (٦) .
* ﴿ هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ ﴾ (٧) .

والقراءة العامة على الرفع فيهم .

وكان هذا سببًا فى رفض اختياراته ، وانحساره عن دائرة الضوء فى عالم القراءات .

*** اختيار مرفوض بسبب رسم الكلمات بالمصحف العثمانى :**

وخير مثال له : ابن شنبوذ ، وقد سبق الحديث عنه وعن مذهبه فى إحياء القراءة بالقراءات الشاذة (الخارجة عن مصحف عثمان) والموجودة فى مصحف عبد الله بن مسعود رأس القرَّاء بالكوفة وأبى بن كعب رأس القرَّاء بالمدينة .

---

(١) الاختيار : ص ٦٥ ، وتفسير الطبرى : ج ٢٩ ص ٧٤ .
(٢) مجاهد بن جبر المكى ، أستاذ ابن محيصن وتلميذ ابن عباس .
(٣) السبعة : ص ٦٥ .
(٤) الاختيار : ص ٦٦ ، وطبقات القرَّاء : ج ١ ، ص ٦١٣ .
(٥) النور : ٢ . (٦) المائدة : ٣٨ .
(٧) هود : ٧٨ .

*** اختيار مرفوض بسبب السند :**

وخير مثال له : ابن مقسم العطار ، وبدعته الشهيرة بمخالفة مبدأ « القراءة سنة متبعة » ، فكان يبتدع من عنـــد نفسه قراءات لـم ينقلها عن شيوخ سابقين له ، وإن حافظ فيها على الركنين : رسم المصحف العثمانى ، وموافقة العربية .

وقد سبق الحديث عن دور ابن مجاهد فى محاكمتهما واستتابتهما .

*** مفاضلة بعض أئمة الفقه الإسلامى بين القرَّاء :**

* **كان الإمام مالك بن أنس** (ت ١٧٩ هـ) ، وهو أحد الأئمة الأربعة يميل لقراءة نافع .

يقول ابن مجاهـــد : « حدثنى . . . ســمعت مالكا يقول : قراءة نافع سنة » [١] .

ويفسر الأستاذ سعيد إعراب ذلك ، فيقول [٢] :

« وربما كان لانتشار المذهب المالكى بهذه الديار (المغرب) أثر لذلك ، **فنافع القارىء شيخ لمالك** ، ويروى عنه أنه قال : إن قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له : قراءة نافع ؟ قال : نعم » .

* **كان الإمام أحمد بن حنبل** يفضل قراءة نافع يليها قراءة عاصم ، ولا يحب قراءة حمزة .

يقول سعيد إعراب : « قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبى : أى القراءة أحب إليك ؟ قال : قراءة أهل المدينة . قلت : فإن لم تكن ، قال : قراءة عاصم » [٣] .

وجاء فى كتاب جمال القرَّاء [٤] :

---

(١) السبعة : ص ٦٢ .

(٢) القرَّاء والقراءات بالمغرب : سـعيد إعــراب ، دار المغرب الإسلامى ، ط ١٩٩٠ ، بيروت ، ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٢٣ .

(٤) راجع جمال القرَّاء : ص ٤٧٣ ، والاختيار : ص ٦٠ .

« قال سويد : مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل فقال : ما حاجتكما ؟

قلنا : نحن نقرأ قراءة حمزة ، وبلغنا أنك تكره قراءته ، فقال أحمد ابن حنبل : حمزة قد كان من العلم بموضع ، ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم ، فدعونا له وخرجنا » أ . هـ .

*** مفهوم الاختيار عند ابن الجزرى :**

يقول ابن الجزرى [1] : « . . . **وبهذا افترق اختلاف القرّاء من اختلاف الفقهاء ، فإن اختلاف القرّاء كل حق وصواب نزل من عند الله ، وهو كلامه لا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى والحق فى نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب فى نفس الأمر ، نقطع بذلك ونؤمن به .**

ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به ، وملازمة له ، وميلا إليه ، لا غير ذلك .

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارىء وذلك الإمام **اختار القراءة** بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فآثره على غيره ، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه ، وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القرّاء . وهذه الإضافة **إضافة اختيار** ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد » أ . هـ .

ويقرر ابن الجزرى أنه : ليس فى شىء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض . وكل ما صح عن النبى ﷺ من ذلك فقد وجب **قبوله** إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها .

---

(١) النشر : ج ١ ص ٥٢ .

ومن قرأ على قراءة فلا يدعــها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله » [١] .

*** رأى عمر بن الخطاب في اختيار أبى بن كعب (رضى الله عنهما) :**

فى كتاب المصاحف للسجستانى قال [٢] :

« والألحان اللغات . وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

إنا لنرغب عن كثير من لحن أبى . يعنى لغة أبى » أ هـ .

*** رأى نافع فى اختيار لأبى عمرو :**

« قال الأصمعى : سمعت نافعًا يقرأ : ﴿ يَقُصُّ الحَقَّ ﴾ فقلت له :

إن أبا عمرو يقــــرأ : (يَقْضِ الحـــق) [٣] . . . وقال : القضاء مع الفصل [٤] .

فقال نافع : وى يا أهل العراق . تقيسون فى القرآن . . . !!

ثم أضاف معقبًا ومؤولاً لقول القارئين كليهما :

ومعنى قول أبى عمرو : القضاء مع الفصل : أى أنى (أبو عمرو) اخترت هذه لهذا ، ولم يرد رد القراءة الأخرى .

ومعنى قول نافع : تقيسون فى القرآن : لم يرد به أن قراءتهم (أهل العراق) أخذوها بالقياس ، وإنما يريد أنهم اختاروا ذلك لذلك ! .

والقراءتان ثابتتان عندهما » [٥] .

---

(١) النشر : ج ١ ص ٥١ .

(٢) ص ٤١ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

(٣) تمام الآية : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ ﴾ .

(٤) الأنعام : ٥٧ .

(٥) الاختيار : ص ١٦ .

*** رأى أبو عمرو فى اختيار للكسائى :**

« قال محمد بن صالح : سمعت رجلاً يقول لأبى عمرو : كيف تقرأ : ﴿ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [١] ، قال : (لا يعذِّب...) فقال له الرجل : كيف وقد جاء عن النبى ﷺ : (لا يعذَّب عذابه أحد) ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال : سمعت النبى ﷺ ما أخذته عنه . وتدرى لم ذاك ؟ لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة » .

ويعقب السخاوى على ذلك فيقول [٢] : وقراءة الفتح ثابتة أيضا بالتواتر ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على « وجه التواتر » [٣] يريد السخاوى بذلك أن يجد العذر لأبى عمرو لإنكاره ورده قراءة ثبتت متواترة عند الكسائى ، بأنها لم تثبت متواترة عند أبى عمرو .

*** ابن مجاهد يصف قراءتى أبى عمرو والكسائى بأنهما « اختيار » :**

* يقول ابن مجاهد : « واختار (**الكسائى**) من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة »[٤] .

* ويقول ابن مجاهد أيضًا : « لا يكاد (أبو عمرو) **يخالف فى اختياره** ما جاء عن الأئمة قبله » [٥] .

ويقول ابن مجاهد مؤكداً على أن قراءة أبى عمرو لم تخرج عن كونها اختيار :

---

(١) الفجر : ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) جمال القرّاء : ج ١ ص ٢٣٥ .

(٣) الاختيار : ص ٣١ .

(٤) السبعة : ص ٧٨ .

(٥) السبعة : ص ٨١ .

« وكان أبو عمرو حسن الاختيار » (١) .

وقال : « حدثني محمد بن عيسي بن حيان ، قال حدثنا نصـــر بن على قال : قال لى أبى : قال لى شعبة (أحد راويى عاصم) :

أنظر ما يقرأ به أبو عمـــرو مما يختار لنفسه فاكتبه فإنه سيصير للناس إسنادًا » (٢) .

*** ابن الجزرى يصف قراءة خلف العاشر بأنها « اختيار » :**

يقول ابن الجزرى :

« قال أبو بكر بن اشته : إنه (خلف) خالف حمزة – يعنى فى اختياره – فى مائة وعشرين حرفًا . قلت (ابن الجزرى) : تتبعت اختياره فلم أره يخرج عن قراءة الكوفيين فى حرف واحـــد ، بل ولا عن حمـــزة والكسائى وأبى بكر (شعبة) إلا فى حرف واحد » (٣) .

ثم يقول مؤكدًا على تســـميه قراءة خلف العاشر بأنها « **اختيار خلف** » : « وتوفى الوراق سنة ست وثمانين ومائتين وكان ثقة قيما بالقراءة ضابطًا لها منفردًا برواية **اختيار خلف** لا يعرف غيره » (٤) .

*** وأطلق الإمام الحافظ أبو عمرو الدانى اسم « الاختيار » على قراءة يعقوب :**

فقال : « وائتم بيعقوب فى اختياره عامة البـــصريين بعد أبى عمرو ، فهم أو أكثرهم على مذهبه » (٥) .

*** وأطلق الإمام الرازى لفظ « الاختيارات » على « القراءات » :**

قال الرازى وهو بصدد الحديث عن اختـــيار ابن مجاهـــد للقرّاء السبعة : « فإن قيل : فقد اجتمعت على الائتمام بهم (القرّاء السبعة) وقبول

---

(١) السبعة : ص ٨٤ .

(٢) السبعة : ص ٨٢ .

(٣) النشر : ج ١ ص ١٩١ .

(٤) النشر : ج ١ ص ١٩١ .

(٥) النشر : ج ١ ص ١٨٦ .

اختياراتهم ، فالجواب : إن الأمـــر على ذلك أو قريب منه وهذه سنة الله فى خلقه »[١] .

وقال الرازى أيضاً مؤكداً على مفهومه عن القراءات السبع بأنها لم تخرج عن كونها اختيارات :

« وصار بذلك قبول اختياراتهم على صورة الإجماع »[٢] .

هذا وقد وصف ابن الجزرى كلام الرازى[٣] بأنه فى غايــة الإنصاف والمتانة .

*** اختيار اللهجات فى القراءات :**

ليست اللهجات مجرد تنوع فى النطق فقط ، ولكنها تشتمل على الفصيح وعلى الهابط أيضاً .

ولقد اجتهد القرَّاء فى اختيار الفصيح من اللهجات ، ونبذ الهابط منها عند اختيار حروف القراءة .

يقـــول د . عبد الصبـــور شاهين فى مـــقدمة كتابـــه « أبو عمرو بن العلاء »[٤] :

« إن قراءات القرآن على اختلافها لم يرد فيها ما يتصل **بالظواهر اللهجية الهابطة** ، **كالعنعنة والكشكشة والفحفحة والعجعجة والاستنطاء** ، فقد آل أغلب ذلك إلى الانقراض ، بل اشتملت على الظواهر الراقية التى تتناسب وفصاحة اللسان العربى ، وقداسة القرآن العربى ، وذلك : **كالإمالة والإدغام والهمز والإسكان** وغيرها من الظواهر . . .

فهذه ظواهر فصحى امتصتها لهجة قريش أو بعضها من تقاليد اللهجات

---

(١) المنجد : ص ٧٤ . (٢) المنجد : ص ٧٥ .

(٣) الإمام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازى .

(٤) أبو عمرو بن العلاء : د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة . سنة ١٩٨٧ ، ص ٩ .

المجاورة ، التى كانت تنازعها السيطرة على لسان العرب ، وبخاصة لهجة تميم » أ . هـ .

*** أمثلة لظواهر لهجية هابطة :**

وفيما يلى أمثلة من بعض ما أورده د . على عبد الواحد وافى فى كتابه « فقه اللغة » [١] وإن لم يقسمها إلى فصحى وهابطة :

*** عنعنة تميم :**

إبدال همزة (أن) عينًا . . . فى لغة تميم .

مثال : (عن توسمت) بدلاً من (أن توسمت) .

*** كشكشة أسد :**

إبدال الكاف شينًا . . . فى لغة أسد .

مثال : (عليش) مكان (عليك) .

*** شنشنة اليمن :**

إبدال الكاف شينًا . . . مطلقًا فى لغة اليمن .

مثال : (لبيش اللهم لبيش) مكان (لبيك اللهم لبيك) .

*** استنطاء هذيل :**

إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء . . . عند هذيل وقيس والأنصار وسعد بن بكر .

مثال : يقولون (إنا أنطيناك الكوثر) فى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ﴾[١] . وهو منتشر فى اللهجات العامية بالعراق فى العصر الحاضر .

ثم يورد د . وافى أمثلة لبعض القراءات التى اشتملت على ظواهر لهجية

---

(١) فقه اللغة : د . على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، ص ١٢٤ ـ ١٢٧ .

(٢) الكوثر : ١ .

وأن وضع لها عناوين توحى بأنها ما يطلق عليه علماء القراءات « الأصول » مثل الهمز ، والإمالة ، والإدغام ، والتفخيم ، والإبدال ، وغيرها : وكأنه بذلك يلفت النظر إلى الدور الذى لعبته « اللهجات » فى أصول القراءة ، ومن أمثلة ذلك :

* همز ياء (النبى) فى بعض اللهجات .

مثال : (النبىء) . وبها جاءت قراءة نافع المدنى .

* تسكين ذال (أذن) فى بعض اللهجات .

مثال : (أذْن) بدلا من (أذُن) . وبها جاءت قراءة نافع أيضًا .

* همز الياء .

مثال : (ضئاء) بدلاً من (ضياء) . وبذلك جاءت قراءة ابن كثير المكى .

* إدغام الصوتين المتحدين فى المخرج أو المتقاربين فيه إذا تجاورا .

مثال : (اتختم) بدلا من (اتخذتم) وبذلك جاءت قراءة أبى عمرو البصرى .

* النطق بالصاد فى بعض الكلمات فى صورة بين الصاد والزاى .

مثال : (الصراط) . وبها جاءت قراءة حمزة .

هذا ، ونظرًا لعدم وجود مقياس دقيق وحد واضح يفصل بين ما يمكن اعتباره فصيحًا وبين ما يمكن اعتباره هابطًا فى اللهجات ، فإن « صراعًا ما » قد نشأ بين اللهجات ، بعد الترخيص بالقراءة على الأحرف السبعة ، على النطق بحروف القرآن بهذه اللهجة أو تلك . ومع أنه لم يرد عن النبى ﷺ إلا إقراره وتصويبه لكل من اختلفت قراءته فاحتكم إليه ، إلا أن ذلك لم يستمر بعد وفاته ، حيث كان للصحابة آراء بهذا الخصوص ، نبعت كلها من واقع فهمهم وإدراكهم لمفهوم ومعنى رخصة التيسير .

* **آراء الصحابه فيما يخص اللهجات :**

فعثمان بن عفان (رضى الله عنه) ورد عنه – بصرف النظر عن صحة

السند – ما يفيد بأن هذا الموضوع كان يشغله كما كان يشغل اهتمام الرأى العام حين شرع فى كتابة المصحف العثمانى الإمام .

يقول السجستانى فى كتابه « المصاحف » (١) :

« حدثنا عبد الله قال : حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرنى أبىّ قال : أخبرنا سعيد بن عبد العزيز أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ .

وفى حديث آخر يقول السجستانى :

« حدثنا . . . عن زياد بن أبى المليح عن أبيه :

قال عثمان بن عفان : يملى هزيل ويكتب ثقيف » (٢) .

ويقول الإمام مكى فى الإبانة (٣) :

« وقال عثمان للرهط من قريش : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيىء من القرآن ، فاكتبوه **بلسان قريش** ، فإنما أنزل بلسانها » أ . هـ .

وهكذا اختلفت الروايات حول عثمان ، وإن كان الأغلب أن اختار لهجة قريش ولغتها ولسانها عندما أمر بكتابة المصاحف .

أما عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فقد وردت عنه أيضًا الكثير من الأخبار التى توضح مدى اهتمامه بالموضوع ، ودوره الفاعل فى اختيار ، أو ترجيح لهجة عن لهجة ، أو اختيار ظاهرة لهجية فصيحة وإن لم تكن قرشية .

يقول السجستانى (٤) :

« حدثنا . . . قال : لما أراد عمر (ابن الخطاب) أن يكتب الإمام ، أقعد له نفرًا من أصحابه وقال :

---

(١) كتاب المصاحف : للسجستانى ، ص ٣٢ .
(٢) المصاحف : ص ٣٤ .
(٣) الإبانة : ص ٦٥ .
(٤) المصاحف : ص ١٧ .

إذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فإن القرآن نزل على رجل من مضر » .

وقال السجستانى أيضاً [1] :

« حدثنا . . . قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

لا يملين فى مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » .

وقال السجستانى [2] :

« والألحان اللغات : وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

إنا لنرغب عن كثير من لحن أبى . . . يعنى لغة أبى (بن كعب) » .

ويقول د . عبد الصبور شاهين [3] :

« وقد كانت مبالغة ابن مسعود فى التزام رواياته والاعتزاز بقراءته ، مدعاة إلى أن ينكر عمر رضى الله عنه مسلكه ، فكتب إليه حين علم أنه يقرىء الناس (عتى حين) :

« إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فاقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » [4] .

وبعد دراسة متعمقة ، يثبت د . عبد الصبور شاهين فى كتابه « أبو عمرو ابن العلاء » أن « عمر بن الخطاب كان أحد المصادر التى روت قراءة الإدغام عن رسول الله ﷺ ، وأخذت عنه هذه القراءة » [5] بالرغم من أن الإدغام هو إحدى الظواهر اللهجية لتميم ، أما قراءة قريش فقد اشتهرت بالتحقيق وليس بالإدغام . إلا أن د . شاهين قد اعتبر الإدغام التميمى ظاهرة لهجية راقية وفصيحة ، ولهذا

---

(١) المصاحف : ص ١٧ .   (٢) المصاحف : ص ٤١ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٥ .

(٤) القراءات واللهجات : عبد الوهاب حمودة ص ٨ .

(٥) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٨ .

تبناها عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة ، على حين اعترض عمر على غيرها من الظواهر اللهجية الهابطة – في رأيه – ،كما أوضحنا .

وكان هذا هو مفهوم الاختيار في مجال اللهجات ، الذى بدأ منذ عهد الصحابة ، واستمر حتى ظهر جليًا واضحًا عند القرَّاء من التابعين وتابعى التابعين ومن جاء بعدهم .

*** اختيار أبى عمرو بن العلاء إدغام تميم :**

ولقد اشتهر قارىء البصرة أبو عمرو بن العلاء بالإدغام ، حتى كان أحد السمات المميزة لقراءته . وقد جاء هذا اختيارًا منه لظاهرة لهجية فصيحة راقية ، فى خدود الرواية ، فالقراءة « سنة متبعة » .

ويبلور د . شاهين ذلك فيقول [1] :

« فأبو عمرو فى **اختياره** لقراءته كان خاضعًا لاعتبارين :

(١) التزام الصدق فى الرواية عن النبى ﷺ أولا وقبل كل شيء ، وذلك أساس اختياره .

(٢) **الصراع العلمى** بين القبائل التى دخلت فى الإسلام ، وقد ألقى هذا الاعتبار ظله على انفراده بالإدغام بهذه الصورة الشاملة .

ولم يكن هذا الانفراد انتصارًا خالصًا للهجة معينة ، بقدر ما كان استخدامًا لظاهرة لغوية راقية ، فى تلاوة أرقى نص لغوى » .

هذا ، ويمكنك فهم هذه العبارة جيدًا إذا علمت أن القارىء أبو عمرو بن العلاء كان ينتسب لتميم ، وإن الإدغام الذى اشتهر به دونًا عن باقى القرَّاء كان لهجة تميمية . وأن أبا عمرو لم يأت اختياره تعصبا للهجة قومه بقدر ما جاء اختيارًا للأفصح من لغات العرب وفى إطار ما ورد بالرواية . فأتى اختياره هنا بمثابة تذوق وميل وحب للإدغام ، « فاختاره لقراءته من بين ذلك الحشد الهائل من الروايات والقراءات الذى تحصل لديه » [2] .

---

(١) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٦ .

(٢) السابق : نفس الصفحة .

ولما صادف اختيار أبى عمرو هذا قبولاً لدى « الرأى العام » ، فقد التف الناس حول قراءته حتى ذاعت واشـــتهرت فى الأمــصار ، ومن هنا اختارها ابن مجاهد حين سبع ســبعته . ثم هذا لأبى عمرو بعد أن تعرض لأكثر من اختبار ، أجراه له « الرأى العام » ليستوثق من أن اختياره هذا قد جاء عن رواية متواترة ، وفى كل مرة كان أبو عمرو ينجــح فى إثبات ذلك ، حتى اطمأن الناس . ولم يكن ذلك أمرًا سهلاً بالمرة (١) .

* * *

*** عاصم ... قارىء اختار ألا يختار :**

وحفص ... روى عن عاصم بلا اختيار :

على النقيض من أبى عمرو بن العــلاء ، جاءت تصــريحات عاصم بن أبى النجود لتؤكد أنه لم يخالف أستاذه وشيخه أبا عبد الرحمن السُّلَمى فى حرف واحد من حروف القرآن . وعلى هذا النهج سار تلميذه وربيبه وراويه « حفص » ليؤكد أنه لم يخالف شــيخه وأستاذه عاصم فى حرف واحــد من قراءته ، بل وأكثر من هذا يعلن – وبفخر يحسب له – أنه لم يقرأ على أحد سوى أستاذه عاصم .

وهكذا وصلتنا رواية حفص عن قراءة عاصم بلا خلاف فى حرف واحد .

وهى القراءة التى حققت النصر الاستراتيجى – على المدى البعيد – وإن لم تحقق النصر التاكتيكى فى بدء ظهورها ، على الأقل بين العوام لأسباب سبق ذكرها ، ويأتى فى مقدمتها أسباب تتعلق بالخيلاء الذى اشتهر عن عاصم والترفع الذى جعل راويه الثانى شعبه لا يمكن الناس من نفسه ، حتى جاء اليوم الذى لا تجد فيه من يقرأ بقراءة عاصم فى الكوفة إلا الرجل أو الرجلان ، فى حين التف الجميع حول قراءة حمزة – المنافس العتيد لعاصم – لتستحوذ على شعبية قاهرة فى حينها .

---

(١) انظر : أبو عمرو بن العلاء د . عبد الصبور شاهين .

إلا أن « الصفوة » من القرّاء والرواة فى كافة الأمصار كان لهم رأى آخر . فقد علموا فضل هذه القراءة - التى أتت بلا اختيار - وبإسناد غاية فى العلو ، فالتف الجميع حولها مع مرور الوقت ، يأخذون عنها ويختارون منها لقراءاتهم ، أعلنوا ذلك أم أخفوه ، فقد أثبتته الإحصاءات ، وبخاصة فى فرش الحروف .

فقد اتجه نحو حروف عاصم بحفص عنه ، القارئان النحويان ، أبى عمر بن العلاء فى البصرة ، والكسائى فى الكوفة ، وهما من السبعة . وقد تابعهما على نفس الاتجاه ، القارئ يعقوب فى البصرة وخلف فى الكوفة وهما من العشرة وفى المدينة ، اتجهت اختيارات نافع فى فرش الحروف نحو رواية حفص عن عاصم .

ولم يشذ عن ذلك التوجه سوى ابن محيصن فى مكة ، وقد علمنا كيف هجر الناس قراءته إلى قراءة معاصره ابن كثير الذى ارتبط فرش حروفه بقراءة عاصم بحفص عنه هو الآخر .

أما ابن عامر قارىء الشام الأوحد بعد أبى الدرداء فقد جاء ارتباطه بقراءة عاصم على القمة ، ويبدو أن ذلك كان من العوامل التى شجعت ابن مجاهد على أن يدخله فى سبعته المشهورة .

أما اليوم ، فرواية حفص عن عاصم هى التى تتربع على عرش الشهرة فى معظم أنحاء العالم الإسلامى ، لتعلن بعد نحو خمسة عشر قرنًا من الزمان ، قتلت فيه القراءات والروايات بحثًا وتدقيقًا ، أنها الاختيار الأنسب .

وتنتهى رواية حفص عن عاصم إلى القطبين عثمان وعلىّ رضى الله عنهما . فقد كان أبو عبد الرحمن السلمى يسمع من عثمان ويعرض على علىّ . وعن السلمى قرأ عاصم ، فلم يخالفه فى حرف واحد مما أخذه عن عثمان وعلى . وعن عاصم روى حفص ، فلم يخالفه فى حرف واحد مما قرأه على السلمى .

وقد حدث أبو بكر بن عياش (شعبة) قال : قال لى عاصم :

« ما أقرأنى أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن السلمى ، وكنت أرجع من

عنده فأعـــرض على زر (بن حبيش) ، وكان زر قد قرأ على عبد الله (بن مسعود) [1] .

روى حفص عن عاصم ، قال : قال لى عاصم :

ما كان من القراءة التى أقرأتك بها فهى القراءة التى قرأت بها على أبى عبد الرحمن السلمي عن عليٍّ . وما كان من القراءة التى أقـــرأتها أبا بكر ابن عياش (شعبه) - وهو مكثر فى الإمالة عن عاصم - فهى القراءة التى كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود » [2] .

وهكذا يبين لنا هذا الخبر أن عاصمًا لم ينتهج منهج الاختيار عند قراءته عن شيوخه ، بمعنى الخلط بين القراءات المختلفة ، والخروج بتوليفة تعبر عن مذهب له ذا طابع متميز ، كما فعل أبو عمرو مثلاً . ولكنه كان شديد الحرص على أن ينقل كل قراءة أخذها عن واحد من شيوخه ، تمامًا كما تلقاها منه ، نقية من أى اختيار لشيخ آخر يغير من معالمها .

فنقل قراءة السلمى إلى حفص ، تمامًا كما أخذها عنه ، لم يخالفه فى حرف واحد ، فجاءت خالية من الإمالة إلا فى كلمة (مجريها) .

وأقرأ راويه الثانى أبا بكر بن عياش (شعبة) قراءة أخذها عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، كثرت فيها الإمالة .

وإلى هذه النتيجة وصل الدكتور عبد الفتاح شلبى فى رسالة الماجستير عن الإمالة فى القراءات واللهجات العربية .

فإن قلت إن ابن مجاهد قد أورد أن الاختلاف بين حفص وشعبة فى روايتهما عن عاصم قد بلغ خمسمائة وعشرين حرفًا [3] .

---

(١) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية : رسالة ماجستير للدكتور عبد الفتاح شلبى ، دار نهضة مصر ، ص ١٢٣ ، والسبعة : لابن مجاهد ص ٧٠ .

(٢) الإمالة : ص ١٢٤ .

(٣) السبعة : هامش ص ٧١ .

أقول : إنه اختلاف معلوم المصدر . فرواية حفص عن عاصم تنتهى إلى السلمى ، أما رواية شعبة عن عاصم فتنتهى إلى زر بن حبيش .

وتنتهى قراءة السلمى إلى علىٍّ وعثمان ، فى حين تنتهى قراءة زر بن حبيش إلى ابن مسعود ، وعنه جاءت الإمالة .

هذا ولم يفعل عاصم- باسم الاختيار – ما فعله غيره من القرّاء حين خلطوا اختياراتهم من هنا وهناك بعضها ببعض ، فوصلتنا قراءة مهجنة غير نقية . وكان عاصم قادراً على أن يفعل ذلك دون شك ، إلا أنه آثر أن ينقل لنا قراءة شيوخه نقية تمامًا . وترك لمن خلفه مهمة الاختيار بين قراءته النقية عن مصادره الواضحة ، وقراءة غيره المهجنة فرشًا أو أصولاً أو كليهما معًا .

وأعتقد أن هذا السبب وحده كان كافيا لأن تنتصر قراءة عاصم برواية حفص عنه فى المعركة فى النهاية ، اختياراً من الناس والتاريخ معًا .

أنظر إلى الفرق بين هذا المنهج : منهج حفص عن عاصم عن السلمى عن علىٍّ وعثمان بلا اختلاف فى حرف واحد ، وبين منهج الكسائى قارىء الكوفة (من السبعة) حين خالف قراءة أستاذه حمزة (من السبعة أيضًا) فى نحو ثلاثمائة حرف لأنه قرأ على غيره ، فاختار من قراءة حمزة ، ومن قراءة غيره قراءة ، وترك منها كثيراً ، على حد تعبير الإمام مكى بن أبى طالب [١] .

أو انظر لأبى عمرو بن العلاء ، فقد قرأ على ابن كثير (قارىء مكة ، من السبعة) وهو يخالفه فى أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، لأنه قرأ على غيره ، واختار من قراءته (ابن كثير) ومن قراءة غيره قراءة [٢] .

ويقول ابن مجاهد [٣] : « اختار الكسائى من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة » . إلا أنه لم يذكر على وجه التحديد عن أى إمام من هؤلاء الأئمة ترك الكسائى اختيار شيخه وأستاذه حمزة إلى اختياره فى كل حرف من حروف الاختلاف .

---

(١) الإبانة : ص ٥٠ .   (٢) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٣) السبعة : ص ٣٥ .

* **نافع يختار لنفسه ، ولا يختار لغيره :**

إما رواية ورش عن نافع المدنى ، وهى الرواية التى ما زالت محتفظة بكيانها إلى جانب رواية حفص عن عاصم ، حيث يقرأ بها المغرب وأجزاء من السودان وغيرها فى الوقت الحاضر ، وضبطت بها المصاحف هناك ، فيقول عنها الإمام مكى فى إبانته [1] :

« وهذا قالون (الراوى الثانى لنافع) ربيب (نافع) وأخص الناس به . وورش أشهر الناس فى المتحملين إليه ، اختلفا فى أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، من قطع وهمز ، وتخفيف وإدغام وشبيهه .

ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية ورش عنه ، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش .

وإنما ذلك لأن ورشًا قرأ عليه (نافع) بما تعلم فى بلده ، فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمته ، فتركه على ذلك .

وكذلك ما قرأ عليه قالون وغيره » أ هـ .

فانظر الفرق هنا بين منهج عاصم ومنهج نافع . فنافع لا يقرىء ورشًا ولا قالون بما اختاره من القراءة ، ولكنه « **يقرهما** » على ما قرءا عليه بشرط أن يكون قد سمع ذلك من شيوخه .

فإذا سألت عن عدد شيوخه ، أجبتك على لسان نافع بأنهم أكثر من سبعين شيخًا من التابعين .

يقول نافع :

« قرأت على سبعين من التابعين ، فما اتفق عليه اثنان أخذته ، وما شذ فيه واحد تركته » .

---

(١) الإبانة : ص ٨٤ .

ويعقب مكى بن أبى طالب : فكان مما قرأ عليه بما اتفق فيه اثنان من أئمته لم ينكر عليه ذلك [١] .

إلا أن ما نود الإشارة إليه هنا هو التساؤل الآتى :

من هم على وجه التحديد شيوخ ورش الذين قرأ عليهم بمصر ، وأقره نافع على قراءته عنهم ؟

أعتقد أنك لن تجد لهذا السؤال إجابة محددة ، **وهو جدير بأن يكون نقطة بحث لرسالة ماجستير أو دكتوراه** . فإذا نجح الباحث فى التوصل إلى تفسير ، وجب ساعتها على علماء القراءات واللغويين المعاصرين أن ييسروا ما تم التوصل إليه للذكر ، فيطرحوه ، وأمثاله ، فى كتب منشورة بلغة سهلة ميسرة ، تكفى المسلمين – من غير المتخصصين – مؤونة الغوص فى المتاهات والخروج بلا شيىء .

ونعود إلى منهج نافع ، حيث لم يقرىء أحداً بقراءته التى اختارها لنفسه إلا أن يطلب منه ذلك .

يقول مكى [٢] : « وقد روى عنه (نافع) أنه كان يقـــرىء الناس بكل ما قرأ به حتى يقال له :

نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت » .

ويقول أيضاً [٣] : « وقد روى عن غير نافع أنه كان يرد على أحد ممن يقرأ عليه إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمته .

فإن قيل له : أقرئنا بما اخترته من روايتك ، أقرأ بذلك » .

* * *

---

(١) الإبانة : ص ٨٣ .
(٢) الإبانة : ص ٨٤ .
(٣) الإبانة : ص ٨٥ .

الباب الثانى

اتجـــاهات القرّاء

الفصل الرابع

أشهر المقرِّئين من الصحابة والتابعين

- مبعوثو عثمان إلى الأمصار .
- القرّاء من الصحابة والتابعين .
- القرّاء بالشاذ من الصحابة والتابعين .
- الصحابة الذين انتهت إليهم القراءات .
- ماذا عن ابن مسعود ؟ .

** أشهر المقرّئين من الصحابة والتابعين :

* المبعوثون بنسخ المصحف الإمام إلى الأمصار :

يقول د . عبد الفتاح شلبى [1] :

« لم يرسل عثمان المصاحف إلى الأمصار وحدها بل أرسل مع كل مصحف إمامًا عدلاً ضابطًا تكون قراءته موافقة لما فى هذا المصحف « **غالبًا** » :

– فأمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدنى .

– وبعث عبد الله بن السائب (المخزومى) مع المصحف المكى .

– والمغيرة بن أبى شهاب (المخزومى) مع الشامى .

– وأبا عبد الرحمن السلمى مع (المصحف) الكوفى .

– وعامر بن عبد القيس مع البصرى .

فعند ذلك اجتمع الناس فى الأمصار على مصحف عثمان ، وقرأ أهل كل مصر من قراءتهم التى كانوا عليها بما يوافق خط المصحف تلقيًا عن الصحابة الذين تلقوه من فمه ﷺ ، وتركوا من قراءتهم ما خالف خط المصحف .

وقام التابعون فى ذلك مقام الصحابة .

فقرأ قوم مصحفهم : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ ﴾ [2] بالحاء والباء على ما كانوا عليه ، وقرأ الآخرون : (من كل جدث) بالجيم (والثاء) على ما كانوا عليه .

وقرأ قوم : ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ ﴾ [3] بالصاد على ما كانوا عليه .

وقرأ الآخرون : (يَقْضِ الحق) بالضاد على ما كانوا عليه .

وكذلك ما أشبه هذا ، لم يخرج أحد فى قراءته عن صورة خط المصحف ولم يكن فى ذلك متشهيًا ، وباختياره ، وإنما كان ذلك بناء عن قراءة سمعها من

---

(١) المدخل والتمهيد : د . عبد الفتاح شلبى ، المكتبة الفيصلية – مكة ص ٥٤ .

(٢) الأنبياء : ٩٦ .   (٣) الأنعام : ٥٧ .

أشياخه (الصحابة القرَّاء) مسندة إلى رسول الله ﷺ كما يقول زيد بن ثابت : القراءة سنة » أ هـ .

والصحابى الوحيد فى مبعوثى عثمان هو زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) . وهو كاتب النبى وأمينه على الوحى ، كما أنه كان الثقة الذى وكل إليه جمع القرآن فى صحيفة واحدة بتكليف من أبى بكر ، ثم نسخ المصحف الإمام بتكليف من عثمان ، وأخيراً كلفه عثمان بأن يكون مبعوثه ووكيله فى إقراء القرآن بالمدينة من واقع نسخة المصحف الإمام .

وقد تتلمذ على يديه فى القراءة الكثير من الصحابة ، ويأتى على رأسهم : عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة . اللذان تتلمذا أيضاً على الصحابى المقرىء أبى بن كعب ، رأس الإقراء بالمدينة .

أما عبد الله بن السائب المخزومى مبعوث عثمان إلى مكة ، فقد تتلمذ عليه ابن كثير المكى (٤٥ هـ - ١٣٠ هـ) قارىء مكة من سبعة ابن مجاهد المشهورة .

والمغيرة بن أبى شهاب المخزومى مبعوث عثمان إلى الشام ، فهو صاحب سيدنا عثمان بن عفان ، وعرض عليه القرآن نفسه ، وقد تتلمذ عليه عبد الله بن عامر الدمشقى (٢١ - ١١٨ هـ) أحد القرَّاء السبعة ، ومقرىء الشام وأعلاهم سنداً .

وأبو عبد الرحمن السلمى مبعوث عثمان إلى الكوفة للإقراء بنسخة المصحف الإمام ، فقد « تعلم القرآن من عثمان وعرضه على علىٍّ » [١] ، وتتلمذ عليه عاصم بن أبى النجود مقرىء الكوفة ، لم يخالفه فى حرف واحد .

أما عامر بن عبد القيس مبعوث عثمان إلى البصرة بنسخة من مصحفه الإمام فيبدو أن قراءته لم تشتهر هناك ، حيث لم يتردد اسمه إلا فيما ندر .

---

(١) الإمالة : ص ١١٣ .

* المشهورون من الصحابة :

يقسمهم د . شوقي ضيف إلى مهاجرين وأنصار فيقول [1] :

« * من المهاجرين :

الخلفاء الراشدون سعد بن أبى وقاص وطلحة وعبد الله بن مسعود وحذيفة وسالم وأبو هريرة وأبو موسى الأشعرى وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن السائب المخزومى وعبد الله بن الزبير وأمهات المؤمنين : عائشة وحفصة وأم سلمة .

* ومن الأنصار :

زيد بن ثابت وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وأنس بن مالك ومُجَمّع بن جارية » . أ هـ .

أما د . شعبان إسماعيل فيقسمهم إلى أساتذة وتلاميذ ، ويركز على بعضهم فقط ممن اعتبرهم « مشهورين » ، فقال [2] :

« اشتهر من الصحابة عدد كثير بإقراء القرآن الكريم ، بجميع قراءاته ورواياته نذكر منهم :

١ - عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ... وتتلمذ عليه الكثيرون ، منهم : المغيرة بن أبى شهاب المخزومى (ت ٩١ هـ) .

٢ - على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ... وتتلمذ عليه كل من :

(أ) أبى عبد الرحمن السلمى (ت ٧٣ هـ) .

(ب) أبى الأسود الدؤلى (ت ٦٩ هـ) .

(جـ) عبد الرحمن بن أبى ليلى (ت ٨٣ هـ) .

٣ - أبى بن كعب (رضى الله عنه) من أجلاء الصحابة ، من

---

(١) السبعة : ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) القراءات ، أحكامها ومصادرها : ص ٥١ - ٥٢ .

كتّاب الوحى لرسول الله ﷺ قرأ القرآن على رسول الله ﷺ وأتم حفظه فى حياته ﷺ .

أخذ عنه الكثيرون منهم :

(أ) عبد الله بن عباس .

(ب) أبو هريرة .

(جـ) أبو عبد الرحمن السلمى ، وغيرهم كثيرون .

٤ - زيد بن ثابت الأنصارى ، أحد كتّاب الوحى لرسول الله ﷺ وهو الذى جمع القرآن فى عهد الخليفتين : (أبى بكر) و (عثمان) رضى الله عنهما . كما أوفده (عثمان بن عفان) إلى أهل المدينة المنورة مع المصحف الذى أرسله إليهم .

وتتلمذ عليه الكثيرون منهم :

(أ) أبو هريرة .

(ب) عبد الله بن عباس .

(جـ) عبد الله بن عمر .

(د) أنس بن مالك . رضى الله عنهم جميعا .

٥ - عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) ، من أجلاء الصحابة ومن السابقين إلى الإســلام ، **أتم حفظ القرآن فى حياة النبى ﷺ** . قال عنه ﷺ : « من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » .

تتلمذ عليه الكثيرون منهم :

(أ) علقمة بن قيس .

(ب) الأسود بن يزيد النخعى .

(جـ) مسروق بن الأجدع .

(د) أبو عبد الرحمن السلمى .

٦ – أبو موسى الأشعرى (رضى الله عنه) الصحابى الجليل ، كان من أطيب الناس صوتًا بالقرآن الكريم . سمع النبى ﷺ قراءته فقال : « لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » .

تتلمذ عليه الكثيرون منهم :

(أ) سعيد بن المسيب .

(ب) حطان الرقاشى .

(جـ) أبو رجاء العطاردى [١] » . أ هـ .

*** رواة القراءات الشاذة من الصحابة :**

يقول د . شعبان إسماعيل [٢] إن رواة القراءات الشاذة كثيرون ، ومنهم بعض الصحابة والتابعين ، وذكر منهم على سبيل المثال :

١ – عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) .

٢ – أبو موسى الأشعرى (ت ٥٢ هـ) ، وهو عبد الله بن قيس ، كان من قراء الصحابة وفضلائهم ، ومن أكثرهم فقهًا ، وأحسنهم صوتًا بقراءة القرآن .

٣ – عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشى المكى ، الصحابى الجليل (ت ٧٣ هـ) .

وما يهمنا هنا هو ما ورد بخصوص ابن مسعود ، رأس مدرسة الكوفة فى الإقراء ، والذى إليه انتهت خمس قراءات من بين الأربع عشر ، أو أربع قراءات من العشر المشهورة ، أو ثلاث قراءات من السبع المتواترة . فقد انتهت إليه قراءة الأعمش وحمزة ، والكسائى وخلف وعاصم برواية شعبة عنه .

ونتوقف قليلاً أمام عبارة أوردها د . شعبان إسماعيل فيما يخص ابن مسعود ، حيث قال عنه [٣] : « أتم حفظ القرآن فى حياة النبى ﷺ » .

---

(١) راجع النشر : ج ١ ص ٦ .

(٢) القراءات ، أحكامها ومصادرها : ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣) السابق : ص ٥٢ .

وقد خالف بذلك قول الإمام مكى بن أبى طالب من إبانته حين قال [١] :

« ولم يختلف فى أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبى ﷺ جمع القرآن كله . بل قال إنى جمعت منه على عهد النبى بضعاً وسبعين سورة ، وتلقيت من فِى رسول الله ﷺ سبعين سورة » .

ويشير الإمام مكى إلى أن الأحاديث التى وردت عن النبى ﷺ بشأن ابن مسعود ربما كانت تشير إلى « سماع ترتيل القرآن » من ابن مسعود ، وأن معنى ذلك أن النبى كان يحض الناس على ترتيل القرآن كما يرتله ابن مسعود إذا قرأ وليس معناه أنه يريد حرفه الذى يخالف المصحف [٢] .

وأقول : إذا جاز هذا الفهم للأحاديث التى وردت بشأن ابن مسعود فهى صحيحة أيضاً - وبنفس المعنى - فيما يخص أبو موسى الأشعرى حيث تشير نصوص الأحاديث إلى حسن أدائه ، ولا تشير إلى حروف قراءته ، والتى صنفت فى الشواذ بما يشبه الإجماع .

ويقودنا ذلك إلى استعراض سريع لموقف باقى الصحابة من ناحية جمعهم القرآن على عهد النبى ﷺ من عدمه .

*** هل حفظ الصحابة القرآن على عهد النبى ﷺ :**

ناقش مكىٌ بن أبى طالب هذا الموضوع فبدأ بطرح سؤال افتراضى [٣] :

« قال : فإن سال سائل ، فقال :

هل جمع حفظ القرآن على عهد النبى ﷺ أحد من الصحابة ، فتقوى بذلك الأنفس فيما يقرءونه اليوم ؟ .

فالجواب :

أنه قد اختلف الناس فيمن جمع القرآن على عهد النبى ﷺ .

ثم بدأ فى سرد مجموعة من الأخبار التى وردت فى هذا الشأن بأسماء

---

(١) الإبانة : ص ٩٥ .
(٢) الإبانة : ص ٩٧ - ٩٨ .
(٣) الإبانة : ص ٩٢ .

مجموعة من الصحابة منهم : أبى بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة وعثمان بن عفان وتميم الدارى (!) وأبو الدرداء وسعد بن عبيد القارىء وأبو زيد (!) وزيد (ليس زيد بن ثابت) (!) .

وقال ابن عباس :

« جمع القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة : معاذ بن جبل وأبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة ... **ومجمع بن جارية** » .

ثم قال مكى أنه لم يختلف فى أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبى ﷺ جمع القرآن كله ، بل جمع فقط نحو سبعين سورة .

ورد على تساؤل بخصوص عدم ورود ذكر زيد بن ثابت فى بعض الأخبار ، بأن النبى ﷺ قد ترك ذكر من اشتهر فى القرآن وعرف فضله ولم يجهل قدره وعلمه كزيد بن ثابت وعلى بن أبى طالب ، فنبه على قوم لم يشتهروا فى ذلك الوقت مثل شهرتهما .

فإن قيل :

فإن بعض القرّاء السبعة المشهورين ومن تقدمهم من أنهم يسندون قراءتهم إلى ابن مسعود عن النبى ، وإلى على (بن أبى طالب) عن النبى ، وإلى عثمان عن النبى وهؤلاء لم يكونوا يحفظون القرآن على عهد النبى ﷺ .

فكيف قرءوا على النبى ، ونقلوا عنه القراءة ، وهم لا يحفظون القرآن ؟

فالجواب :

أن عثمان ، قد روى أنه كان يحفظ القرآن على عهد النبى ﷺ .

أما ابن مسعود **فيجوز** أن يكون قرأ (ما زاد على السبعين سورة) بعد موت النبى ﷺ على من قرأ على النبى ، فأسنده إلى النبى [١] .

---

(١) الإبانة : ص ١٠٣ .

ويجوز أن يكون قرأه على النبى تلقيناً ، ولم يكمل له إتقان حفظه إلا بعد موت النبى ﷺ .

ويجوز أن يكون سمعه من النبى فيقوم سماعه منه مقام قراءته عليه .

ويستطرد مكى بن أبى طالب فيقول :

وكذلك تأويلنا فى على وعثمان إن كانا لم يكمل لهما حفظ القرآن على عهد النبى ﷺ .

وينهى الإجَابة بقوله :

على أن القرَّاء يسندون قراءتهم فى الأكثـر إلى أبى (بن كعب) ، وزيد (بن ثابت) والنبى ﷺ . وقد صحت قراءتهما (أبى وزيد) على النبى ﷺ .

والخلاصة : أن الإمام مكى يوحى حديثه – على ما فهمنا – بأنه :

* مطمئن لحفظ أبى بن كعب وزيد بن ثابت القرآن كله على عهد النبى ﷺ .

* غير مطمئن تماماً بأن : عثمان وعلى قد جمعا القرآن كله على عهد النبى ﷺ .

* يشك فى أن ابن مسعود قد جمع على عهد النبى ﷺ أكثر من سبعين سورة فقط .

* أن النبى ﷺ كان يمدح طريقة ابن مسعود فى ترتيل القرآن ، وليس حروفه التى حفظ بها القرآن ووردت بها الكثير من القراءات الشاذة .

* غير متأكد من الحرف الذى كتب عليه المصحف الإمام ، هل هو حرف زيد بن ثابت أم حرف أبى بن كعب ؟ وإن رجح أنه حرف زيد قائلاً : « وعلى الحرف الأول (حرف زيد) أكثر الرواة »[1] .

ويعنى بحرف زيد : قراءته وروايته وطريقته .

---

(١) الإبانة : ص ٩٥ .

* شبهة ألحقت بابن مسعود (رضى الله عنه) :

نوه محقق كتاب الإبانة الدكتور عبد الفتاح شلبى فى هامش الكتاب معلقًا على خبر ابن عباس الذى سبق ذكره بأنه قد جمع القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة ، ذكر منهم مجمع بن جارية ، فقال فى الهامش (١) :

« ومجمع بن جارية بن عامر العطاف الأنصارى الصحابى ، وكان غلامًا حدثًا ، حين جمع القرآن .

وكان أبوه جارية ممن اتخذ مسجد الضرار .

وكان مجمع يصلى بهم فيه ، ثم أخربه النبى ﷺ .

فلما كان زمان عمر ، كلم ليصلى بالناس ، فقال (عمر) : لا ... أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضرار .

فقال لعمر : والله الذى لا إله إلا هو ما علمت بشىء من أمرهم .

فتركه عمر فصلى بهم » . أ . هـ تعليق د . شلبى بالخبر الذى أسنده إلى كتاب « طبقات القرَّاء : ج ٢ ص ٤٢ » .

* الصحابة الذين انتهت إليهم القراءات السبع :

هم : أبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان ابن عفان رضى الله عنه .

١ - قال القرطبى (٢) :

* أسند عاصم قراءته إلى علىٍّ وابن مسعود .

* وأسند ابن كثير قراءته إلى أبىٍّ بن كعب .

* وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبىّ .

* وأما عبد الله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان .

---

(١) هامش الإبانة : ص ٩٤ ، تحقيق د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

(٢) تفسير القرطبى : ص ٥٨ ، الاختيار فى القراءات : ص ١٠ - ١١ .

وهؤلاء يقولون : قرأنا على رسول الله ﷺ .

(٢) وقال الزركشي [١] :

* قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو راجعة إلى أبى .

* وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان .

* وقراءة عاصم وحمزة والكسائى إلى عثمان وعلى وابن مسعود .

(٣) وعلمنا أن مكيّ بن أبى طالب رجح أن « المصحف الإمام » - وهو أساس قراءة السبعة - قد كتب على حرف زيد بن ثابت ، أى على قراءته وروايته وطريقته .

*** أين ابن مسعود من رواية حفص عن عاصم ؟ :**

لما كان المصحف السائد بمصر حاليًا ، وبمعظم البلاد الإسلامية أيضًا ، هو النسخة المكتوبة من القرآن الذى يتلى برواية حفص عن قراءة عاصم ، وعلى أساسها تم شكله ونقطه . ولما كانت الآراء قد اجتمعت على أن قراءة عاصم تنتهى إلى ابن مسعود - جنبا إلى جنب - مع عثمان وعلى .

فقد كان من الطبيعى عند كتابة « التعريف بالمصحف » ، والذى يكتب عادة فى نهاية كل مصحف مطبوع ، أن يرد اسم ابن مسعود فيمن انتهت إليهم رواية حفص،ولكن الحاصل أنك لا تجد اسم ابن مسعود فيمن أسندت إليهم رواية حفص عن قراءة عاصم . بل وتجد أسماء أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، جنبًا إلى جنب مع عثمان وعلى .

وفيما يلى نص ما كتب تحت عنوان « تعريف بهذا المصحف الشريف » لمصحف المدينة النبوية المطبوع بمجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بإشراف وزارة الحج والأوقاف عام ١٤١٣ هـ :

« كتب هذا المصحـــف وضبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ، للزركشى : ج ١ ص ٣٣٨ .

ابن المغيرة الأسدى الكوفى لقراءة عاصم بن أبى النجود الكوفى التابعى عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى عن عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وزيد بن ثابت وأبى بن كعب عن النبى ﷺ » أ . هـ .

فأين ابن مسعود الذى تواترت الروايات - بما يشبه الإجماع - على أن قراءة عاصم انتهت إليه فيمن انتهت ؟ .

وما السر فى إضافة زيد بن ثابت وأبى بن كعب مع العلم بأن ما تواتر من الروايات لم تذكر إلى جانب ابن مسعود سوى عثمان وعلى ، وإليهم الثلاثة أسند علماء القراءات على مر العصور قراءة عاصم ؟ .

وأبدأ بالرد على السؤال الأخير فأقول :

ربما ورد اسم زيد بن ثابت وأبى بن كعب لأن على حرفيهما كتب المصحف العثمانى الإمام ، وعلى حرف زيد بالذات أكثر الرواة ، على حد قول مكى بن أبى طالب فى إبانته ، والذى قال إن حرفه يعنى : قراءته وروايته وطريقته .

فإذا كان ذلك كذلك ، فوجب إذن إسناد أى رواية لأى من القرّاء السبعة المتواترة إلى زيد وأبى ، من باب دورهما المعروف فى كتابة « المصحف الإمام » المتواتر قطعاً ، اليقينى الثبوت بالدليل المادى الملموس الذى هو خطه ورسمه ، من غير نقط ولا إعجام .

فإذا أتينا إلى الضبط والشكل والإعجام ، فلابد إذن أن يتم ذلك على أساس القارىء ، وهو عاصم الكوفى فى حالتنا .

فإذا علمنا أن ابن مجاهد كان قد اختار لكل قارىء راويين ، ولما علمنا أن راويى عاصم هما : حفص وشعبة . وأن شعبة قد خالف حفصاً فيما رواه عن عاصم فى أكثر من خمسمائة حرف ، كما سبق وأوضحنا ، فقد كان من الضرورى أن يتم ضبط المصحف على إحدى الروايتين .

وفى حالتنا ، تم ضبط المصحف على رواية حفص ، وليس على رواية

شعبة . فإذا ربطنا هذا باختفاء اسم ابن مسعود من إسناد رواية حفص ، فإنه لا يبقى أمامنا سوى تفسير واحد ، وهو :

أن قراءة عاصم تنتهى إلى ابن مسعود فقط فيما رواه عنه شعبه . وأن رواية حفص عن عاصم تنتهى إلى عثمان وعلى ، دون ابن مسعود .

يؤكد ذلك ، ما جاء بالتعريف من إسناد رواية حفص لقراءة عاصم عن أبى عبد الرحمن السلمى عن عثمان وعلى . ولم يذكر إسناد قراءة عاصم لزر بن حبيش ، والمعروف أن عاصماً كان يعرض عليه ما قرأه على السلمى، وأن قراءة زر بن حبيش كانت تنتهى إلى ابن مسعود .

من هنا يمكن القول بأن عاصماً قد أقرأ راوييه بقراءتين :

الأولى : أقرأها لحفص ، عن السلمى ، عن عثمان وعلى .

والثانية : أقرأها لشعبة ، عن زر بن حبيش ، عن ابن مسعود (وعثمان) .

وإلى هذه النتيجة انتهى د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى فى رسالته للماجستير بعنوان « فى الدراسات القرآنية واللغوية ... الإمالة فى القراءات واللهجات العربية »[1] وناقشها عام ١٩٥٢ م ، فقال :

« وإذن فقد كانت هناك مدرستان لعاصم :

أحدهما : ممثلة فى السلمى ، يؤثر عنها الفتح .

والأخرى : ممثلة فى زر بن حبيش ، يؤثر عنها الإمالة .

فما أثر هاتين المدرستين فى رواية كل من أبى بكر (شعبة) وحفص عن عاصم ؟ .

لقد روى أبو بكر عن عاصم إمالة غامرة ، ولم يرو حفص عن عاصم إلا

---

(١) مطبوعة فى كتاب بنفس العنوان ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(مجريها) [1] فى المشهور عنه . فهل اتصلت رواية أبى بكر بشيوخ عاصم : زر أو الشيبانى من أصحاب المدرسة المميلة ؟ .

وهل اتصلت قراءة حفص بشيخ عاصم أبى عبد الرحمن السلمى ، وهو صاحب المدرسة الفاتحة .

يجيب عن هذا ما رواه حفص عن عاصم إذ قال : قال لى عاصم :

« ما كان من القراءة التى أقرأتك بها فهى القراءة التى قرأت بها على أبى عبد الرحمن السلمى عن علىٍّ . وما كان من القراءة التى أقرأتها أبا بكر ابن عياش - وهو مكثر فى رواية الإمالة عن عاصم كما انتهينا من قبل - فهى القراءة التى كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود [2] » أ.هـ.

وبهذا نكون قد فسرنا التناقض الظاهرى بين ما جاء على لسان علماء القراءات مما امتلأت به كتب القراءات وعلوم القرآن على مدى خمسة عشر قرناً من الزمان ، من نسبة قراءة عاصم إلى ابن مسعود ، وما جاء مكتوباً فى مصاحفنا التى نقرأ بها من عدم ذكر ابن مسعود فيمن أسندت إليهم قراءة عاصم .

إلا إنك لو أعدت قراءة النص السابق لما وجدت لعثمان ذكراً !! .

انظر قول عاصم لحفص : « ما كان من القراءة التى اقرأتك بها ، فهى القراءة التى قرأت بها على أبى عبد الرحمن السلمى عن علىٍّ » . ولم يذكر عثمان .

ومن العجيب أن د . شلبى فى نفس كتابه [3] قد ذكر أن السلمى قد تعلَّم القرآن من عثمان ، وعرض على علىٍّ .

ويبدو أن الأمر قد يحتاج « لدكتوراه » أو أكثر ، علنَّا نصل إلى رأى نطمئن إليه فى مسألة : « عثمان وعلى ، وأيهما تعلَّم منه السلمى القرآن » .

* * *

---

(١) هود : ٤١ .
(٢) طبقات القراء : ج ١ ص ٣٤٨ .
(٣) الإمالة : ص ١١٣ .

* **المشهورون من التابعين بإقراء القرآن :**

يقول د . شوقي ضيف (١) :

« وعن هؤلاء الصحابة الأجلاء وأمثالهم من الحفظة حملة القرآن رواه بقراءته التابعون ، ونصب أعينهم المصحف العثمانى ؛ وقاموا فى ذلك مقام الصحابة الذين تلقوه شفاهًا عن الرسول ﷺ فهم يتقيدون بما اقرءوهم به حرفًا حرفًا وحركة وسكونًا .

واشتهر منهم فى كل بلد ومصر جماعة كانوا يقرئون الناس ويأخذون القراءة عنهم عرضًا : آية آية وكلمة كلمة وشكلة شكلة ومَدَّة مَدَّة ، منهم :

* **فى المدينة :**

عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة المخزومى وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ويزيد بن رومان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وابن شهاب الزهرى وعمر بن عبد العزيز .

* **وفى مكة :**

مجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس وعطاء وطاووس .

* **وفى الكوفة :**

زر بن حبيش وعلقمة والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وأبو وائل والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل . . . وكلهم من تلامذة ابن مسعود .

وأبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب . . . وهو أول من أقرأ الناس بالكوفة القراءة التى جمع عثمان الناس عليها (وهو أيضًا مبعوث عثمان بنسخة المصحف الإمام إلى أهل الكوفة) .

* **وفى البصرة :**

الحسن البصرى : أحد القرّاء الأربعة عشر المميزين . وابن سيرين وقتادة ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى .

---

(١) السبعة : ص ١٣ .

* وفى الشام :

المغيرة بن أبى شهاب المخزومى ، أخذ القراءة عن عثمان . وخليد بن سعيد ، أخذ القراءة عن أبى الدرداء » . أ . هـ .

* * *

* تابعو التابعين من القرَّاء :

وتكاثر فى كل مصر من هذه الأمصار خلفاء هذا الجيل الأول من التابعين يتقدمهم :

* فى المدينة :

مسلم بن جندب وشيبة بن نصاح وأبو جعفر يزيد بن القَعْقاع : أحد القرَّاء العشرة النابهين ونافع أحد القرَّاء السبعة .

* وفى مكة :

حُميْد بن قيس ومحمد بن عبد الرحمن بن مُحَيصن احد القرَّاء الأربعة عشر وعبد الله بن كثير أحد القرَّاء السبعة .

* وفى البصرة :

عيسى بن عمر الثقفى والحسن البصرى أحد القرَّاء الأربعة عشر – كما أسلفنا – وعاصم الجحدرى وأبو عمرو بن العلاء أحد القرَّاء السبعة وتلميذاه يعقوب بن إسحاق الحضرمى أحد القرَّاء العشرة ويحيى بن المبارك اليزيدى أحد القرَّاء الأربعة عشر .

* وفى الكوفة :

ممن قرأ على تلامذة ابن مسعود : يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعى والأعمش سليمان بن مهران أحد القرَّاء الأربعة عشر ، ثم عاصم بن أبى النجود تلميذ أبى عبد الرحمن السلمى وهو أحد القرَّاء السبعة المقدمين .

وخلفه على القراءة فى الكوفة حمزة وتلميذه الكسائى وهما من القرَّاء السبعة .

* **وفى الشام :**

انتهت القرّاءة عـند خلـفاء التابعين إلى عبد الله بن عامر أحد القرّاء السبعة .

* وممن لمعت أسماؤهم فى أوائل القرن الثالث الهجرى خلف بن هشام ببغداد ، أخذ القرّاءة عن تلامذة حمزة ، وروى الحروف عن تلامذة عاصم وأبى عمرو بن العلاء وغيرهما ، واخـتار له حرفًا أو قراءة ، يتفق فيها مع حمزة إلا قليلاً ، وهو أحد القرّاء العشرة ، **أو قل تكملة عدتهم** [1] » . أ هـ .

* * *

* **رواة القراءات الشاذة من التابعين وتابعيهم وأئمة القرّاء :**

أورد بعضهم – فهم كثر – د . شعبان إسماعيل [2] فذكر منهم :

أولاً : أصحاب القراءات الأربع التى تلى العشر : وهم :

١ - الحسن البصرى : (٢١ - ١١٠ هـ) :

الحسن بن أبى الحسن يسار ، السيد الإمام ، أبو سعيد البصرى إمام زمانه علمًا وعملاً ، قرأ على حطان الرقاشى عن أبى موسى الأشعرى (من الصحابة الذين قرءوا بالشاذ) . كان ثقة فى نفسه ، حجة رأسًا فى العلم والعمل ، عظيم القدر .

وكان كثير التدليس ، فلا يحتج بقوله عمن لم يدركه [3] .

ولكنه حافظ علامة من بحور العلم ، فقيه النفس ، كبير الشأن ، عديم النظير .

(طبقات ١ / ٢٣٥) ، ميزان الاعتدال ١ / ٢١٦ ، التذكرة ١ / ٦٦) .

---

(١) السبعة : ص ٤٤ .

(٢) القراءات : ص ١٠٥ – ١٠٧ ، الإتحاف : ص ٧ ، وطبقات القرّاء : ج ١ ، والقراءات القرآنية : د . عبد الصبور شاهين .

(٣) القراءات القرآنية فى ضـوء علم اللغـة الحديث : الناشـر مكـتبة الخانجى ، القاهرة ص ٤٢٢ .

٢ - ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) :

محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ، مولاهم المكي ، مقرىء أهل مكة مع ابن كثير ، ثقة ، روى له مسلم ، عرض على مجاهد (بن جبر) ودرباس (مولى ابن عباس) وابن جبير (وهم تلامذة ابن عباس) .

وفي قراءته مخالفة للمصحف .

وقد كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية ، فخرج به عن إجماع أهل بلده (مكة) ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه . (طبقات ٢ / ١٦٧) . وكان شيخًا لأبي عمرو بن العلاء .

٣ - اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) :

يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو محمد العدوي البصري ، المعروف باليزيدي ، نحوي ثقة علّامة كبير ، نزل بغداد ، وعرض على أبي عمرو ، وهو الذي خلفه في القراءة ، وأخذ عن حمزة ، وروى القرّاءة عنه أولاده الخمسة ، والدوري والسوسي (راويا أبي عمرو بن العلاء) وغيرهم كثير . (طبقات ٢ / ٣٧٥) .

٤ - الأعمش (٦٠ - ١٤٨ هـ) :

سليمان بن مهران ، أبو محمد الأسدي الكاهلي . إمام جليل ، أخذ القرّاءة عن إبراهيم النخعي وزر بن حبيش وزيد بن وهب ، وعاصم وغيرهم .

أحد الأئمة الثقات ، **ما نقموا عليه إلا التدليس** [١] . (طبقات ١ / ٣١٥ ، وتقريب التهذيب ١ / ٣٣١) .

ثانيا : رواة الشواذ عمومًا من التابعين وتابعيهم :

١ - نصر بن عاصم (ت ١٠٠ هـ) :

الليثي ، ويقال : الدؤلي البصري النحوي ، من كبار التابعين ، عرض على

---

(١) القراءات القرآنية : ص ٤١٥ .

أبى الأسود الدؤلى ، وعرض عليه وقيل روى عنه أبو عمرو بن العلاء قارىء البصرة . ثقة .

٢ - مجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ) :

أبو الحجاج المكى ، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين ، قرأ على عبد الله بن السائب وابن عباس ، وأخذ عنه ابن كثير (مقرىء مكة من السبعة) وابن محيصن (مقرىء مكة من الأربعة عشر) .

وله اختيار فى القراءة رواه الهذلى فى كامله بإسناد غير صحيح [١] .

(طبقات ٢ / ٤١ ، والميزان ٢ / ٣٣٢) .

٣ - أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) :

الأموى ، أبو عبد الله المدنى ، أخذ القرّاءة عن أبيه عثمان بن عفان ، وزيد ابن ثابت ، رضى الله عنهم أجمعين ، ثقة .

٤ - ابن سيرين (ت ١١٠ هـ) :

محمد بن سيرين البصرى ، مولى أنس بن مالك ، إمام البصرة مع الحسن البصرى ، روى عن زيد بن ثابت ، وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، ولد لسنتين بقيتا فى خلافة عثمان ، وكان من خيرة التابعين ، فقيهاً إماماً غزير العلم ، ثبتًا ، علامة فى التعبير ، رأسًا فى الورع (طبقات ٢ / ١٥١ ، والتذكرة ١ / ٧٣) .

٥ - عمرو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ) :

ابن باب ، أبو عثمان البصرى ، وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، وروى عن الحروف عن الحسن البصرى ، وسمع عنه .

قال حميد : **كان يكذب على الحسن ... وقال ابن حيان : كان من**

---

(١) القراءات : د . شاهين ص ٤٤٩ ، والقراءات : د . شعبان ص ١٠٦ .

أهل الورع والعبادة وهو رأس المعتزلة ، كان يشتم الصحابة ، ويكذب فى الحديث وهماً لا تعمداً [1] .

وقال الدارقطنى : ضعيف (طبقات ١ / ٦٠٢ ، والميزان ٢ / ٢٦٤) .

٦ - إبراهيم النخعى (ت ٩٦ هـ) :

ابن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعى الكوفى ، أخذ عنه الأعمش ، إمام مشهور ، **يرسل عن جماعة ، ولا يصح له سماع من صحابى .**

كان لا يحكم العربية ، وربما لحن ، وقد استقر الأمر على أنه حجة ، **وأنه إذا أرسل عن ابن مسعود وغيره فليس ذلك بحسن** (طبقات ١ / ٢٩ - الميزان ١ / ٣١) .

٧ - أبان بن تغلب (ت ١٤١ أو ١٥٣ هـ) :

الربعى ، أبو سعد ، ويقال أبو أميمة الكوفى .

قال الذهبى : شيعى جلد ، لكنه صدوق .

وثقه ابن حنبل وابن معين .

قال السعدى : زائغ مجاهر . (طبقات ١ / ٤ ، الميزان ١ / ٤) .

٨ - البزى (١٧٠ - ٢٥٠ هـ) : أحد راويى ابن كثير :

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة ، المكى ، أستاذ محقق ضابط متقن فى القرَّاءة » **وهو فى الحديث : ضعيف منكر الحديث** [2] . (طبقات ١ / ١١٩ ، ميزان ١ / ٥٨) .

٩ - الجحدرى (ت ١٢٨ هـ) :

عاصم بن أبى الصباح العجاج ، الجحدرى البصرى . عرض على سليمان

---

(١) القراءات : د . عبد الصبور ص ٤٤٢ .

(٢) السابق : ص ٤١٦ .

ابن قتة عن ابن عباس . **وقراءته فى الكامل والاتضاح فيها مناكير ولا يثبت سندها .**

والسند إليه صحيح فى قراءة يعقوب من قراءته على سلام منه .

روى حروفًا عن أبى بكر الصديق (طبقات ١ / ٣٤٩ – ميزان الاعتـدال ٢ / ٤) .

١٠ – ابن جريج (٨٠ – ١٥٠ هـ) :

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد ، القرشى . روى القراءة عن ابن كثير – **وهو فى الحديث يدلس ، مع أنه ثقة ، ويروى أحيانًا أحاديث موضوعة .**

١١ – أبو حيوة (ت ٢٠٣ هـ) .

شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمى الحمصى ، **صاحب القراءة الشاذة ، ومقرىء الشام .** ذكره ابن حيان فى الثقات ، وله اختيار فى القراءة ، وروى القراءة عن الكسائى (من السبعة) . (طبقات ١ / ٣٢٥) .

١٢ – خارجة (ت ١٦٨ هـ) :

خارجة بن مصعب : أبو الحجاج الضبعى السرخسى ، **أخذ القراءة عن نافع وأبى عمرو ، وله شذوذ كثير عنهما ، لم يتابع عليه** ، وروى أيضًا عن حمزة حروفًا .

ضعفه غير واحد ، ووهاه أحمد (طبقات ١ / ٢٦٨) .

١٣ – الضبى (ت ١٦٨ هـ) :

المفضل بن محمد ، أبو محمد الضبى ، الكوفى ، إمام مقرىء نحوى إخبارى ، موثق ، عرض على عاصم والأعمش .

قال أبو حاتم : **ثقة فى الأشعار ، غير ثقة فى الحروف** (حروف القرآن) .

ابن أبى حاتم الرازى : **متروك الحديث ، متروك القراءة .**

(طبقات ٢ / ٣٠٧ ، والميزان ٢ / ٤٩٨) .

١٤ - ابن أبى عبلة (ت ١٥١ هـ) :

إبراهيم بن أبى عبلة ، واسمه شمر بن يقظان أبو إسماعيل ، الشامى ، الدمشقى ثقة كبير ، تابعى ، له حروف فى القراءات واختيار خالف فيه العامة ، فى صحة إسنادها إليه نظر . أخذ القراءة عن الزهرى وأنس بن مالك ، وقيل : عن أم الدرداء الصغرى ووائله بن الأسقع . (طبقات ١ / ١٩) .

١٥ - عيسى - عيسى البصرى - عيسى بن عمر - عيسى بن عمر الثقفى (ت ١٤٩ هـ) :

معلم النحو ، ومؤلف الجامع والإكمال . عرض على ابن إسحق والجحدرى والحسن البصرى **غير أنه كان له اختيار فى القراءة على مذاهب العربية يفارق قراءة العامة ، ويستنكره الناس ، وكان الغالب عليه حب النصب إذا وجد لذلك سبيلا .**

(طبقات ١ / ٦١٣ ، البحر ٨ / ٤١١) .

* * *

تعقيب :

ونكتفى بهذا القدر من التراجم لمن اشتهر عنه القراءة بالشاذ من التابعين وتابعى التابعين ، ونخرج منه بنتيجة رائعة ، وهى أن الأئمة من السلف لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها . وأقول أكثر من ذلك إنهم كانوا غاية فى التشدد - المحمود - فيما يتعلق بعلم الجرح والتعديل مما جعلنا اليوم على ثقة تامة - تكاد تكون يقيناً - من الموازين الحساسة للغاية التى بين أيدينا ، نفرز بها الغث من السمين فى تراثنا العظيم .

وأعتقد أنه جاء دورنا لنقد التراث وتنقيته مما شابه - بحكم الواقع - على مر السنين ، ثم عرضه نقيًّا خالصًا ، أبيض وأسود ، فبضدها تظهر الأشياء .

فإن نحن فعلنا ، فإننا بذلك نكون قد ساهمنا فى تشكيل العقل المسلم

على أساس من الوضوح فى الرؤية ، بعيداً عن تمييع المفاهيم ، فتنشأ الأجيال على بصيرة ، قادرة على تمييز الطيب من الخبيث والحق من الباطل ، والاتباع على بينة من التقليد الأعمى . وعلى هذا كان السلف الصالح ، فارتقوا فى سلم الحضارة ، كسبوا الدنيا والآخرة . وعن هذا النهج حاد المتأخرون حتى سقطوا فى هوة الجمود والموات . ولله الأمر من قبل ومن بعـد ، سبحانه لا يستحيى من الحق ، وأكثرنا للحق كارهون !! .

* * *

الفصل الخامس

وقفة واجبة عند علوم الحديث

- الحديث المرسل .
- التدليس .
- الجرح والتعديل .

* **مقدمة :**

لكى نتمكن من الحكم الصحيح على من روى بالشاذ ، بلا إفراط فى الاتهام ، ولا تفريط فى الدقة العلمية ، وجب علينا التوقف قليلاً عند علوم الحديث ، وبخاصة :

١ - **علم مصطلح الحديث** : لنتعرف على معنى الحديث المرسل ، وحكمه ، وحكم « مرسل الصحابى » .

٢ - **علم الجرح والتعديل** : لنتعرف على معنى الجرح ، ومعنى التعديل ، ومراتب الجرح والتعديل ، وحكم هذه المراتب .

٣ - ثم نصنف قرَّاء الشواذ على ضوء ما علمنا ، ونوضح إلى أى مدى ذهب علماؤنا من السلف الصالح إلى ترجمة مقاييسهم الرائدة التى وضعوها إلى واقع عملى ، حين طبقوها بعبقرية فذة على كل من تصدر للإقراء والقراءة والرواية لحروف القرآن ، لا يفرقون بين صحابى من الأساتذة ولا تابعى من التلامذة ، فالكل عندهم - وهم حملة الأمانة - سواء أمام « كلام الله » .

* * *

* **الحديث المرسل اصطلاحًا :**

« هو ما سقط من آخر إسناده من بعد التابعى » .

كأن يقول التابعى : قال رسول الله ﷺ كذا ، أو فعل كذا ، أو فُعِل بحضرته كذا .

وأقل هذا السقط أن يكون قد سقط الصحابى ، ويحتمل أن يكون قد سقط معه غيره كتابعى مثلاً [١] .

* **مرسل الصحابى :**

---

(١) مباحث فى علوم الحديث : مناع القطان - الناشر مكتبة وهبة ، ص ١٢١ ، وأيضا نزهة النظر : ص ٣٦ .

وهو ما يخبر به الصحابى عن شيىء فعله النبى ﷺ أو نحوه مما يُعلم أنه لم يحضره لصغر سنه ، كعبد الله بن عباس وغيره من صغار الصحابة ، أو لتأخر إسلامه .

* **حكمه :**

ذهب جمهور العلماء من المحدثين والأصوليين إلى أن مرسل الصحابى صحيح يحتج به . وهذا الرأى هو الأصوب ، لأن الصحابة جميعًا عدول .

فالظاهر فيما أرسله الصحابى أن :

– يكون قد سمعه من رسول الله ﷺ .

– أو من صحابى آخر سمعه عن النبى ﷺ .

ولذا فإن علماء أصول الحديث يعتبرون مرسل الصحابى فى حكم الحديث الموصول المسند .

أما مرسل التابعى فما دون ذلك ، فقد اختلف فيه ، هل يحتج به أم لا ؟ .

* * *

● **المدلَّس** [1] :

* **التدليس اصطلاحًا** : إخفاء عيب فى الحديث وتحسين لظاهره .

* **أقسام التدليس :**

الأول : تدليس الإسناد : أن يروى الراوى عمن لقيه ما لم يسمعه منه ، أو عمن عاصره ولم يلـقه ، موهمًا أنه سمـعه منه ، كأن يقول : (عن فلان) أو (قال فلان) ولا يصرح بالسماع بأن يقول : (حدثنا فلان) ، أو (سمعت) أو (أخبرنا) .

* **مثاله** : ما أخرجه الحاكم بسنده إلى على بن خشرم قال :

---

(١) السابق : ص ١٢٦ ، وتدريب الراوى : ص ١٣٩ – وعلوم الحديث : ص ٦٦ – ونزهة النظر : ص ٣٩ ، وتيسير مصطلح الحديث : ص ٧٩ .

قال لنا ابن عيينة ، عن الزهرى .

فقيل له : سمعته من الزهرى ؟ .

فقال : لا ، ولا ممن سمعه من الزهرى .

حدثنى عبد الرازق ، عن معمر ، عن الزهرى .

فابن عيينة – كما ترى – قد عاصر الزهرى ولقيه ، ولكنه لم يسمع منه ، وإنما سمع من عبد الرازق ، وعبد الرازق سمع من معمر ، ومعمر هو الذى أخذ عن الزهرى وسمع منه .

* **والفرق بينه وبين الإرسال** : أن الإرسال روايته عمن لم يسمع منه .

أما إذا صرَّح بالسماع أو التحديث ولم يكن قد سمعه من شيخه ولم يقرأه عليه ، فإنه لا يكون مدلسًا ، بل يكون كاذبًا فاسقًا .

* **حكمه** : وقد ذم هذا القسم كثير من العلماء ، وكان شُعبة أشد الناس إنكارًا له ، ونقل عن الشافعى أنه قال : **التدليس أخو الكذب** .

* **تدليس التسوية** :

وهو : رواية الراوى عن شيخه ، ثم إسقاط راوٍ ضعيف بين ثقتين لقى أحدهما الآخر ؛ تحسينًا للحديث .

* **حكمه** : هو أحد أنواع تدليس الإسناد ، بل هو شر أنواعها .

* **رواية المدلس** :

(أ) ذهب فريق من أهل الحديث ، والفقهاء إلى عدم قبول رواية المدلس مطلقًا ، ولو لم يعرف أنه دلس إلا مرة واحدة ، كما نص عليه الشافعى ، سواء بيَّن السماع أو لم يبين .

(ب) ذهب ابن الصلاح إلى التفصيل :

فما رواه المدلس بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع والاتصال ، وكان حكمه حكم المرسل ، فيُرد ولا يحتج به .

وما رواه بلفظ صريح فى الاتصال نحو : سمعت ، وحدثنا ، وأخبرنا ، يقبل ويحتج به .

هذا وفى الصحيحين (البخارى ومسلم) وكتاب المصاحف للسجستانى وغيرها من الكتب المعتمدة الكثير من الأحاديث التى يقول فيها المدلس : حدثنا ، أو سمعت ، أو أخبرنا ، حيث جاء ذلك عن سفيان بن عيينة ، وسفيان الثورى ، والأعمش وقتادة وغيرهم .

قال ابن الصلاح : والصحيح التفصيل بين ما صرّح فيه بالسماع ، فيقبل ، وبين ما أتى فيه بلفظ محتمل فيرد .

قال : وفى الصحيحين من حديث جماعة من هذا الضرب ، كالسفيانيين، والأعمش ، وقتادة ، وهشيم (بن بشير) ، وغيرهم [١] .

*** والقسم الثانى من أقسام التدليس هو تدليس الشيوخ :**

وهو : أن يروى الراوى عن شيخ حديثًا سمعه منه ، فيذكره بما لم يشتهر به من اسم ، أو كنية ، أو نسبة إلى قبيلة ، أو بلده ، أو صنعة ، أو نحو ذلك ، **تعمية لأمره** ، وتوعيرًا للوقوف على حاله .

*** مثاله [٢] :**

قول أبى بكر بن مجاهد أحد أئمة القرّاء (ومسبع السبعة المتواترة) :

« حدثنا عبد الله بن أبى عبد الله » . . .

يريد بـه : أبا بكـر بن أبى داود السجستانى (صاحب كتاب المصاحف) .

*** حكمه :**

---

(١) السابق : ص ١٢٨ . (٢) السابق : ص ١٢٩ .

تدليس الشيوخ كراهته أخف من تدليس الإسناد ، لأن المدلس لم يسقط أحداً ، وإنما كانت الكراهة بسبب صعوبة معرفة المروى عنه لدى السامع .

* * *

**** الجرح والتعديل :**

*** الجرح اصطلاحًا :**

هو ظهور وصف فى الراوى يثلم عدالته ، أو يخل بحفظه وضبطه ، مما يترتب عليه سقوط روايته ، أو ضعفها وردها .

*** والتجريح :**

هو وصف الراوى بصفات تقتضى تضعيف روايته ، أو عدم قبولها .

*** والعدل اصطلاحًا :**

هو مَن لم يظهر فيه ما يخل بدينه ومروءته ، فيقبل لذلك خبره وشهادته .

*** والتعديل :**

هو وصف الراوى بصفات تزكيه ، فتظهر عدالته ، ويُقبل خبره .

*** وعلم الجرح والتعديل :**

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم **بألفاظ مخصوصة** لقبول رواياتهم أو ردها [١] .

*** مراتب الجرح والتعديل :**

يقول ابن مجاهد [٢] : « وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه عليه الحروف (وجوه القراءات) ، فيقرأ بلحن (وجه من وجوه القراءة غير المروية عن السلف) لا يعرفه ، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ويبرىء نفسه ، وعسى أن يكون عند الناس مصدَّقاً فيحمل ذلك عنه ، وقد نسيه ووهم فيه

---

(١) السابق : ص ٦٥ ، ومقدمة كتاب الجرح والتعديل : لابن أبى حاتم الرازى : ١ / ٣ .

(٢) السبعة : ص ٤٦ .

وجسر على لزومه والإصرار عليه » أ . هـ .

وقد نص العلماء على مراتب الجرح والتعديل ، والألفاظ الدالة على كل مرتبة ، فجعلوا مراتب التعديل ستًّا ، ومراتب الجرح ستًّا .

* **مراتب التعديل :**

المرتبة الأولى : تكون بما دل على المبالغة فى التعـديل ، أو كان على وزن « أفعل » التفضيل .

مثل : فلان إليه المنتهى فى التثبت .

أو : فلان أثبت الناس .

أو : أوثق الناس .

أو : أضبط الناس .

المرتبة الثانية : تكون بما تأكد توثيقه بصفة من الصفات الدالة على العدالة والتوثيق ، سواء أكان ذلك باللفظ ، أو بالمعنى .

مثل :

ثقة ثقة ...... أو : ثقة ثبت ...... أو : ثقة مامون ...... أو : ثقة حافظ .

المرتبة الثالثة : تكون بما يدل على التوثيق من غير توكيد .

مثل :

ثقة ...... أو : ثبت ...... أو : حجة ...... أو : متقن .

المرتبة الرابعة : تكون بما يدل على التعديل والتوثيق دون إشعار بالضبط والإتقان .

مثل :

صدوق ...... أو : مامون ...... أو : محله الصدق ...... أو : لا باس به .

المرتبة الخامسة : تكون بما ليس فيه دلالة على التوثيق أو التجريح (بين بين) .

مثل :

فلان شيخ ..... أو روى عنه الناس ..... أو حسن الحديث .

المرتبة السادسة : تكون بما يُشعر بالقرب من التجريح .

مثل :

فلان صالح الحديث ..... أو يكتب حديثه .

*** حكم مراتب التعديل :**

(أ) **المراتب الثلاث الأولى** : يحتج بأهلها ... وإن كان بعضهم أقوى من بعض .

(ب) المرتبتان الرابعة والخامسة :

* لا يحتج بأهلها ... ولكن :

* يكتب حديثهم .

* ويختبر ضبطهم :بعرض حديثهم على أحاديث الثقات الضابطين ، فإن وافقهم احتج بحديثهم وإلا فلا .

(جـ) المرتبة السادسة :

* لا يحتج بأهلها .

* ويكتب حديثهم للاعتبار فقط .

* ولا يختبر حديثهم ، وذلك لظهور أمرهم فى عدم الضبط .

*** مراتب الجرح :**

المرتبة الأولى : تكون بما دلّ على التليين – وهى أسهلها فى الجرح .

مثل :

فلان لين الحديث ..... أو : فيه مقال ..... أو : فيه ضعف .

المرتبة الثانية : تكون بما يدل على تضعيف الراوى وعدم الاحتجاج به .

مثل :

فلان لا يحتج به ... أو : ضعيف ... أو : له مناكير ... أو : مجهول .

المرتبة الثالثة : تكون بما يدل على ضعفه الشديد وعدم كتابة حديثه .

مثل :

فلان ضعيف جدًّا ... أو : واه بمرة ... أو : لا يكتب حديثه ... أو : لا تحل الرواية عنه ... أو : ليس بشىء .

المرتبة الرابعة : تكون بما يدل على اتهامه بالكذب أو الوضع ونحوه .

مثل :

فلان متهم بالكذب ... أو : متهم بالوضع ... أو : يسرق الحديث ... أو : ساقط ... أو : متروك ... أو : ليس بثقة .

المرتبة الخامسة : تكون بما يدل على وصفه بالكذب أو الوضع ونحوه .

مثل :

كذَّاب ... أو : دجَّال ... أو : وضَّاع ... أو : يكذب ... أو : يضع .

المرتبة السادسة : تكون بما يدل على المبالغة فى الكذب – وهى أسوأ مراتب الجرح .

مثل :

فلان أكذب الناس ... أو : إليه المنتهى فى الكذب ... أو : هو ركن الكذب .

* حكم مراتب الجرح :

(أ) الأولى والثانية :

* لا يحتج بحديثهم .

* يكتب حديثهم للاعتبار فقط .

وأهل المرتبة الثانية دون أهل المرتبة الأولى بالطبع .

(ب) المراتب الأربع الأخيرة :

* لا يحتج بحديثهم .

* ولا يكتب .

* ولا يعتبر به [1] .

---

(١) مباحث فى علوم الحديث : ص ٧١ - ٧٣ ، وتدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى : للسيوطى - المكتبة العلمية ص ٢٢٩ - ٢٣٣ ، وتيسير مصطلح الحديث : د . محمود الطحان ص ١٥٢ - ١٥٤ .

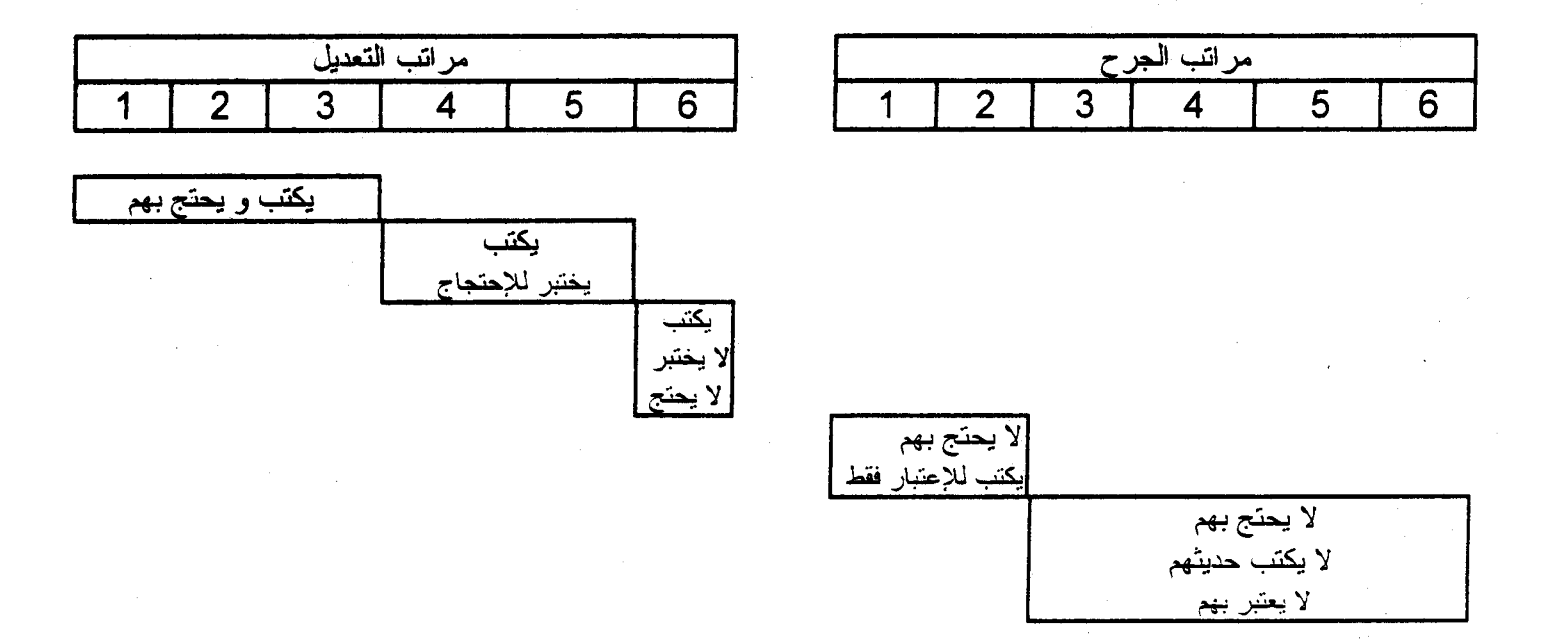

شكل (أ) يوضح حكم مراتب الجرح و التعديل

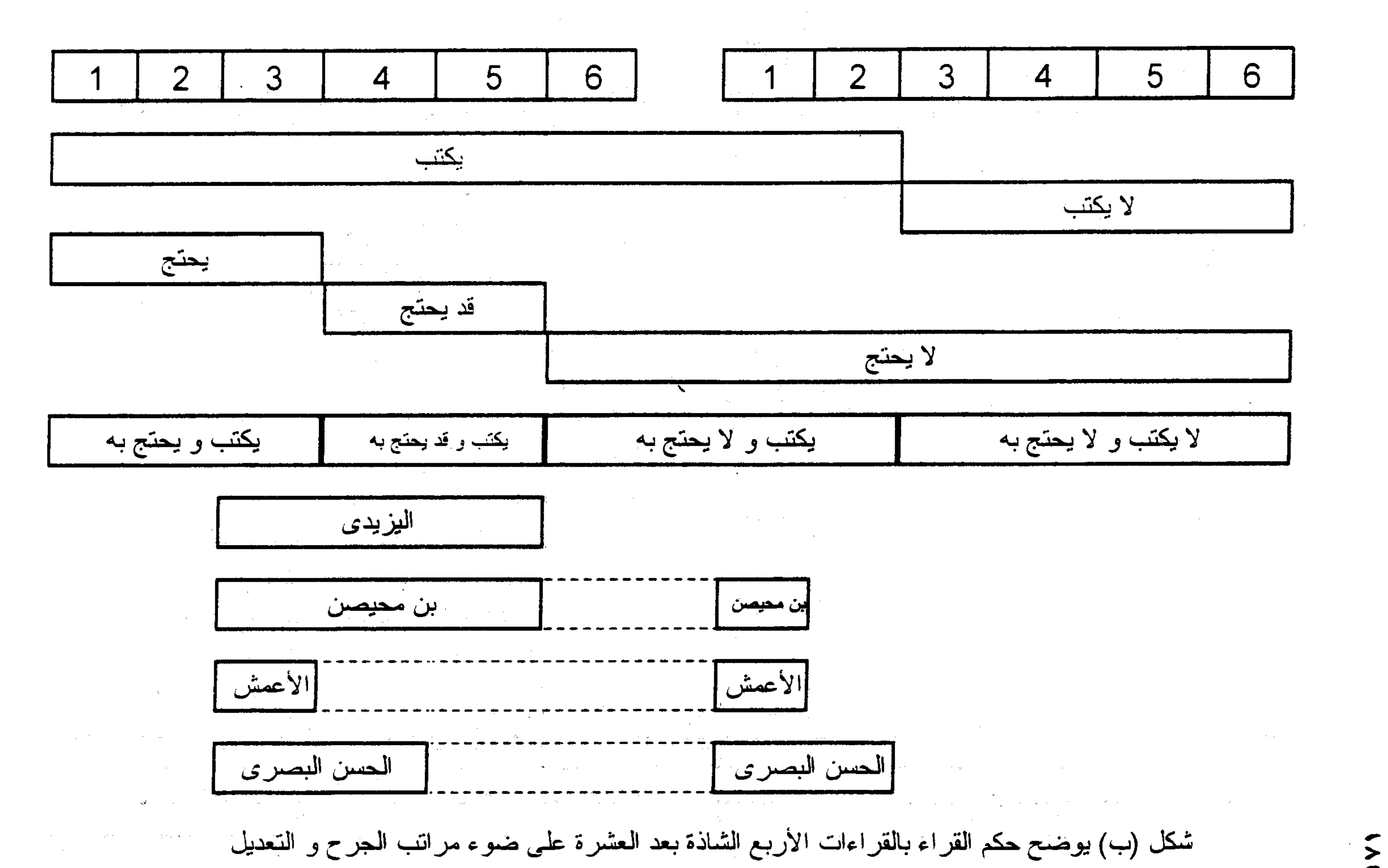

شكل (ب) يوضح حكم القراء بالقراءات الأربع الشاذة بعد العشرة على ضوء مراتب الجرح و التعديل

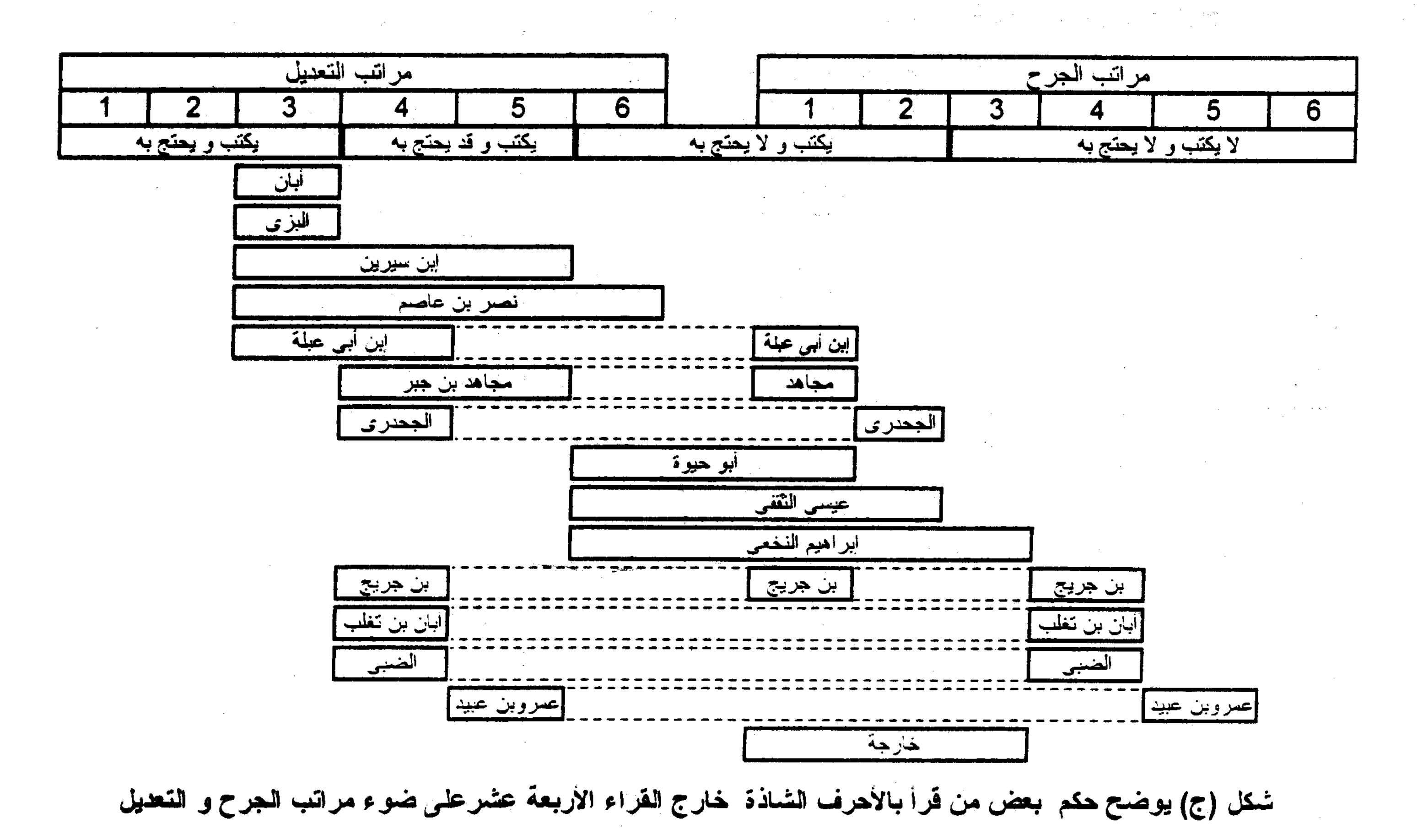

شكل (ج) يوضح حكم بعض من قرأ بالأحرف الشاذة خارج القراء الأربعة عشر على ضوء مراتب الجرح و التعديل

*** تعقيب :**

**** من اشتهر بالتدليس : الأعمش والحسن البصرى :**

ويبدو أن علماء الجرح والتعديل قد تعارفوا على أن التدليس مرتبة خفيفة من مراتب الجرح ، ولعلهم اعتبروه نوعًا من « التجمل » فغفروا ذلك ، باستثناء قلة منهم مثل الإمام الشافعى الذى اعتبر التدليس أخو الكذب – وكما ذكرنا .

* والأعمش هو رأس مدرسة الإقراء بالكوفة ولاشك ، أخذ حرف ابن مسعود عن يحيى ابن وثاب الذى أخذها عن تلامذة ابن مسعود من أمثال : علقمة والأسود والسلمانى ومسروق وزيد وغيرهم .

وقراءة الأعمش هى جذع قراءة حمزة والكسائى من السبعة ، وخلف العاشر . ولم يشذوا عن اختياره إلا فى حروف قليلة .

* أما الحسن البصرى ، فهو مؤسس مذهب المعتزلة – وإن نسب لغيره . وقدا اجتمع القرَّاء الأربعة عشر على الأخذ بأصول قراءته بدرجات متفاوتة وإن هجروا جميعهم فرش حروفه بطريقة ملفتة للنظر .

أما عن إعراضهم عن فرش حروفه فهو أمر ليس بالمستغرب ، ولكن ما يستحق الدراسة بحق هو التفافهم (باستثناء الحجازيين) حول أصول قراءته ، **وهى جديرة بأن تكون « نقطة بحث » لأحد باحثينا ممن يستهويهم حقل القراءات واللغة العربية .**

**** من اشتهر بأن له اختيار خالف فيه العامة :**

– ابن محيصن ، ومجاهد بن جبر .

– عيسى بن عمر الثقفى النحوى البصرى .

– أبو حيوة ، وابن أبى عبلة .

* أما **مجاهد بن جبر** ، فهو تلميذ ابن عباس وأستاذ قارئى مكة ،

ابن كثير من السبعة وابن محيصن من الأربعة عشر . وعنهما أخذ أبو عمرو مقرىء البصرة من السبعة جذع حروف قراءته . فأخذ أبو عمرو من ابن كثير فرش حروفه دون أصولها ، ولكنه أخذ عن ابن محيصن الفرش والأصول معًا ، فجاء ترتيب ابن محيصن بالنسبة لأبى عمرو فى الركن الثانى ، فرشًا بعد ابن كثير ، وأصولاً بعد الحسن البصرى .

ومجاهد بن جبر يكاد يكون نسخة طبق الأصل من أستاذه الصحابى الجليل ابن عباس . وقد اشتهر عنه إدخال الإسرائيليات فى التفسير [1] .

* **وأما ابن محيصن** : فإنه كان المنافس الأوحد لابن كثير على الإقراء بمكة .

وكان أستاذه مجاهد بن جبر يقول إنه يبنى ويرصص فى العربية ، يمدحه بذلك . إلا أن الناس (فى مكة) هجروا قراءته إلى قراءة منافسه ابن كثير الذى اشتهر أنه يميل للاتباع فى الرواية مما يوحى بالثقة .

ولكن يبدو أن أهل البصرة كان لهم رأى آخر فى اختيار ابن محيصن ، فقد أخذ عنه الحروف فرشًا وأصولاً قرَّاء البصرة أبو عمرو (من السبعة) ، وتلميذه اليزيدى (من الأربعة عشر) ، ويعقوب (من العشرة) .

من هنا يمكننا القول بأن ابن محيصن السهمى – وإن كان قد خسر جولة فى صراعه مع ابن كثير فى مكة – فقد كسب المعركة وفرض نفسه على قرَّاء البصرة ووجد لنفسه مكانًا يستحقه بين الأربعة عشر .

*** ويبقى لنا « رجاء ونداء » إلى العالمين ببواطن الأمور فى عالم القراءات أن يتفضلوا علينا بتسليط المزيد من الأضواء على المعنى الكامن وراء التعبير الاصطلاحى الشائع : « له اختيار » ... وإلا فإن السكوت عن إظهار ما يعلمونه من الحق يمكن أن يفسر على أنه نوع من « التجمل » ، ليس بمعنى التدليس بطبيعة الحال .**

---

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث : د . محمد حسين الذهبى .

* **أما عيسى الثقفى** : فيكاد يكون الوحيد الذى سلطت الأضواء على سبب استنكار الناس لقراءته ، **فقالوا فى ذلك** :

« غير أنه كان له اختيار فى القراءة على مذاهب العربية يفارق قراءة العامة . ويستنكره الناس .

وكان الغالب عليه : **حب النصب إذا وجد لذلك سبيلاً** » .

وهو سبب مقنع للغاية .

ولنتذكر أنه كان قد عرض – فيمن عرض عليهم – على الحسن البصرى ، الذى انصرف الناس عن فرش حروفه إلى أصوله فى القراءة ، كما ذكرنا .

وحب النصب يصب فى الفرش ، ولا علاقه له بالأصول .

فلعله كان يحاول التشبه بأستاذه البصرى على نحوما ، مستغلاً فى ذلك أنه كان معلماً للنحو ومؤلفاً فيه ، ولكنه فشل – فيما يبدو – فى أن تشكل اختياراته مذهباً متميزاً يلقى القبول ، فهجرت قراءته .

فإذا كان « حب النصب » هو السبب فى استنكار الناس لقراءة عيسى البصرى الثقفى ، **فما هى الأسباب وراء انصراف الناس عن اختيار فرش الحروف عند أستاذه الحسن البصرى ؟** .

وما هى الأسباب وراء انصراف الناس عن قراءة ابن محيصن ؟

ومن المقصود على وجه التحديد « بالناس » الذين رغبوا عن حروف ابن محيصن ، هل هم أهل مكة ؟ .

ومن المقصود بالعامة ؟ هل هم عامة القرّاء المشتغلين بالإقراء ؟ أم هم عامة الناس ؟ .

**** التدليس بين المفهوم الاصطلاحى والمفهوم الشائع :**

هناك فجوة – ليست بالهينة – بين المفهوم الاصطلاحى وبين المفهوم الدارج لبعض المصطلحات المستخدمة فى علم الجرح والتعديل ، مما يشكل – حتماً – نوعاً من الالتباس لدى غير المتخصصين ، فيورثهم ذلك خللاً فى حكمهم على

ما ورد بتراثهم العظيم ، ومن ثم خللاً فى التمييز بخاصة والتفكير بعامة فى أمور دينهم ودنياهم على السواء ، مما ينبغى التصدى له بالجهد والاجتهاد فى طرح الحلول لتدارك تلك المشكلة .

إن كلمة « تدليس » :

١ - « لا تعنى الكذب » عند الجمهور من الفقهاء ، والمحدثين والأصوليين .

٢ - وهى تعنى : « أخو الكذب » عند الشافعى (رحمه الله) .

٣ - وهى تعنى : أكثر من الكذب بكثير عند عامة الناس ورجل الشارع . ذلك أنها كلمة موحية بالكثير من المعانى التى قد تدور حول النفاق أو الدجل أو الخيانة أو الخداع أو الاعوجاج والالتفاف أو التمويه أو الاحتيال أو التعتيم .. إلخ .

ومن هنا ، فإنه ظلم كبير لأئمة ثقات مثل الأعمش والحسن البصرى أن نترك سيرتهم العطرة ، وأعمالهم الجليلة فى خدمة كتاب الله نهبا لتلك التداعيات من المعانى التى ترد إلى أذهان القرّاء - طوعًا أو كرهًا - عندما تقترن أسماؤهم الرفيعة بصفة « التدليس » ، عارية مجردة تثير الالتباس وتوهم بغير الحق .

والأخطر من ذلك الظلم الكبير لسيرة أئمتنا الأجلاء من حملة القرآن ، ذلك الظلم الأكبر والجناية الأعظم التى ترتكب فى حق « العقل العربى المسلم » .

إذ ماذا تنتظرون من عقل رشيد مميزٍ أن يتقبل الأضداد التالية للحكم على واحد :

١ - حافظ ، ثقة ، ثبت ..... لكنه مدلس .
٢ - أحد الأئمة فى حروف القرآن ..... لكنه رمى بالقدر .
٣ - قال ابن معين : « ومع هذا ... فاحتج به أصحاب الصحاح » .

كل هذا التناقض ورد بصدد التعريف بـ« قتادة »[1] بإسناده .

والأمثلة غير ذلك تفوق الحصر .

وأنا لا أحمل علماءنا المعاصرين فوق ما يطيقون ، ولكن ألفت النظر إلى أن استمرار الأمور على هذه الوتيرة لا يبشر بخير فى زمن كثر فيه المتربصون . ولا أعتقد أنه من الحكمة أن نداوها بالتى كانت هى الداء ، فنلجأ إلى التدليس نعالج به آثار « التدليس » ، أو نمحو به صفة التدليس عمن اشتهروا بها ، وإلا أصبح مثلنا كمثل النعامة التى تخفى رأسها فى الرمال حتى لا يدهمها الخطر القادم حتما ، وهو مداهمها على أى حال .

لقد سبق السيف العذل ، وأتى أمر الله ، وأصبح من رابع المستحيلات طمس أية حقائق فى عصر « الكمبيوتر وشبكات الإنترنت » ، ولم يبق أمامنا سوى خيار « المواجهة » ، و « المكاشفة » ، ولا أقول « التنوير » فلقد كرهتها حيث أصبحت كلمة حق يراد بها باطل ، مثلها فى ذلك مثل « المسجد الضرار » .

ولكننا نأبى الدنية فى ديننا الحنيف ، فلا يوجد فيه ما يستدعى الإخفاء أو التمويه أو التجمل أو المداراة أو التدليس . إنه دين الحق ، والحق نور يضىء ما حوله وليس ضبابًا يحول دون الرؤية الثاقبة .

والحل أن يجتهد علماؤنا ، فيتناولوا مثل هذه الأمور المشتبهات بالعرض الواضح والتفسير المقنع . وأن تمتلىء المكتبات والمناهج الدراسية ، وتجلجل الإذاعة المسموعة والمرئية بالعرض الأمين الرشيد للجانب المضيىء وغير المضيىء أيضًا من تراجم الأئمة . والأئمة بشر وليسوا ملائكة . والبشر يخطىء ويصيب ، ولا عصمة إلا لنبى .

---

(١) أنظر : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث : د . عبد الصبور شاهين ، فهرس تراجم الرجال : ص ٤٤٥ .

* **أبى بن كعب (رضى الله عنه) أحد ضحايا التعتيم :**

ومن الغريب ، أنك لا تجد حتى الآن كتابًا عن سيرة الصحابى الجليل أبى بن كعب ، كاتب الوحى ، الذى حفظ كتاب الله من فم الرسول ﷺ آية آية ، وعرض عليه الرسول ﷺ ليعلمه أصول التلاوة والترتيل .

فإذا ما وقع فى أيدينا بعض الأحاديث المتناثرة عنه فى هذا الكتاب أو ذاك مثل كتاب : حياة الصحابة للكندهلوى [1] ، وجدنا ما لا يسرنا .

فهذا حديث أو أكثر يشير إلى علاقة « بالجن » .

وذاك حديث أو أكثر ترميه - رضى الله عنه - بالنفعية والارتزاق بإقراء القرآن إلى الحد الذى جعل النبى ﷺ يتوعده بجهنم ، وجعل عمر بن الخطاب يتندر عليه .

وأحاديث تشير إلى خوفه وارتعاده لأسباب لا توجب ذلك بما يوحى بمرض نفسى معروف هو « الرهاب » .

ولم نجد أحداً حتى الآن ، تصدى لمثل هذه الافتراءات ، يرد غيبة هذا الإمام الجليل الذى إليه تنتهى قراءة القرآن باتفاق ، فيكتب الحديث ، ويخرجه ويختبره على مقاييس الجرح والتعديل سنداً ومتناً ، ويورد من الأحاديث ما يعارضه ، ثم يفصل برأيه واجتهاده .

والمصيبة أنك تجد العكس هو الحاصل . فمن الجماعات الحالية التى تقوم على الدعوة والتبليغ من يتعبد ويجمع البسطاء من الناس فى مجالس الذكر على كتاب « حياة الصحابة » [2] المشار إليه آنفًا ، يردد ما فيه على أنه دين الله الحنيف ، ويتمايل البسطاء نشوة وهم يتنفسون هذا الهراء ، ويعتقد دعاتهم

---

(١) حياة الصحابة : لمحمد يوسف الكاندهلوى .

(٢) راجع الأحاديث التى وردت به عن أبى كعب : ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٠٨ - ٩٠ ، ج ٣ ص ٣٨٤ ، ج ٤ ص ٣٨ - ٧٧ - ٨٢ - ١٥٨ - ٣٧٤ - ٤٠٩ ، ومعظمها من طبقات ابن سعد .

وهم من غير المتخصصين ولا المتفقهين أنهم بذلك يدعون لدين الله فى الأرض ، فضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

والغريب أن هذه الفئة - ومن على شاكلتها - هم الذين تفتح لهم الأبواب على مصراعيها ، ويتمتعون - دوناً عن غيرهم - بحرية الرأى وحرية الاجتماع وحرية التنقل . ليس ذلك فقط ، بل وتكلل جهودهم بالمباركة فى كل وقت وحين !! . . .

فهل هذا هو اختيار العقل المسلم الآن ؟

وأين هذا من اختيار السلف - كما أوردناه ؟

وهل مازلتم - بعد هذا - تبحثون عن سبب هوان الأمة ؟

إن من يتخلى عن عقله ، يكون قد تخلى عن دينه . . . أفلا تعقلون ؟ .

* * *

الفصل السادس

اتجاهات القرّاء الأربعة عشر

- مراتب ارتباط القرّاء ، فرشًا وأصولاً .
- اتجاهات القرّاء بين شدة الموافقة وشدة الرفض .
- اتجاهات مدارس القراءات بالأمصار فرشًا وأصولاً .
- حفص عن عاصم . . . الأعلى فرشًا .
- الحسن البصرى . . . هجروا فرشه وأخذوا بأصوله .
- أبو جعفر . . . عارضوا أصوله .
- المدينة والكوفة . . . اختيار أم صراع ؟ .

* **أسس تحديد الاتجاهات :**

يوضح الجدول التالى فئات معاملات الارتباط وما يقابلها من الاتجاهات بالموافقة أو عدم الموافقة على اختيارات القرَّاء فى الفرش ، والأصول ، ودرجات الموافقة والرفض مقابل كل فئة ، والرمز المعبر عنها .

ويلاحظ أن الرقم إذا وضع بين قوسين (   ) فإنه يرمز إلى معامل ارتباط سالب بين قارئين ، يعبر بذلك عن الرفض (للاختيار) والتعارض والاغتراب بين القراءتين كما يعبر الرقم بداخله عن شدة التعارض ، فكلما زاد الرقم كلما زاد التعارض .

فئة الارتباط ٪	(٤٠) فاقل	(٣٩)-(٢٠)	(١٩)-(١)	صفر - ١٩	٢٠ - ٣٩	٤٠ - ٦٩	٧٠ - ١٠٠
الاتجاه	أرفض بشدة	أرفض	أميل للرفض	بين بين	أميل للموافقة	أوافق	أوافق بشدة
الرمز	×××	××	×	–	✔	✔✔	✔✔✔

* **ملاحظة هامة :**

الدراسة الإحصائية تمت من واقع اختلافات القرَّاء الأربعة عشر فى سورة البقرة ، والتى بلغت نحو ثلاثمائة اختلاف فى الفرش .

ومعاملات الارتباط تقريبية ، وهى مجرد مؤشر على الاتجاه ، والاختلافات من واقع كتاب « إتحاف فضلاء البشر » للعلاَّمة الدمياطى البنا .

* ارتباط كل قارىء بباقى القرَّاء الأربعة عشر ، فرشًا وأصولاً :

اسم القارىء : يزيد بن القعقاع المخزومى المدنى .

كنيته : أبو جعفر .

ولد – توفى : (ت ١٣٠ هـ) ، على الأصح .

التصنيف : أحد العشرة ، مقرىء المدينة .

أصله : مولى (عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى) .

التعديل : ثقة – إمام أهل المدينة فى القراءة – تابعى مشهور كبير القدر .

أساتذته : عرض على : مولاه ابن عياش ، وابن عباس ، وأبى هريرة .

وقرأ الثلاثة على أبى بن كعب .

وقرأ بن عباس وأبو هريرة أيضًا على زيد بن ثابت .

تلامذته : أهمهم نافع مقرىء المدينة وأحد السبعة .

اتجاهاته :

(١) ارتبط قرَّاء الأمصار بفرشه أكثر مما ارتبطوا بأصوله .

(٢) عارضه قرَّاء الكوفة الأربعة بشدة ، ووافقهم شعبة عن عاصم .

(٣) درجة معارضة الكوفيين وشعبة كانت فى الأصول أشد منها فى الفرش .

(٤) أخذ عنه نافع جذع قراءته فى الأصول (معامل الارتباط ٩٠ ٪) .

(٥) وافقه حفص عن عاصم ، ونافع فى الفرش بدرجة أقل « ٦٥–٥٩٪ » .

* * *

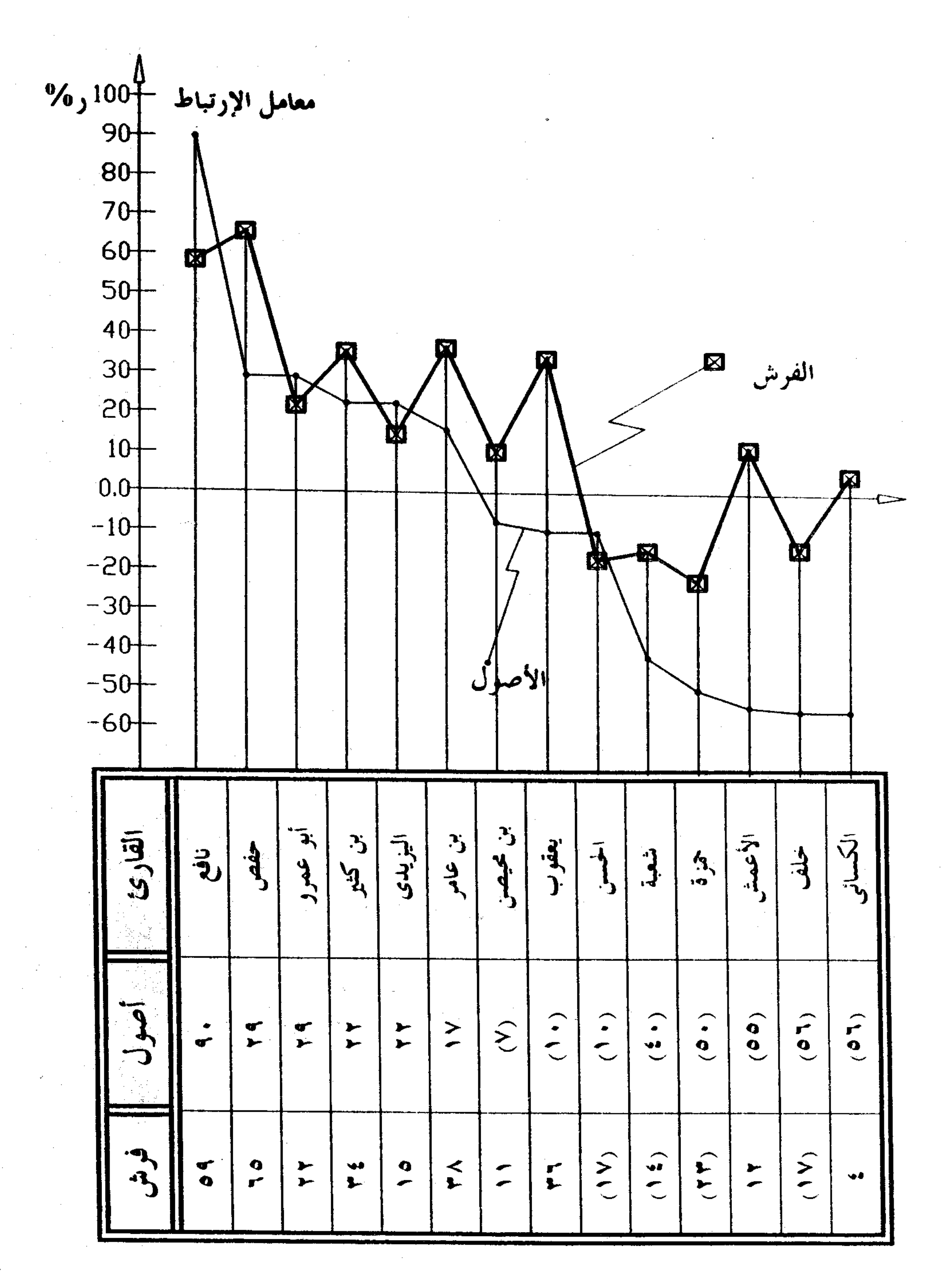

القارئ	أصول	فرش
نافع	٩٠	٥٩
حفص	٢٩	٦٥
أبو عمرو	٢٩	٢٢
بن كثير	٢٢	٣٤
اليزيدي	٢٢	١٥
بن عامر	١٧	٣٨
بن محيصن	(٧)	١١
يعقوب	(١٠)	٣٦
الحسن	(١٠)	(١٧)
شعبة	(٤٠)	(١٤)
حمزة	(٥٠)	(٢٣)
الأعمش	(٥٥)	١٢
خلف	(٥٦)	(١٧)
الكسائي	(٥٦)	٤

شكل (١) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين أبي جعفر

و القراء الأربعة عشر

اسم القارىء : نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى ٠

ولد - توفى : (٧٠ - ١٦٩ هـ) ٠

التصنيف : أحد السبعة ، مقرىء المدينة ٠

أصله : من أصفهان (فارس) ، مولى (جَعْوَنَة بن شعوب الليثى) ٠

التعديل : ثبت فى القراءة ، ثقة فى الحديث ٠ انتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة ، وكان إمام الناس فى القراءة بها ، وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، وأقرأ بها أكثر من سبعين سنة ٠

أساتذته : تلقى القراءة على سبعين من التابعين ، منهم : أبو جعفر ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وشيبه بن نصاح القاضى ، ويزيد بن رومان ٠

تلامذته : أبو عمرو بن العلاء ، مقرىء البصرة وأحد السبعة ، والإمام مالك والليث بن سعد ٠

اتجاهاته :

(١) تسير فى خطوط موازية تمامًا لاتجاهات شيخه أبى جعفر ، وإن اقتربت من باقى مدارس الأمصار فى الأصول والفرش على السواء ٠

(٢) جذع أصوله مستمد من أصول أبى جعفر (معامل الارتباط ٩٠٪) ٠

(٣) فرشه يكاد يكون مناصفة بين أبى جعفر وحفص « ٥٩ - ٦٥ ٪ » على التوالى ٠

(٤) عارضه الكوفيون كما عارضوا أبا جعفر وبخاصة فى الأصول ، ولكن بدرجة أقل ٠

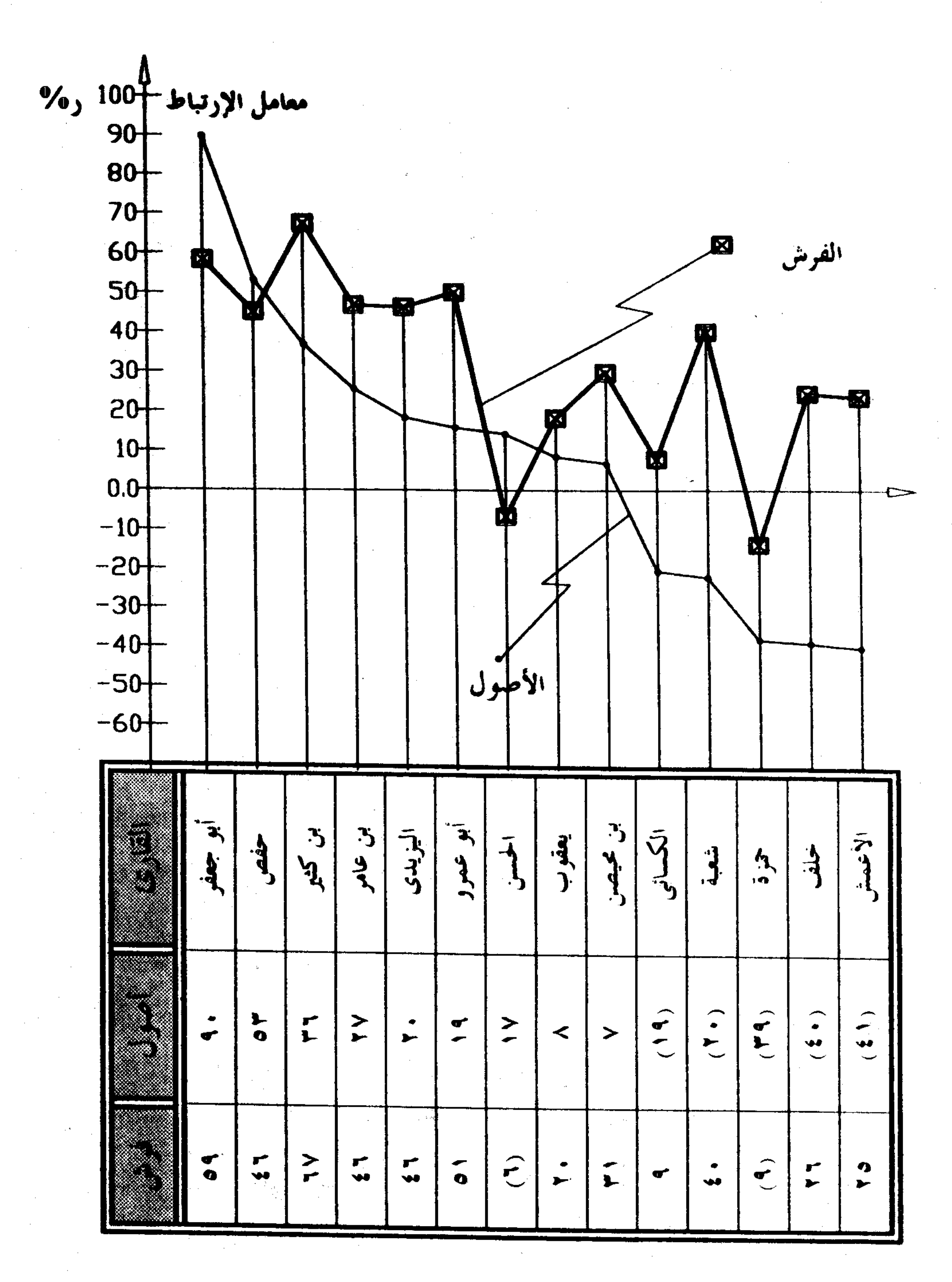

القارئ	الأصول	الفرش
أبو جعفر	٩٠	٥٩
حفص	٥٣	٤٦
ابن كثير	٣٦	٦٧
ابن عامر	٢٧	٤٦
اليزيدي	٢٠	٤٦
أبو عمرو	١٩	٥١
الحسن	١٧	(٦)
يعقوب	٨	٢٠
ابن محيصن	٧	٣١
الكسائي	(١٩)	٩
شعبة	(٢٠)	٤٠
حمزة	(٣٩)	(٩)
خلف	(٤٠)	٢٦
الأعمش	(٤١)	٢٥

شكل (٢) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين نافع
و القراء الأربعة عشر

اسمه : عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز ، الدارى المكى .

ولد - توفى : (٤٥ - ١٢٠ هـ) .

التصنيف : أحد السبعة ، مقرىء مكة .

أصله : مولى ، تابعى .

التعديل : إمام أهل مكة فى القراءة ، لم ينازعه فيها منازع ، وأجمع الناس عليه حتى مات .

أساتذته : عبد الله بن السائب المخزومى مبعوث عثمان بالمصحف الإمام ، ومجاهد بن جبر ، ودرباس (مولى ابن عباس) . وقرأ مجاهد على ابن السائب وابن عباس ، وقرأ درباس على ابن عباس ، وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب وزيد ابن ثابت .

تلامذته : أبو عمرو بن العلاء ، قارىء البصرة وأحد السبعة .

معاصريه : ابن محيصن ، من الأربعة عشر ، إلا أن الناس انصرفت عن اختياره إلى ابن كثير .

اتجاهاته :

(١) خطوط موازية لنافع ، وإن كانت أقرب إلى باقى قرَّاء الأمصار .

(٢) تحفظ الكوفيون الأربعة على أصول قراءته ، ولكن بدرجة أخف من نافع .

(٣) تحفظ الكوفيون الأربعة أيضًا على فرش حروفه ولكن بدرجة أقل من الأصول .

(٤) الارتباط على فرشه أكبر من الارتباط على أصوله بصفة عامة .

(٥) ارتبط به بشدة معاصره ابن محيصن فرشًا وأصولاً « ٨٦ - ٨٢٪ » .

(٦) ارتبط بفرشه بشدة : نافع والبصريان أبو عمرو وتلميذه اليزيدى من الأربعة عشر .

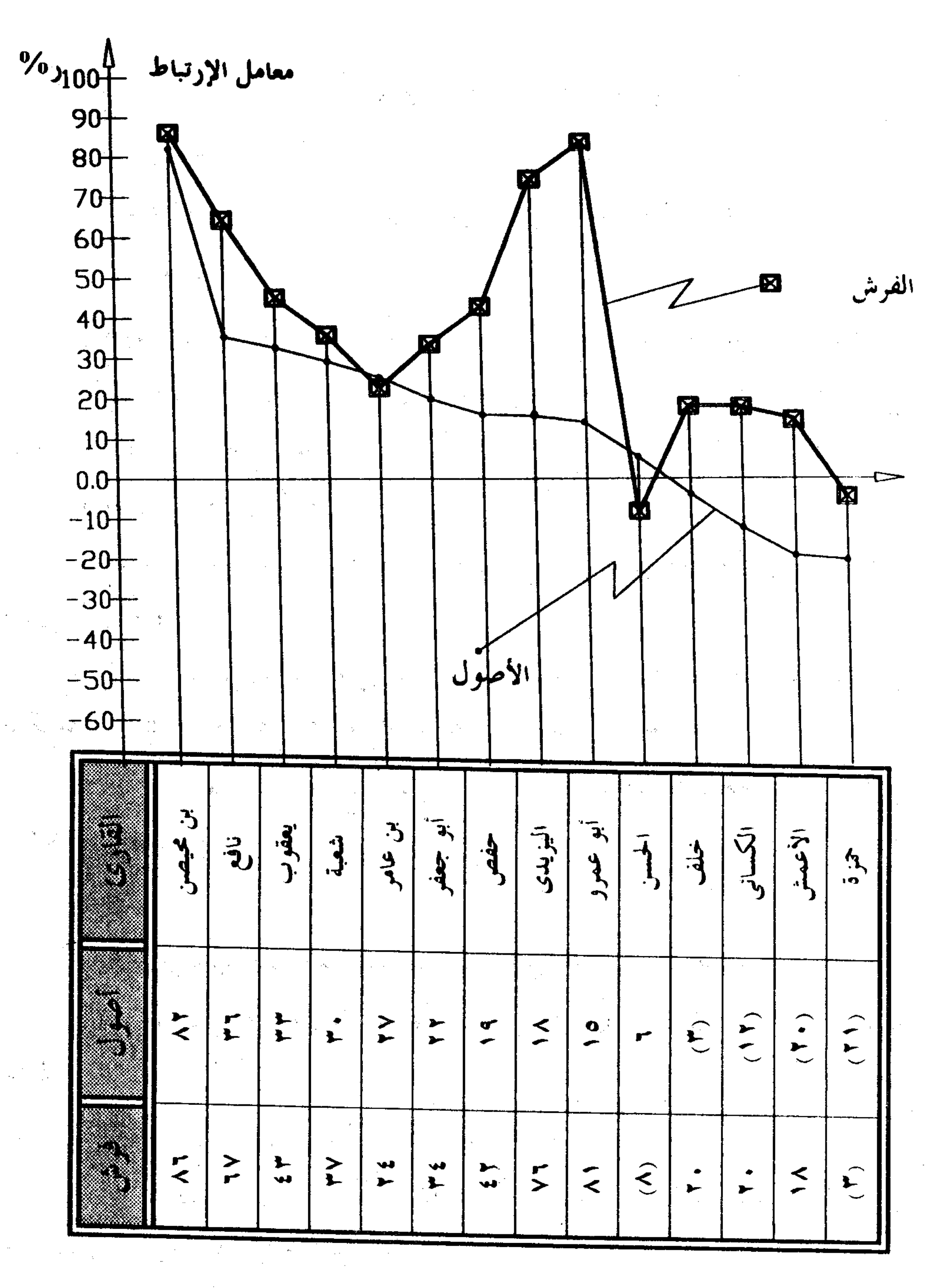

القارئ	أصول	فرش
بن محيصن	٨٢	٨٦
نافع	٣٦	٦٧
يعقوب	٣٣	٤٣
شعبة	٣٠	٣٧
بن عامر	٢٧	٢٤
أبو جعفر	٢٢	٣٤
حفص	١٩	٤٢
اليزيدي	١٨	٧٦
أبو عمرو	١٥	٨١
الحسن	٦	(٨)
خلف	(٣)	٢٠
الكسائي	(١٢)	٢٠
الأعمش	(٢٠)	١٨
حمزة	(٢١)	(٣)

شكل (٣) يوضح معامل الارتباط فى الفرش و الأصول بين ابن كثير و القراء الأربعة عشر

اسمه : محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمى ، مولاهم المكى .

توفى : (ت ١٢٣ هـ) .

التصنيف : أحد الأربعة عشر ، مقرىء أهل مكة مع ابن كثير .

أصله : مولى .

التعديل : ثقة ، روى له مسلم ، أعلم قرَّاء مكة بالعربية وأقواهم عليها .

الجرح : فى قراءته مخالفة للمصحف (الإمام) ، وكان له اختيار على مذهب العربية ، فخرج به عن إجماع أهل بلده ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه .

أساتذته : عرض على مجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس ، وهم من شيوخ ابن كثير . .

[ويبدو أنه لم يعرض على ابن السائب مبعوث عثمان بالمصحف ، وهو ما فعله ابن كثير ولعل هذا هو سر مخالفة بعض حروفه للمصحف] .

تلامذته : عرض عليه أبو عمرو مقرىء البصرة من السبعة ، فوافقه فى فرشه دون أصوله .

اتجاهاته :

(١) موازية لمعاصره ومنافسه ابن كثير ، وإن تميزت عنه بما يلى :

(أ) انخفض ارتباط القرَّاء بفرشه عن ارتباطهم بفرش ابن كثير بصفة عامة .

(ب) اقترب رباعى الكوفة من أصوله بدرجة ملحوظة عن ابن كثير .

(جـ) وافقه على الكثير من فرش حروفه : البصريان(أبو عمرو واليزيدى) ، وشعبة عن عاصم .

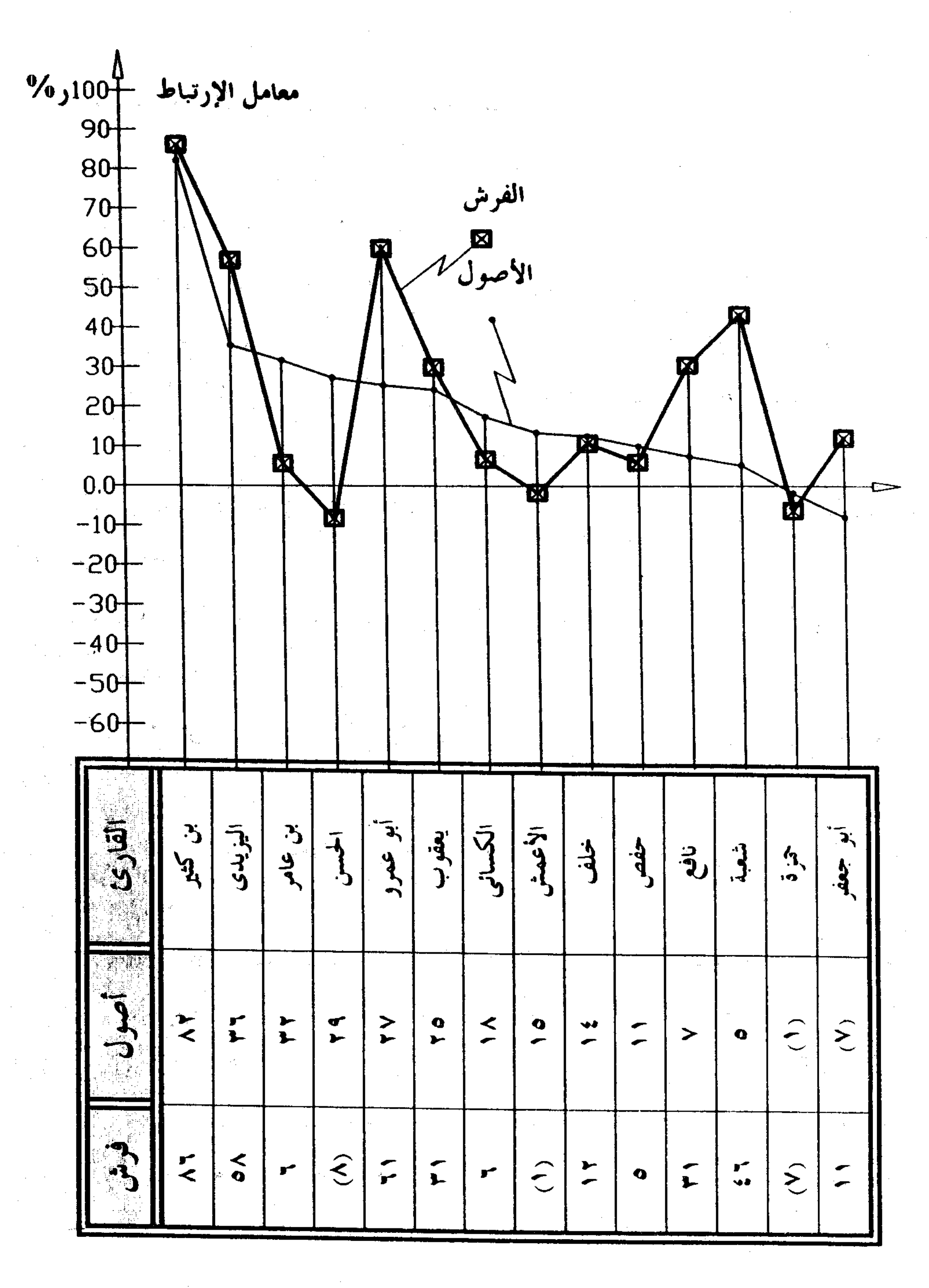

القارئ	بن كثير	اليزيدى	بن عامر	الحسن	أبو عمرو	يعقوب	الكسائى	الأعمش	خلف	حفص	نافع	شعبة	حمزة	أبو جعفر
أصول	٨٢	٣٦	٣٢	٢٩	٢٧	٢٥	١٨	١٥	١٤	١١	٧	٥	(١)	(٧)
فرش	٨٦	٥٨	٦	(٨)	٦١	٣١	٦	(١)	١٢	٥	٣١	٤٣	(٧)	١١

شكل (٤) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين إبن محيصن
و القراء الأربعة عشر

اسمه : الحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد البصرى ٠

مولده – وفاته : (٢١ – ١١٠ هـ) البصرة ٠

التصنيف : أحد الأربعة عشر ، تابعى ٠

أصله : مولى فارسى ، أبوه مولى لزيد بن ثابت ، وأمه مولاه لأم سلمه ٠

التعديل والجرح : سبق بيانه فى الفصل الثانى (قرَّاء الشواذ من التابعين) ، وأهمها أنه كان كثير التدليس ، فلا يحتج بقوله عمن لم يدركه ، ولكنه حافظ علامه ٠٠٠ إلخ ٠

أساتذته : قرأ على حطان الرقاشى عن أبى موسى الأشعرى (من قرَّاء الشواذ من الصحابة) ٠

تلاميذه : قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء ، قارىء البصرة من السبعة ٠

اتجاهاته :

(١) أعرض جميع القرَّاء الأربعة عشر عن فرش حروفه ، فاحتل المركز الأخير ٠

(٢) أقبل معظم القرَّاء على أصول قراءته ، لم ينافسه فى ذلك سوى ابن عامر مقرىء الشام ٠

(٣) ارتبط بأصوله بدرجة كبيرة القرَّاء البصريون جميعهم (أبو عمرو واليزيدى ويعقوب) ، والكوفيون أيضًا ٠ فكأنما شكلت أصوله جذعًا أساسيًّا فى أصول القراءة بالعراق ٠

(٤) كان حفص أبعد القرَّاء عن أصوله – رغم شهرتها – وأقربهم إلى فرشه – رغم التحفظ الشديد عليه !! ٠

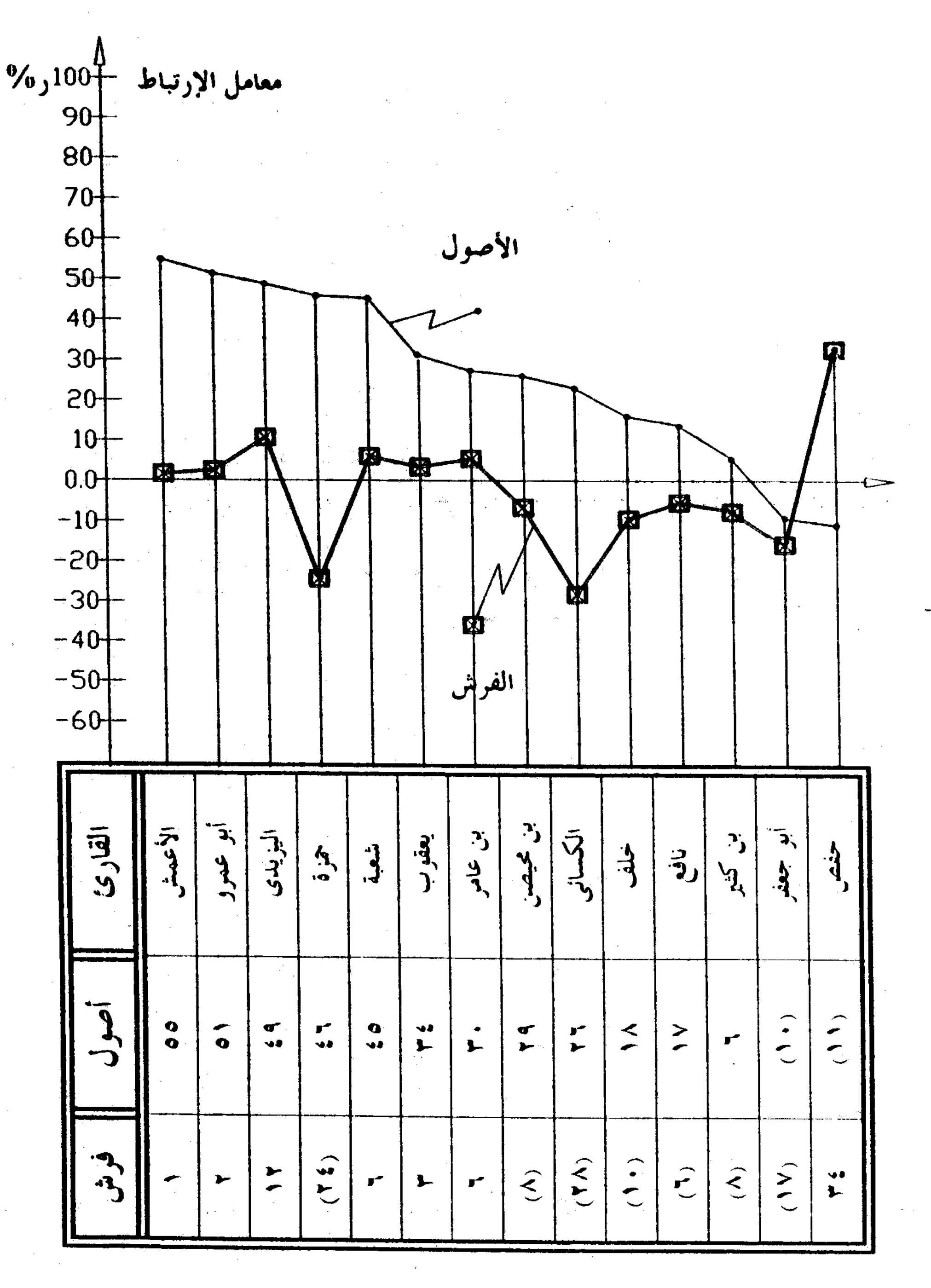

القارئ	الأعمش	أبو عمرو	اليزيدي	حمزة	شعبة	يعقوب	ابن عامر	ابن محيصن	الكسائي	خلف	نافع	ابن كثير	أبو جعفر	حفص
أصول	٥٥	٥١	٤٩	٤٦	٤٥	٣٤	٣٠	٢٩	٢٦	١٨	١٧	٦	(١٠)	(١١)
فرش	١	٢	١٢	(٢٤)	٦	٢	٦	(٨)	(٢٨)	(١٠)	(٦)	(٨)	(١٧)	٣٤

شكل (٥) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين الحسن البصرى
و القراء الأربعة عشر

اسمه : أبو عمرو زبَّان بن العلاء بن العريان المازنى ، التميمى ، البصرى ٠

مولده ــ وفاته : (٧٠ – ١٥٤ هـ) ٠

التصنيف : أحد السبعة ، مقرىء البصرة وإمامها ٠

أصله : عربى حر ، ينتهى نسبه إلى عدنان ٠

التعديل : أعلم الناس بالقرآن والعربية ، مع الثقة والأمانة والدين ، صدوق ٠

أساتذته : قرأ على نافع وأبى جعفر المدنيان ، وعلى ابن كثير وابن محيصن المكيَّان ، وعاصم ، وجميعهم من أئمة القراءة ، وأيضاً على شيبه بن نصاح وعكرمة ومجاهد وغيرهم ٠

تلامذته : اليزيدى ، من الأربعة عشر ٠

اتجاهاته :

(١) ارتبطت أصوله بأصول أستاذه الحسن البصرى ٥٠ ٪ ، وأعرض عن فرشه ٠

(٢) عارض أصول حفص « معامل ارتباط سالب (٢٠ ٪) » ، وارتبط بفرشه ٠

(٣) جذع فرشه من فرش ابن كثير مقرىء مكة، وأحد أساتذته ٨١٪ ، ولكنه لم يأخذ بأصوله ٠

(٤) باقى فرشه من : (حفص ونافع وابن محيصن) بدرجة متقاربة ٠ ولم يأخذ بأصولهم ٠

(٥) يكاد تلميذه اليزيدى أن يكون نسخة طبق الأصل منه فرشًا وأصولاً ٠

(٦) لم يصطدم بأى مدرسة من مدارس القراءات ، ولذا لا تجد له ارتباطات سالبة مع أى من القرَّاء الأربعة عشر ، باستثناء أصول حفص فقط ٠

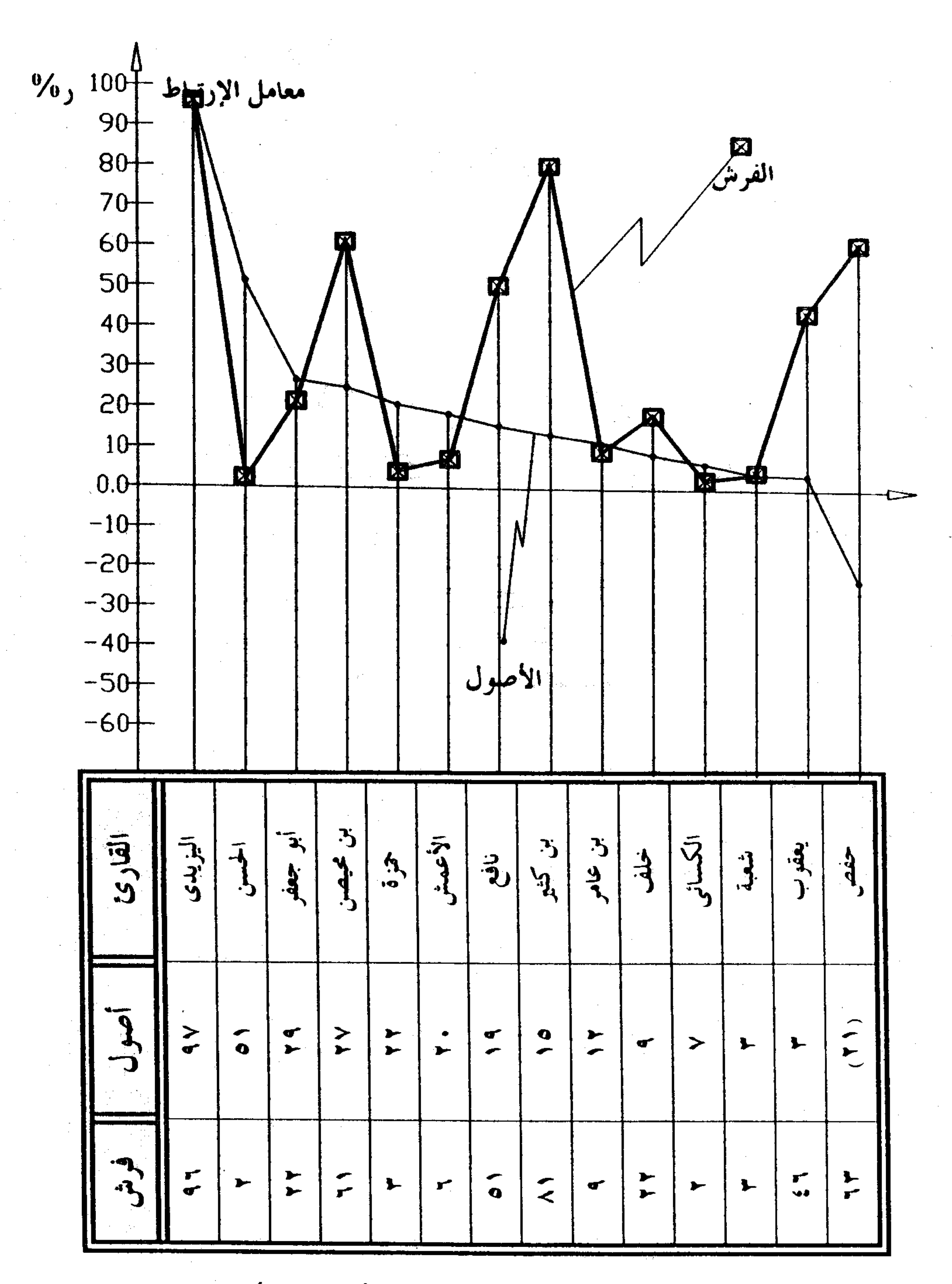

القارئ	أصول	فرش
اليزيدى	٩٧	٩٦
الحسن	٥١	٢
أبو جعفر	٢٩	٢٢
بن محيصن	٢٧	٦١
حمزة	٢٢	٣
الأعمش	٢٠	٦
نافع	١٩	٥١
بن كثير	١٥	٨١
بن عامر	١٢	٩
خلف	٩	٢٢
الكسائى	٧	٢
شعبة	٣	٣
يعقوب	٣	٤٦
حفص	(٢١)	٦٣

شكل (٦) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين أبى عمرو
و القراء الأربعة عشر

اسمه : يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو محمد العدوى البصرى .

شهرته : المعروف باليزيدى .

مولده – وفاته : (ت ٢٠٢ هـ) عن أربع وسبعين سنة .

التصنيف : أحد الأربعة عشر .

التعديل : ثقة صدوق ، نحوى مقرىء ، علاّمة كبير مفوّه ، بارع فى اللغات والأدب .

أساتذته : عرض على أبى عمرو ، وخلفه فى القراءة بها ، وأخذ أيضاً عن حمزة .وهو ما لم تثبته الإحصائيات .

تلامذته : الدورى والسوسى ، وهما راويا أبى عمرو .

اتجاهاته :

(١) صورة طبق الأصل من أستاذه أبى عمرو ، فى الفرش والأصول ، وفى الاتجاه ودرجة الارتباط بباقى القرّاء الأربعة عشر .

(٢) درجة ارتباطه بأبى عمرو فى الفرش ٩٦٪ ،وفى الأصول ٩٧٪ .

(٣) ارتبط بأصول الحسن البصرى ٤٩٪ ، ولم يرتبط بفرشه ١٢٪ .

(٤) ارتبط بفرش ابن كثير ٧٦٪ ، ولم يرتبط بأصوله ١٨٪ .

(٥) ارتبط بفرش حفص ٦٥٪ وعارض أصوله (سالب « ٢٠٪ ») .

(٦) ارتبط بفرش ابن محيصن ٥٨٪ ، ومال للارتباط بأصوله ٣٦٪ .

(٧) ارتبط بفرش نافع ٤٦٪ ، ولم يرتبط بأصوله ٢٠٪ .

(٨) ارتبط بيعقوب البصرى – من العشرة – بفرشه وفرش أبى عمرو ، ولم يرتبط بأصولهما .

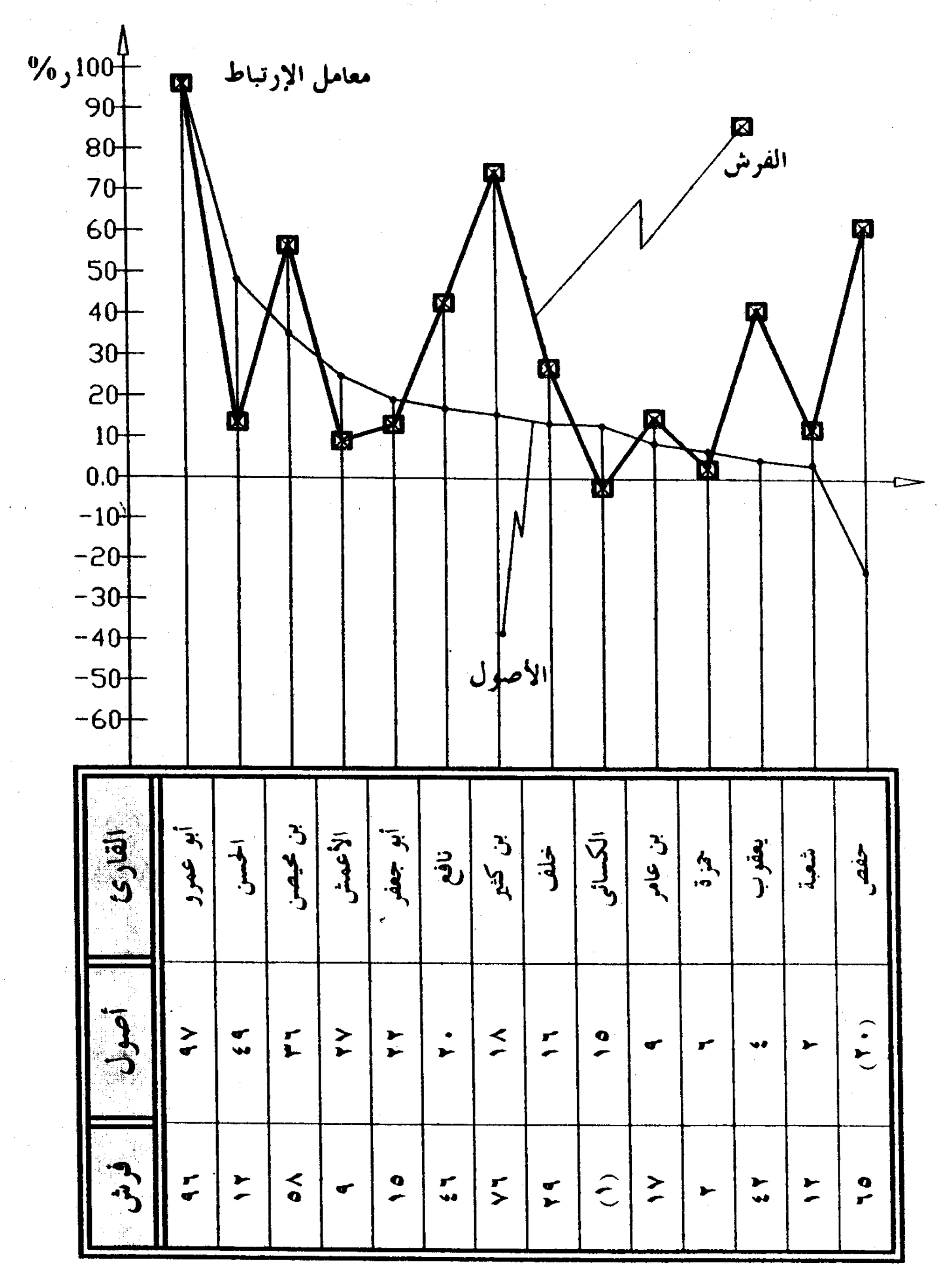

القارئ	أبو عمرو	الحسن	ابن محيصن	الأعمش	أبو جعفر	نافع	ابن كثير	خلف	الكسائي	ابن عامر	حمزة	يعقوب	شعبة	حفص
أصول	٩٧	٤٩	٣٦	٢٧	٢٢	٢٠	١٨	١٦	١٥	٩	٣	٤	٢	(٢٠)
فرش	٩٦	١٢	٥٨	٩	١٥	٤٣	٧٦	٢٩	(١)	١٧	٢	٤٢	١٢	٦٥

شكل (٧) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين اليزيدى
و القراء الأربعة عشر

اسمه : يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى مولاهم البصرى .

كنيته : أبو محمد .

مولده – وفاته : (ت ٢٠٥ هـ) وله ثمان وثمانون سنة .

التصنيف : أحد القرّاء العشرة .

أصله : مولى .

التعديل : كان إمامًا كبيراً ثقة عالمًا صالحًا دينًا ، انتهت إليه رئاسة القراءة بالبصرة بعد أبى عمرو . وكان إمام جامع البصرة سنين . من أروى الناس لحروف القرآن .

أساتذته : قرأ على سلاّم بن سليمان المزنى مولاهم الطويل ، وقرأ سلام على عاصم وعلى أبى عمرو وعلى عاصم الجحدرى ، وقرأ الجحدرى على الحسن البصرى . وقرأ على آخرين يتصل سندهم بأبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ .

اتجاهاته :

(١) اتجاهاته متوسطة فرشًا وأصولاً فلم يخالف أحداً بشدة .

(٢) اختلف عن قارئى البصرة أبى عمرو واليزيدى بأن اتجه لأصول شعبة عن عاصم .

فدرجة ارتباطه بها ٤٤٪ على حين كان ارتباط أبى عمرو بها ٣ ٪ فقط .

(٣) ارتباطاته على الفرش أعلى بكثير من ارتباطاته على الأصول فى الغالب .

(٤) قراءته كانت محاولة للتوفيق بين القرّاء الأربعة عشر جميعهم ، فرشًا وأصولاً .

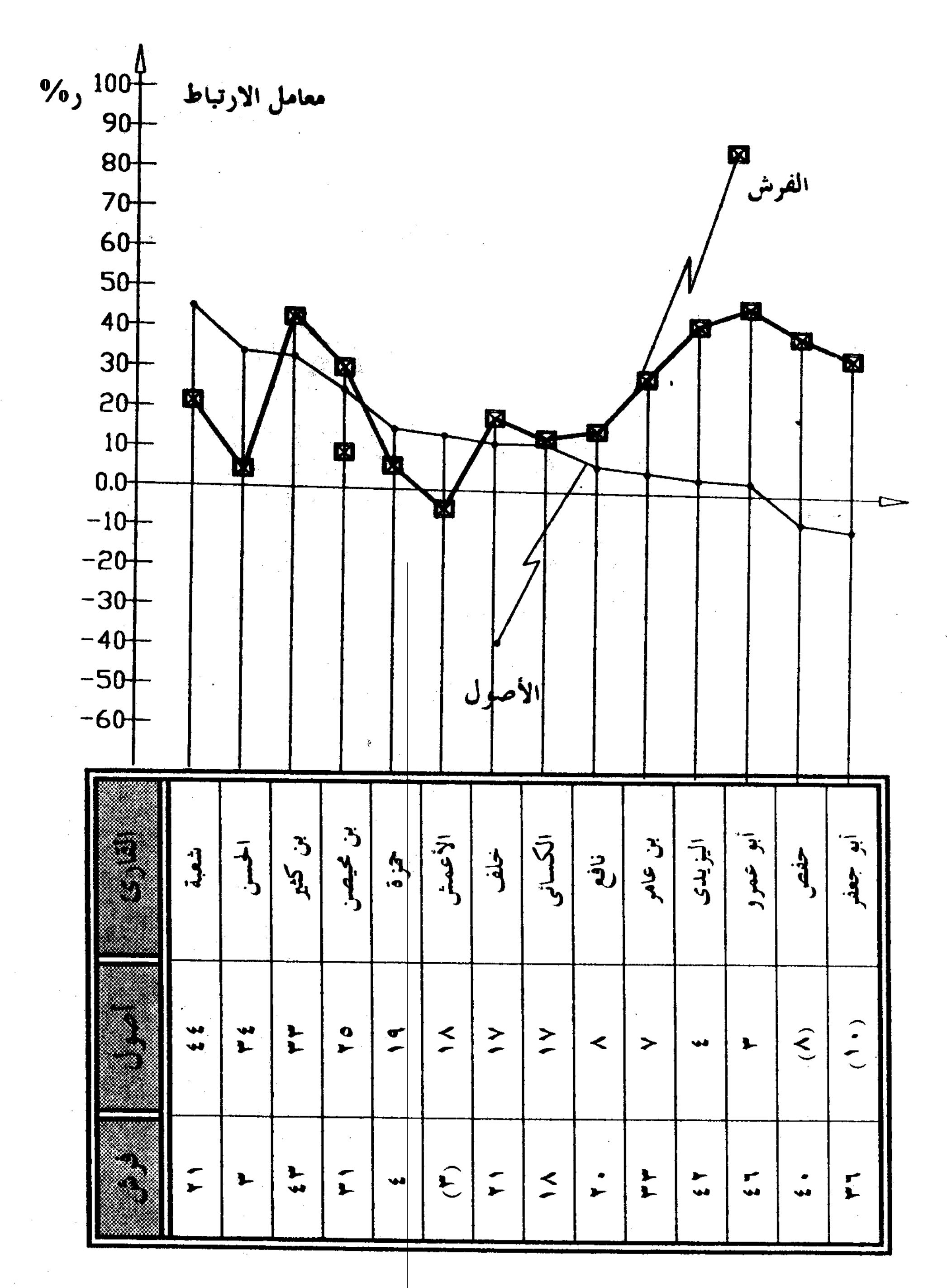

القارئ	شعبة	الحسن	ابن كثير	ابن محيصن	حمزة	الأعمش	خلف	الكسائي	نافع	ابن عامر	اليزيدي	أبو عمرو	حفص	أبو جعفر
الأصول	٤٤	٣٤	٣٣	٢٥	١٩	١٨	١٧	١٧	٨	٧	٤	٣	(٨)	(١٠)
الفرش	٢١	٣	٤٣	٣١	٤	(٣)	٢١	١٨	٢٠	٢٣	٤٢	٤١	٤٠	٣١

شكل (٨) يوضح معامل الارتباط فى الفرش و الأصول بين يعقوب و القراء الأربعة عشر

اسمه : عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبى .

مولده – وفاته : (٨ – ١١٨ هـ) ، تابعى كبير ، وأقدم القرَّاء سنًّا .

تصنيفه : أحد السبعة ، قارئ الشام .

أصله : عربى ، حر .

تعديله : كان إمامًا كبيرًا ، وتابعيًّا جليلاً ، وعالمًا شهيرًا ، جمع له الخليفة بين القضاء والإمامة ومشيخة الإقراء بدمشق ، فأجمع الناس على قراءته ، وعلى تلقيها بالقبول ، وإليه انتهت مشيخه الإقراء بالشام بعد وفاة الصحابى أبى الدرداء .

أساتذته : عرض على أبى الدرداء ، وعلى المغيرة شهاب صاحب سيدنا عثمان ومبعوثه إلى الشام بنسخة مصحفه الإمام ، وتنتهى قراءته إلى عثمان عن النبى ﷺ .

اتجاهاته :

(١) لم يعارضه أحد فرشًا ولا أصولاً ، واقتربت نسب ارتباط القرَّاء جميعهم بفرشه وأصوله على السواء ، وبمعاملات ارتباط متوسطة .

(٢) ارتبط الجميع بأصوله ، فاحتلت بذلك المركز الأول فى الاشتهار بين القرَّاء .

(٣) ارتبط بفرش حفص بشدة بمعامل ارتباط ٧٤٪ ، ووافقهما نافع بنسبة ٤٦٪ .

(٤) ارتبط بأصوله شعبة عن عاصم بنسبة ٥٤٪ ، تلاه الكوفيون مباشرة ولم يعارضه أحد .

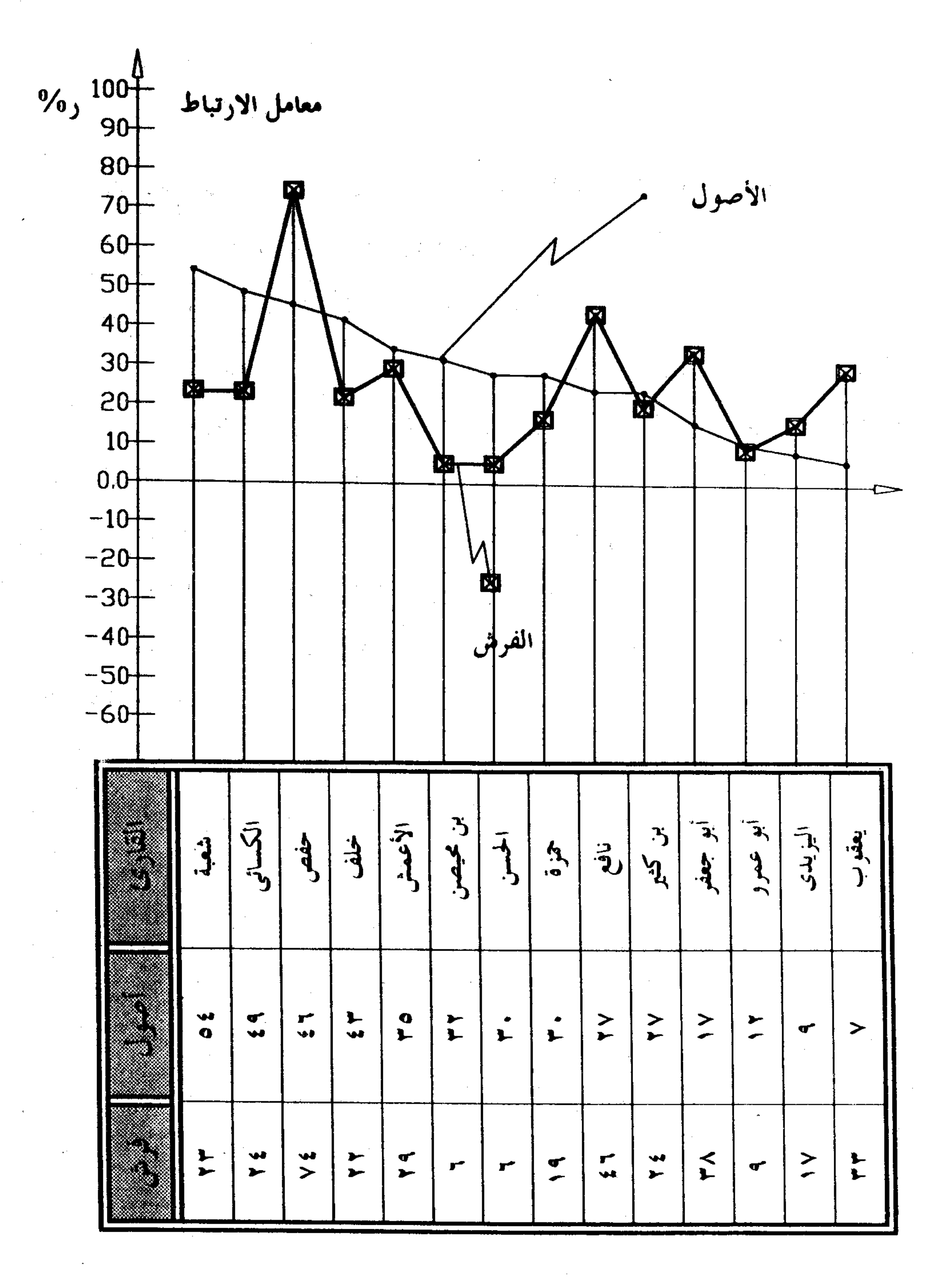

القارئ	شعبة	الكسائي	حفص	خلف	الأعمش	بن محيصن	الحسن	حمزة	نافع	بن كثير	أبو جعفر	أبو عمرو	اليزيدي	يعقوب
الأصول	٥٤	٤٩	٤٦	٤٣	٣٥	٣٢	٣٠	٣٠	٢٧	٢٧	١٧	١٢	٩	٧
فرش	٢٣	٢٤	٧٤	٢٢	٢٩	٣	٣	١٩	٤٦	٢٤	٣٨	٩	١٧	٣٣

شكل (٩) يوضح معامل الارتباط فى الفرش و الأصول بين بن عامر و القراء الأربعة عشر

اسمه : سليمان بن مهران ، أبو محمد الأسدى الكاهلى ، الأعمش .

مولده – وفاته : (٦٠ – ١٤٨ هـ) .

تصنيفه : أحد الأربعة عشر ، قارىء الكوفة .

أصله : مولى .

جرحه وتعديله : راجع (قرّاء الشواذ) ، أحد الأئمة الثقات ، ما نقموا عليه إلا التدليس .

أساتذته : أخذ القراءة عن إبراهيم النخعى (راجع الشواذ) ، وزر بن حبيش ، وعاصم ، وتنتهى قراءته إلى ابن مسعود عن النبى ﷺ .

تلاميذه : روى القراءة عنه . عرضًا وسماعًا – حمزة ، قارىء الكوفة وأحد السبعة .

اتجاهاته :

(١) صراع واضح فى أصول القراءة مع أهل الحجاز وعاصم (منافسه على الإقراء بالكوفة) . فعارض بشدة أصول أبى جعفر (٥٥٪) ، ثم نافع (٤١٪) ، ثم ابن كثير مقرىء مكة (٢٠٪) ، وارتباط واهٍ بحفص ١٤٪ .

(٢) وافق أصول شعبة عن عاصم بشدة ٧٤٪ ، وفرشه ٥٨٪ .

(٣) وافق أصول الحسن البصرى ٥٥٪ ، وهجر فرشه ١٪ .

(٤) أسس مدرسة الكوفة على قراءة ابن مسعود ، فتابعه والتصق به حمزة ، ثم تلميذه الكسائى من السبعة ، وأخيرًا خلف العاشر .

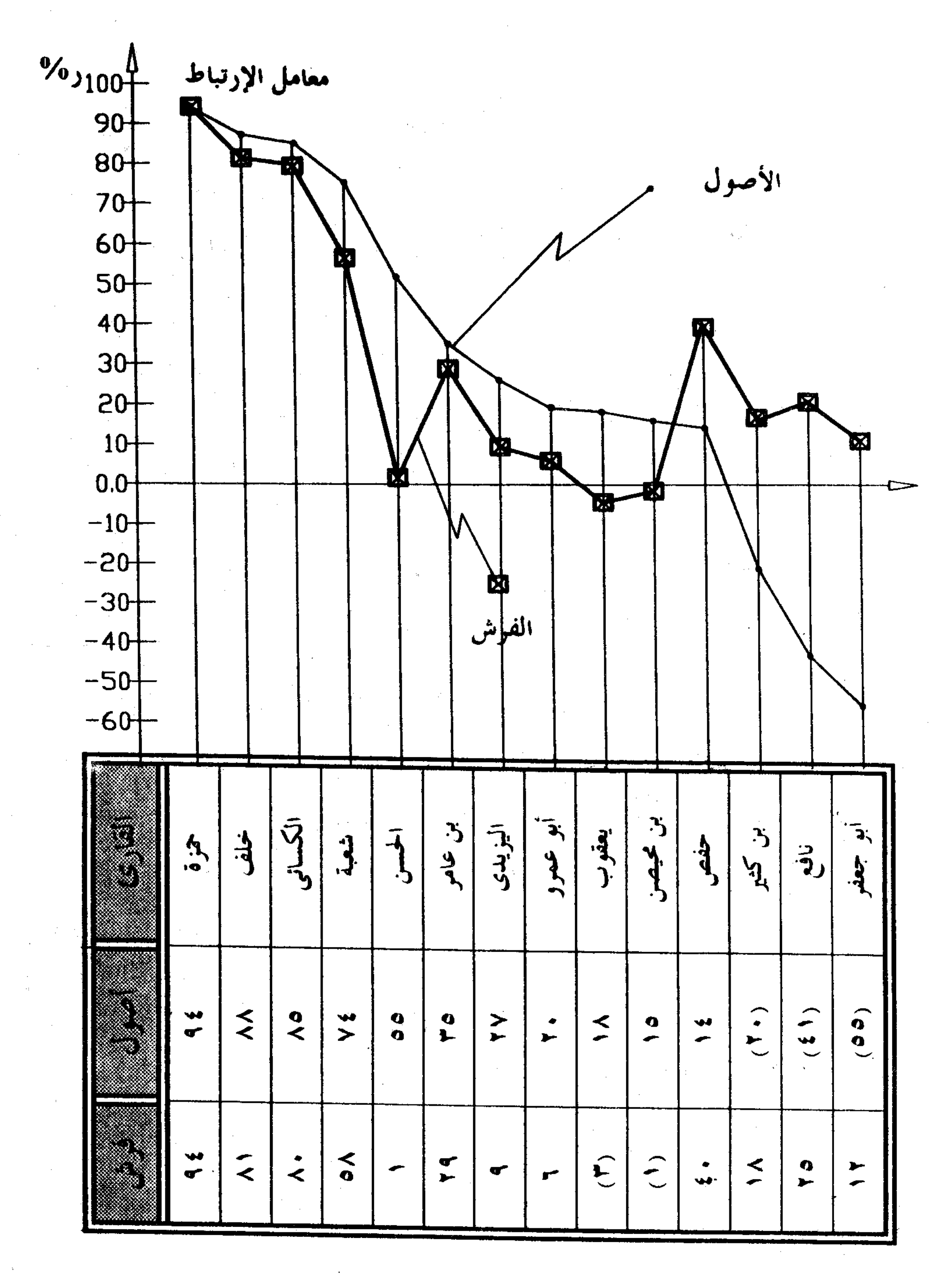

القارئ	الأصول	الفرش
حمزة	٩٤	٩٤
خلف	٨٧	٨١
الكسائي	٨٥	٨٠
شعبة	٧٤	٥٨
الحسن	٥٥	١
ابن عامر	٣٥	٢٩
اليزيدي	٢٧	٩
أبو عمرو	٢٠	٦
يعقوب	١٨	(٤)
ابن محيصن	١٥	(١)
حفص	١٤	٤٠
ابن كثير	(٢٠)	١٨
نافع	(٤١)	٢٥
أبو جعفر	(٥٥)	١٢

شكل (١٠) يوضح معامل الارتباط فى الفرش و الأصول بين الأعمش و القراء الأربعة عشر

اسمه : حمزة بن حبيب بن عمارة ، الكوفى التيمى ، الزيات .

مولده – وفاته : (٨٠ – ١٥٦ هـ) .

تصنيفه : أحد السبعة ، إمام الناس فى القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش .

أصله : مولى .

تعديله : انعقد الإجماع على تلقى قراءته بالقبول ، والإنكار على من تكلم فيها ، فإنه ما قرأ حرفًا إلا بأثر . وكان حجة قيمًا بكتاب الله تعالى ، وثقة كبيرًا .

أساتذته : عرض على الأعمش وابن أبى ليلى ، وتنتهى قراءته إلى ابن مسعود وعلى بن أبى طالب .

تلاميذه : عرض عليه الكسائى أربع مرات ، وعليه اعتماده .

اتجاهاته :

(١) سار فى خط مواز تمامًا لأستاذه الأعمش ، وإن كان أكثر تشددًا فرشًا وأصولاً ، فقد عمَّقَ الخلاف مع المدنيين أبى جعفر ونافع ، والمكى ابن كثير فى الفرش وكذلك فعل مع حفص عن عاصم (منافسه على الإقراء فى الكوفة) ، إلا أنه ثبت على علاقته بشعبة عن عاصم بنفس درجة ارتباط الأعمش به .

(٢) يمكن القول إجمالاً بأن حمزة كان شديد الانحياز لمدرسة ابن مسعود فى الإقراء ، شديد المخالفة لاختيارات مدارس الحجاز ، وبخاصة أصول مدرسة المدينة من جهة ، وفرش حفص الأشهر على الإطلاق من جهة أخرى .

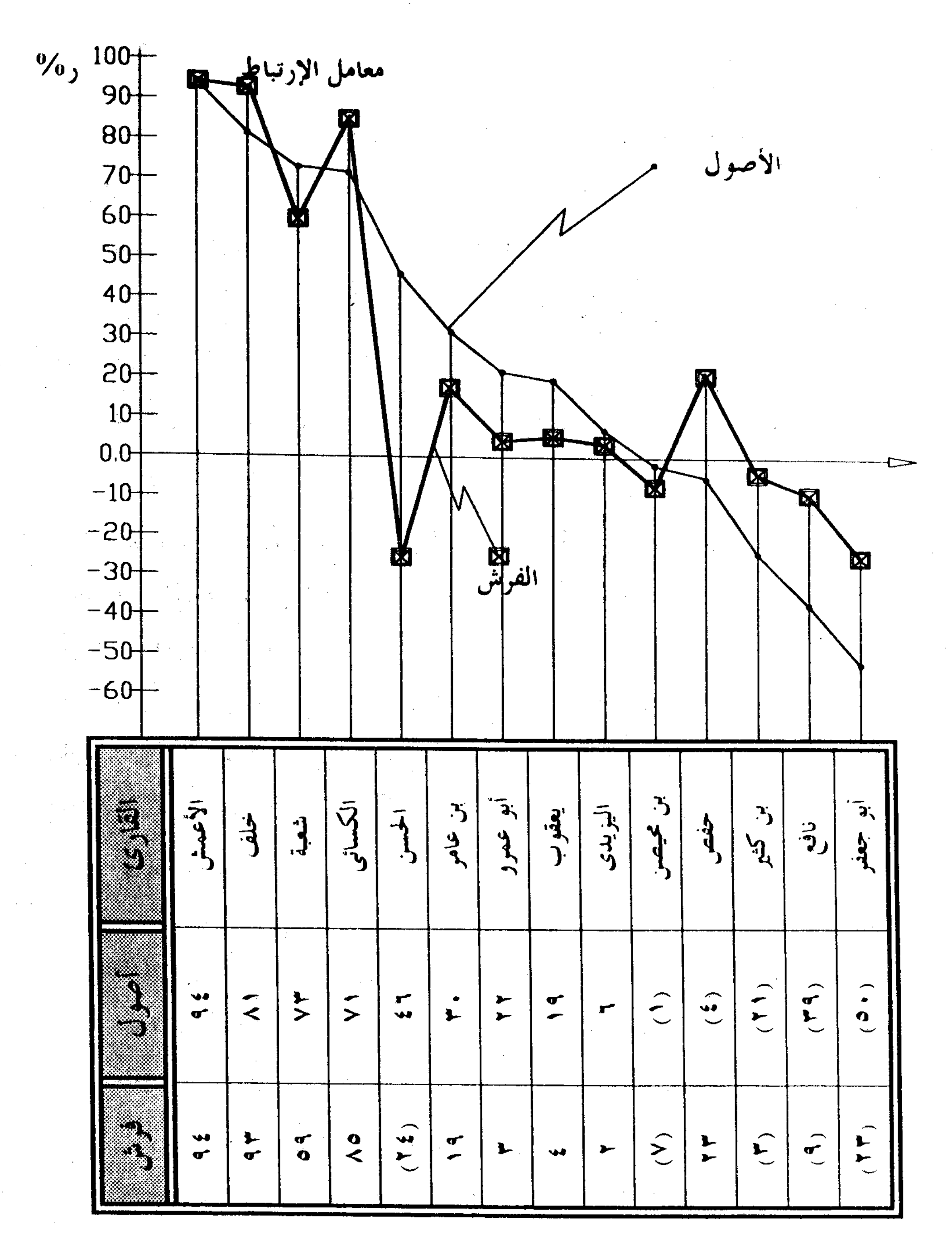

القارئ	الأصول	فرش
الأعمش	٩٤	٩٤
خلف	٨١	٩٣
شعبة	٧٣	٥٩
الكسائي	٧١	٨٥
الحسن	٤٦	(٢٤)
بن عامر	٣٠	١٩
أبو عمرو	٢٢	٣
يعقوب	١٩	٤
اليزيدي	٣	٢
بن محيصن	(١)	(٧)
حفص	(٤)	٢٣
بن كثير	(٢١)	(٣)
نافع	(٣٩)	(٩)
أبو جعفر	(٥٠)	(٢٣)

شكل (١١) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين حمزة و القراء الأربعة عشر

اسمه : على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الأسدى وهو من أولاد الفرس بالعراق .

كنيته ولقبه : أبو الحسن الكسائى .

مولده - وفاته : (ت ١٨٩ هـ) ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزه الزيات .

تصنيفه : أحد السبعة .

أصله : مولى . فارسى .

تعديله : لم يكن أحد أضبط منه ، ولا أقوم بالقراءة فى زمانه ، وكان إمام الناس فى القراءة فى زمانه ، وكان أعلمهم بالقراءة ، وكان أعلم الناس بالنحو ، وأوحد الناس فى القرآن .

أساتذته : عرض على حمزة أربع مرات ، وعليه اعتماده ، كما روى الحروف (أى بعض الحروف التى خالف فيها حمزه) عن أبى بكر بن عياش أحد تلاميذ عاصم .

اتجاهاته :

(١) تكاد تتطابق مع حمزة والأعمش ، غير أنه اتجه لتقليل الاختلاف فى الفرش الذى عمقه حمزة ، فعاد به إلى مستوى الأعمش ، فحقق تقاربًا مع فرش حفص ٦٤٪ ، وأزال التعارض الكبير مع فرش المدنيين أبى جعفر ونافع ، وقد جاء اتجاهه فى التقارب مع فرش حفص على حساب فرش شعبة عن عاصم .

(٢) أما الأصول -وهى التى تميز قراءته وقراءة الكوفة - فلم يحقق فيها تقاربًا يذكر مع باقى القرَّاء الذين عارضهم من قبله من الكوفيين .

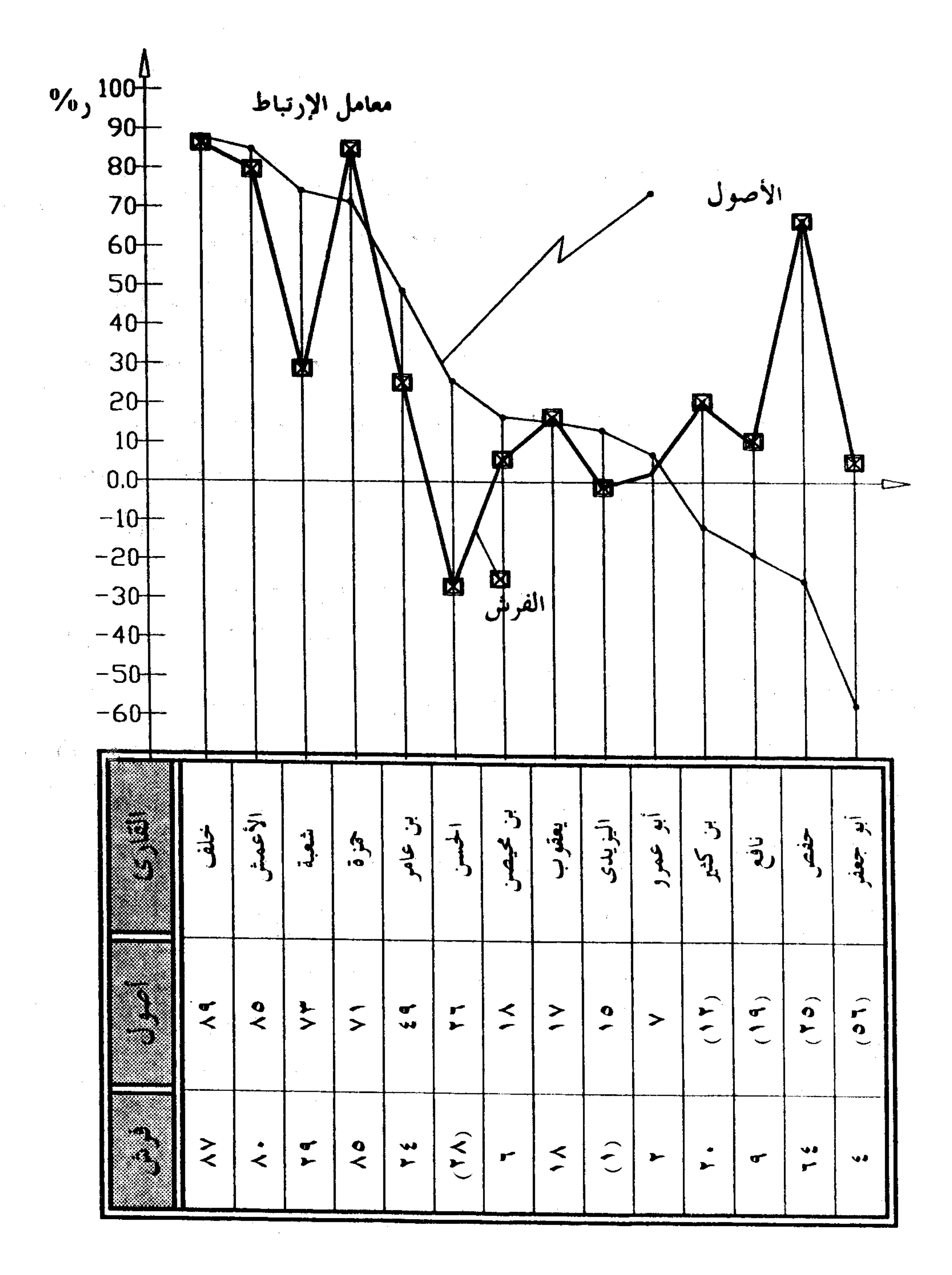

القارئ	الأصول	الفرش
خلف	٨٩	٨٧
الأعمش	٨٥	٨٠
شعبة	٧٣	٢٩
حمزة	٧١	٨٥
ابن عامر	٤٩	٢٤
الحسن	٢٦	(٢٨)
ابن محيصن	١٨	٣
يعقوب	١٧	١٨
اليزيدي	١٥	(١)
أبو عمرو	٧	٢
ابن كثير	(١٢)	٢٠
نافع	(١٩)	٩
حفص	(٢٥)	٦٤
أبو جعفر	(٥٦)	٤

شكل (١٢) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين الكسائى و القراء الأربعة عشر

اسمه : خلف بن هشام بن ثعلب الأسدى البغدادى البزار ·

مولده – وفاته : (١٥٠ – ٢٢٩ هـ) ·

تصنيفه : أحد العشرة ·

تعديله : كان إمامًا كبيرًا عالمًا ثقة ، صاحب الاختيار ·

أساتذته : قرأ على سليم صاحب حمزة ، وروى الحروف عن الكسائى وإن لم يعرض عليه ·

اتجاهاته :

(١) لم يخرج عن قراءة الكوفيين فى حرف واحد ، ولم يخالف حمزة والكسائى وشعبة إلا فى حرف واحد ، وافق فيه عاصمًا ·

(٢) الأقرب إلى الأعمش فى تقليل حدة الفجوة بين الكوفة وباقى أهل الأمصار ·

(٣) اقتصر خلافه الشديد على معارضة المدنيين فى الأصول ، وهما أبى جعفر ونافع ، ومعارضة خفيفة لفرش أبى جعفر والحسن طبعًا ·

(٤) حافظ على المسافة الكبيرة بين الكوفة والحجاز فرشًا وأصولاً ، فأكد على نفس اتجاهات من سبقوه من الكوفيين ، الأعمش وحمزة والكسائى ، حتى لا تكاد تلمس تغيرًا ملموسًا فى اتجاه أى منهم بعيدًا عن الآخر ، إلا فيما ندر ، وكما أوضحنا عند حمزة والكسائى ·

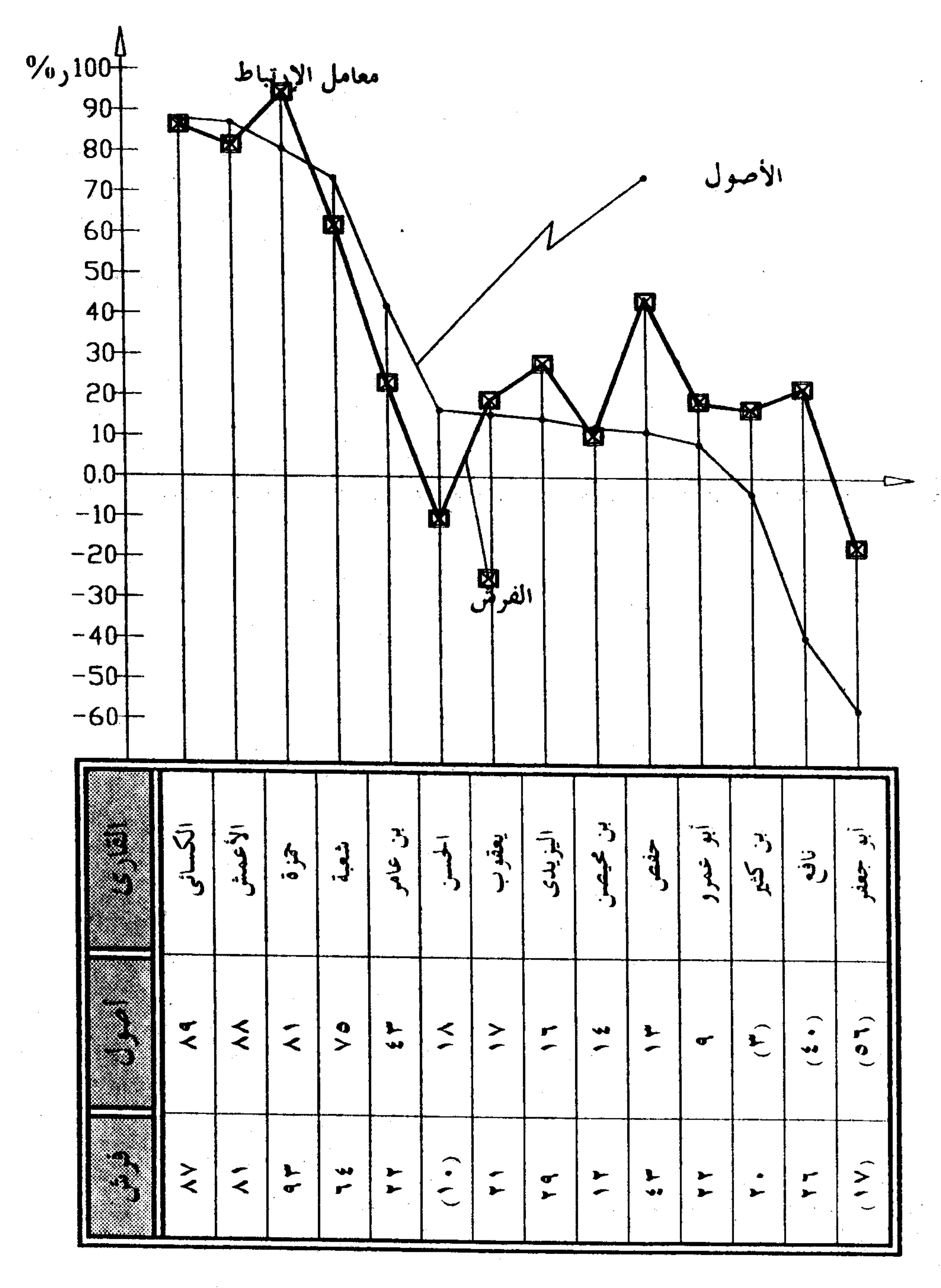

القارئ	الكسائي	الأعمش	حمزة	شعبة	ابن عامر	الحسن	يعقوب	اليزيدي	ابن محيصن	حفص	أبو عمرو	ابن كثير	نافع	أبو جعفر
الأصول	٨٩	٨٨	٨١	٧٥	٤٣	١٨	١٧	١٦	١٤	١٣	٩	(٣)	(٤٠)	(٥٦)
فرش	٨٧	٨١	٩٣	٦٤	٢٣	(١٠)	٢١	٢٩	١٢	٤٣	٢٢	٢٠	٢٦	(١٧)

شكل (١٣) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين خلف
و القراء الأربعة عشر

اسمه : شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحناط الأسدى النهشلى الكوفى .

مولده – وفاته : (٩٥ – ١٩٣ هـ) .

تصنيفه : أحد راويى عاصم أحد السبعة .

تعديله : كان إمامًا كبيرًا ، عالمًا عاملاً ، حجة من كبار أئمة السنة .

أساتذته : عرض على عاصم أكثر من مرة .

اتجاهاته :

(١) روى عن عاصم قراءته عن زر بن حبيش التى تنتهى إلى ابن مسعود، فكان بذلك يخالف رواية حفص عن عاصم باتجاه مدرسة الكوفة .

(٢) يرتبط بشدة برواية حفص عن عاصم فرشا بنسبة ٩١٪ ، وأصولاً بنسبة ٨٢٪ .

(٣) ارتبط بشدة بحروف الأعمش وحمزة والكسائى وخلفٍ بدرجة واحدة فى الأصول ٧٤ ٪ ، وبدرجة أقل نسبيًا فى الفرش ، فى حدود ٦٠ ٪ ، باستثناء الكسائى الذى هجر فرشه إلى فرش حفص .

(٤) وافق الكوفيين فى تنافرهم مع أصول المدنيين ، فجاء معامل ارتباطه بأصول أبى جعفر (٤٠٪) ، وبأصول نافع (٢٠٪) .

(٥) اقترب من أصول الحسن وهجر فرشه ، على العكس من حفص تمامًا .

(٦) علاقة واهية للغاية بالبصريين (أبى عمرو واليزيدى) فرشًا وأصولاً .

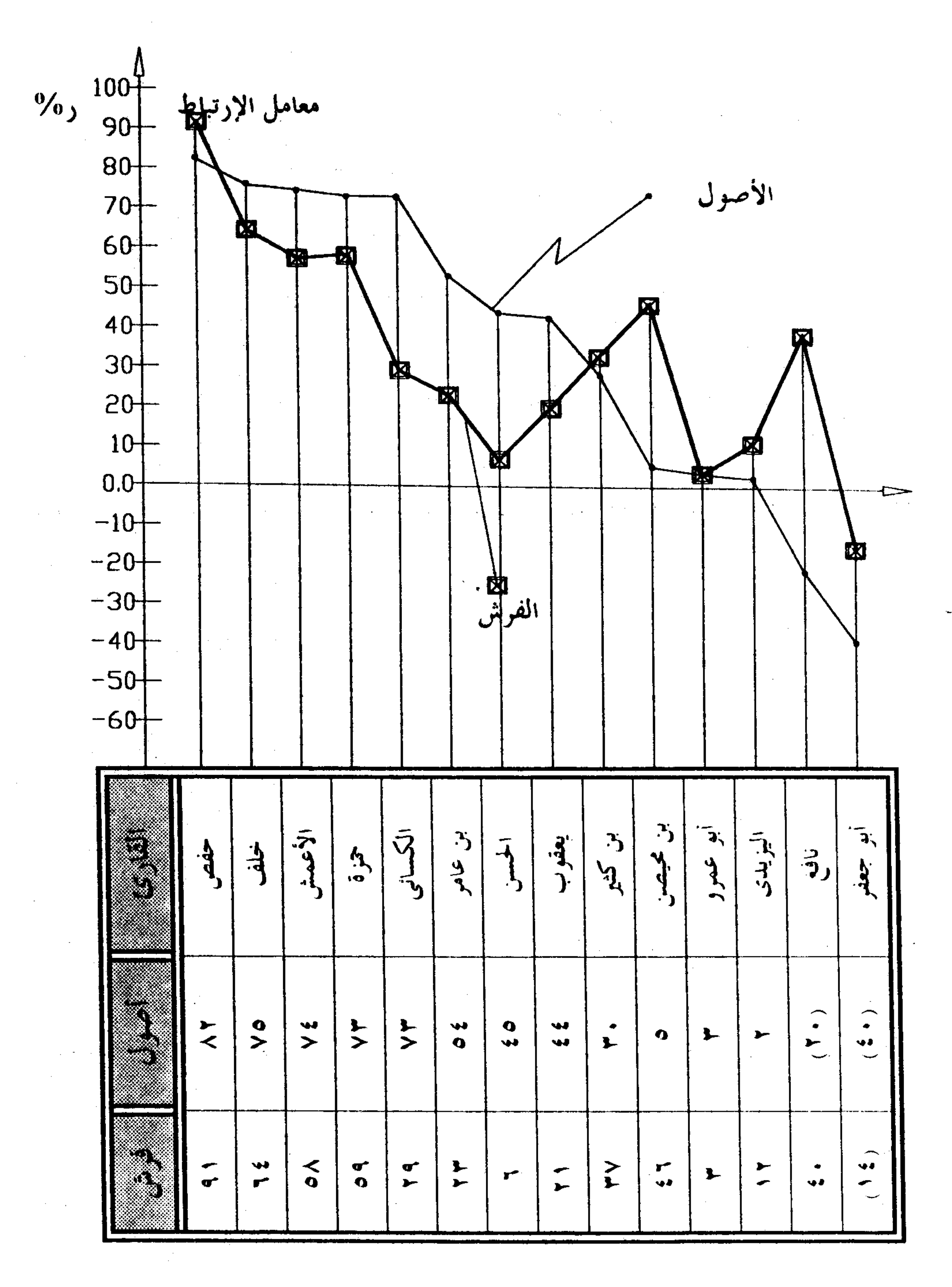

القارئ	حفص	خلف	الأعمش	حمزة	الكسائي	ابن عامر	الحسن	يعقوب	ابن كثير	ابن محيصن	أبو عمرو	اليزيدي	نافع	أبو جعفر
الأصول	٨٢	٧٥	٧٤	٧٣	٧٣	٥٤	٤٥	٤٤	٣٠	٥	٣	٢	(٢٠)	(٤٠)
فرش	٩١	٦٤	٥٨	٥٩	٢٩	٢٣	٦	٢١	٣٧	٤٦	٣	١٢	٤٠	(١٤)

شكل (١٤) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين شعبة (عن عاصم) و القراء الأربعة عشر

اسمه : حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبى داود الأسدى الكوفى .

مولده – وفاته : (٩٠ – ١٨٠ هـ) .

تصنيفه : أحد راويى عاصم أحد السبعة .

تعديله :كان أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم ، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم .

أما فى القراءة : فثقة ثبت ضابط لها ، بخلاف حاله فى الحديث .

أما فى الحديث : فكان واهيًا فيه لأنه كان لا يتقنه .

اتجاهاته :

(١) اجتمع القرَّاء الأربعة عشر ، وغيرهم على الارتباط بمعاملات ارتباط مرتفعة بفرش حروفه ، فلم يعارضه أحد ، وتسابقوا إلى موافقته ، أعلنوا ذلك أم لم يعلنوا ، مما أثبتته الإحصاءات ، باستثناء ابن محيصن ، يليه حمزة – الذى كان ينافسه على زعامة مدرسة الإقراء بالكوفة .

(٢) وعلى العكس فى الأصول ، فلم يوافقه فيها بنسب معقولة سوى شعبة – الراوى الثانى لعاصم – بنسبة ٨٢ ٪ ، ونافع بنسبة ٥٣ ٪ ، وابن عامر بنسبة ٤٦٪ . وقد عارضه فى أصوله قرَّاء البصرة جميعهم ، وكذا الكسائى وحمـــزة من الكوفة ، وعليه فلم تشتهر أصوله كما اشتهر فرشه .

(٣) فى مقدمة من وافقه فرشًا وأصولاً : ابن عامر مقرىء الشام .

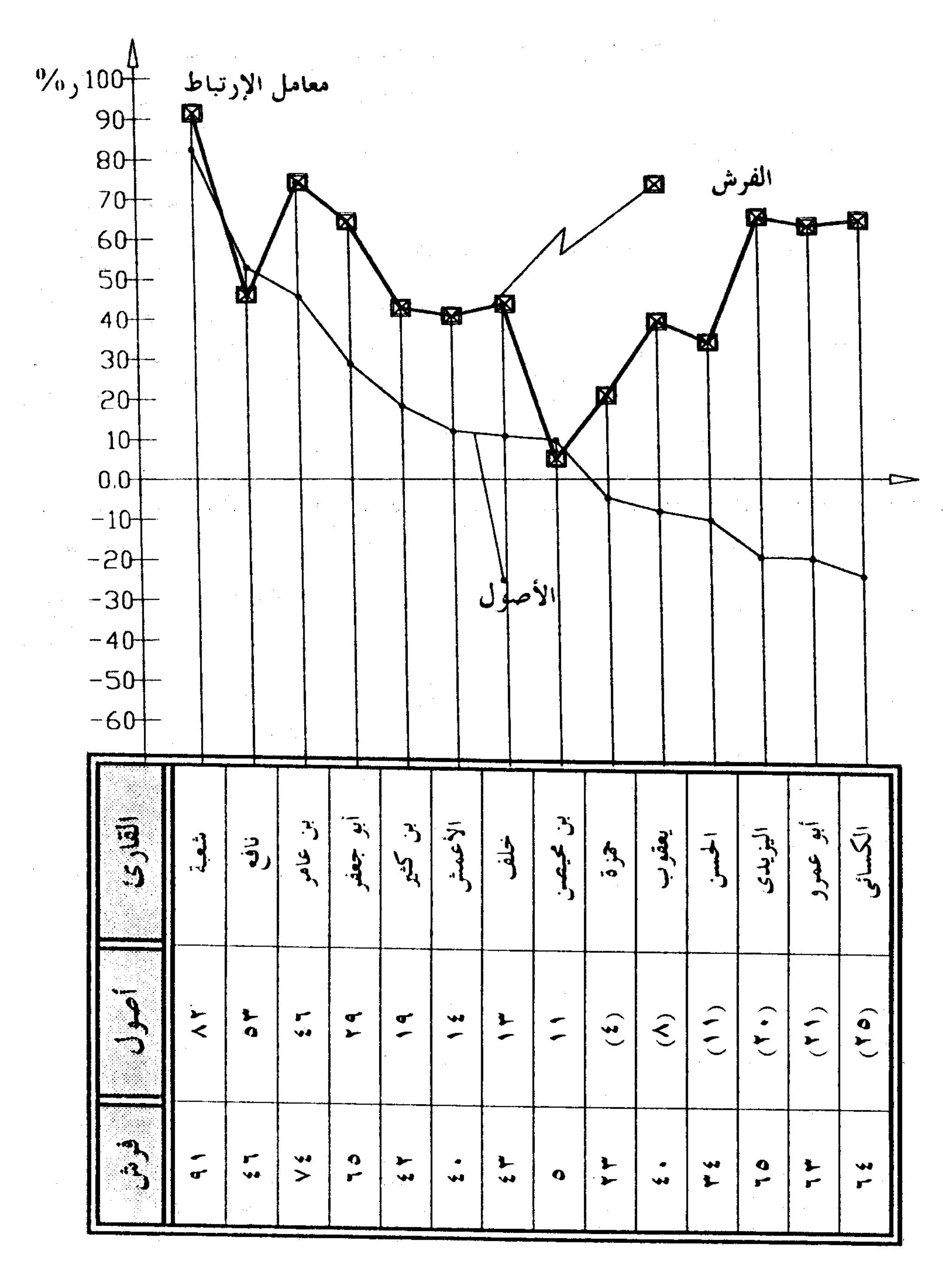

القارئ	أصول	فرش
شعبة	٨٢	٩١
نافع	٥٣	٤٦
بن عامر	٤٦	٧٤
أبو جعفر	٢٩	٦٥
بن كثير	١٩	٤٢
الأعمش	١٤	٤٠
خلف	١٣	٤٣
بن محيصن	١١	٥
حمزة	(٤)	٢٣
يعقوب	(٨)	٤٠
الحسن	(١١)	٣٤
اليزيدى	(٢٠)	٦٥
أبو عمرو	(٢١)	٦٣
الكسائى	(٢٥)	٦٤

شكل (١٥) يوضح معامل الإرتباط فى الفرش و الأصول بين حفص (عن عاصم) و القراء الأربعة عشر

اسمه : عاصم بن أبى النَجود أبو بكر الأسدى الكوفى .

مولده - وفاته : (ت ١٢٧ هـ) ، من التابعين .

تصنيفه : أحد السبعة . انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبى عبد الرحمن السلمى .

تعديله : ثبت فى القراءة ، وهو فى الحديث دون الثبت ، صدوق ، حسن الحديث .

رحل إليه الناس للقراءة من شتى الآفاق ، وجمع بين الفصاحة والتجويد والإتقان والتحرير . وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن .

أصله : مولى .

أساتذته : عرض على زر ، والسلمى ، والشيبانى ، وقرأ الثلاثة على ابن مسعود وقرأ كل من السلمى وزر على عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، كما قرأ السلمى على أبى بن كعب وزيد بن ثابت . وجميعهم تلقوا القراءة عن الرسول ﷺ .

تلامذته : حفص وشعبة ، أخذا عنه القرَّاء عرضا وبدون وسائط .

اتجاهاته : فصلنا قراءته إلى روايتى حفص عن عاصم عن السلمى ، وشعبة عن عاصم عن زر . والأولى تنتهى إلى عثمان وعلى ، والثانية تنتهى إلى ابن مسعود ، وقد سبق إيضاح ذلك بالتفصيل في الفصل الثانى ، وقد كان ذلك ضروريًّا حتى تأخذ رواية حفص - السائدة حاليا - حقها من الدقة الواجبة لها .

*** اتجاهات أبى جعفر نحو القرّاء الأربعة عشر** : شكل (١٦)

(١) يوافقه بشدة على أصوله ، تلميذه نافع المدنى .

(٢) يخالفه بشدة على أصوله رباعى الكوفة وشعبة عن عاصم .

(٣) يوافقه على فرش حروفه حفص عن عاصم ، ونافع .

(٤) يعارضه فى فرشه حمزة الكوفى .

(٥) ارتباط القرّاء بفرشه (المنحنى العلوى) يفوق ارتباطهم بأصوله (المنحنى السفلى) .

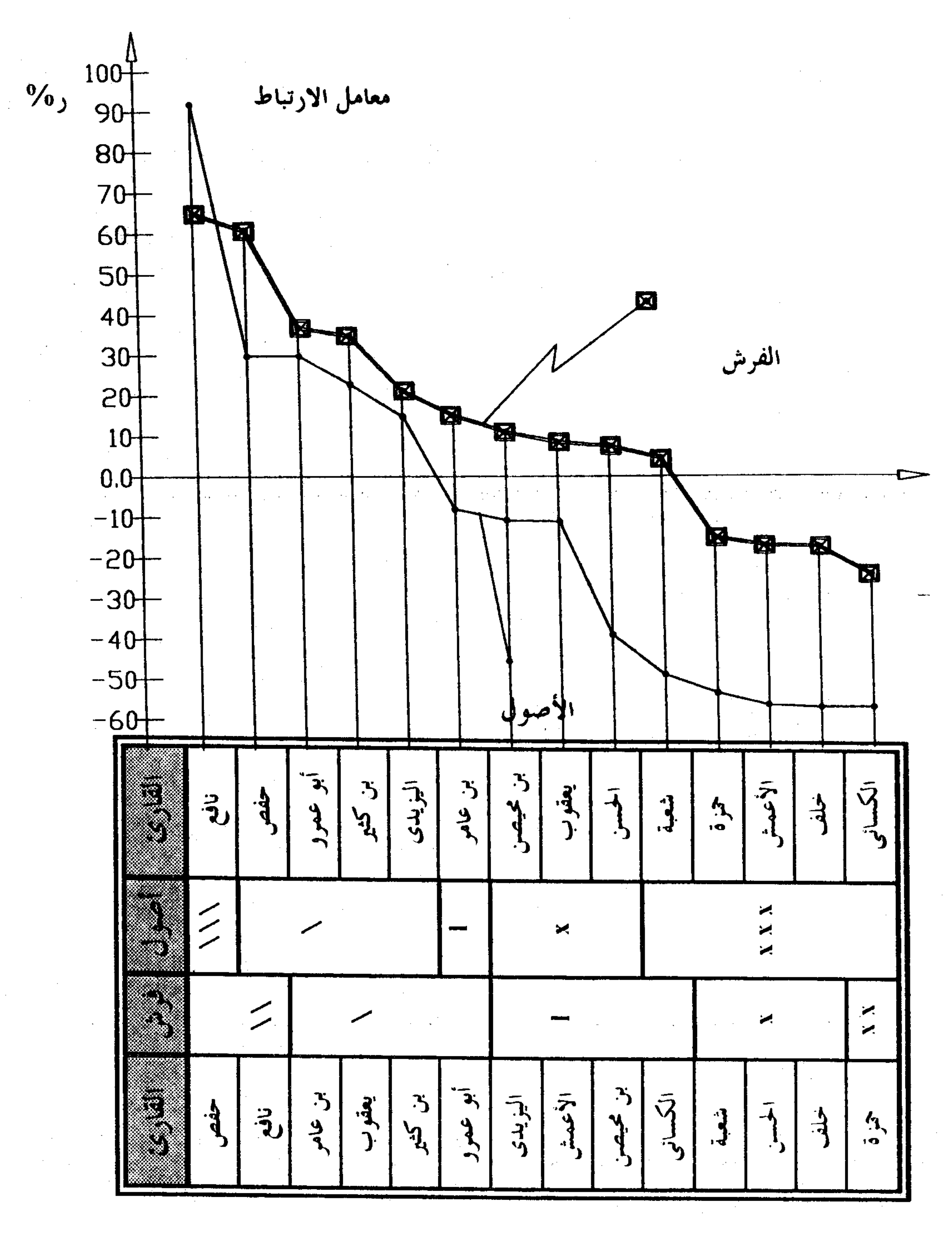

شكل (١٦) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات أبي جعفر بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* **اتجاهات نافع نحو القرّاء الأربعة عشر : شكل (١٧)**

(١) يوافقه بشدة على أصوله ، أبو جعفر .

(٢) يعارضه بشدة فى أصوله الأعمش وخلف .

(٣) يوافقه فى أصوله حفص عن عاصم .

(٤) يعارضه فى أصوله حمزة وشعبة عن عاصم .

(٥) يوافقه على فرشه : انظر شكل (١٧) الأسماء أمام علامة (✓✓) .

(٦) ارتباط القرّاء بفرشه (المنحنى العلوى) ، يفوق ارتباطهم بأصوله (المنحنى السفلى) .

(٧) ارتباط القرّاء بنافع يفوق ارتباطهم بأبى جعفر فرشًا وأصولاً حيث ضيّق التلميذ (نافع) الفجوة فى تعارض اختيارات أستاذه أبى جعفر مع باقى قرّاء الأمصار ، بصفة عامة .

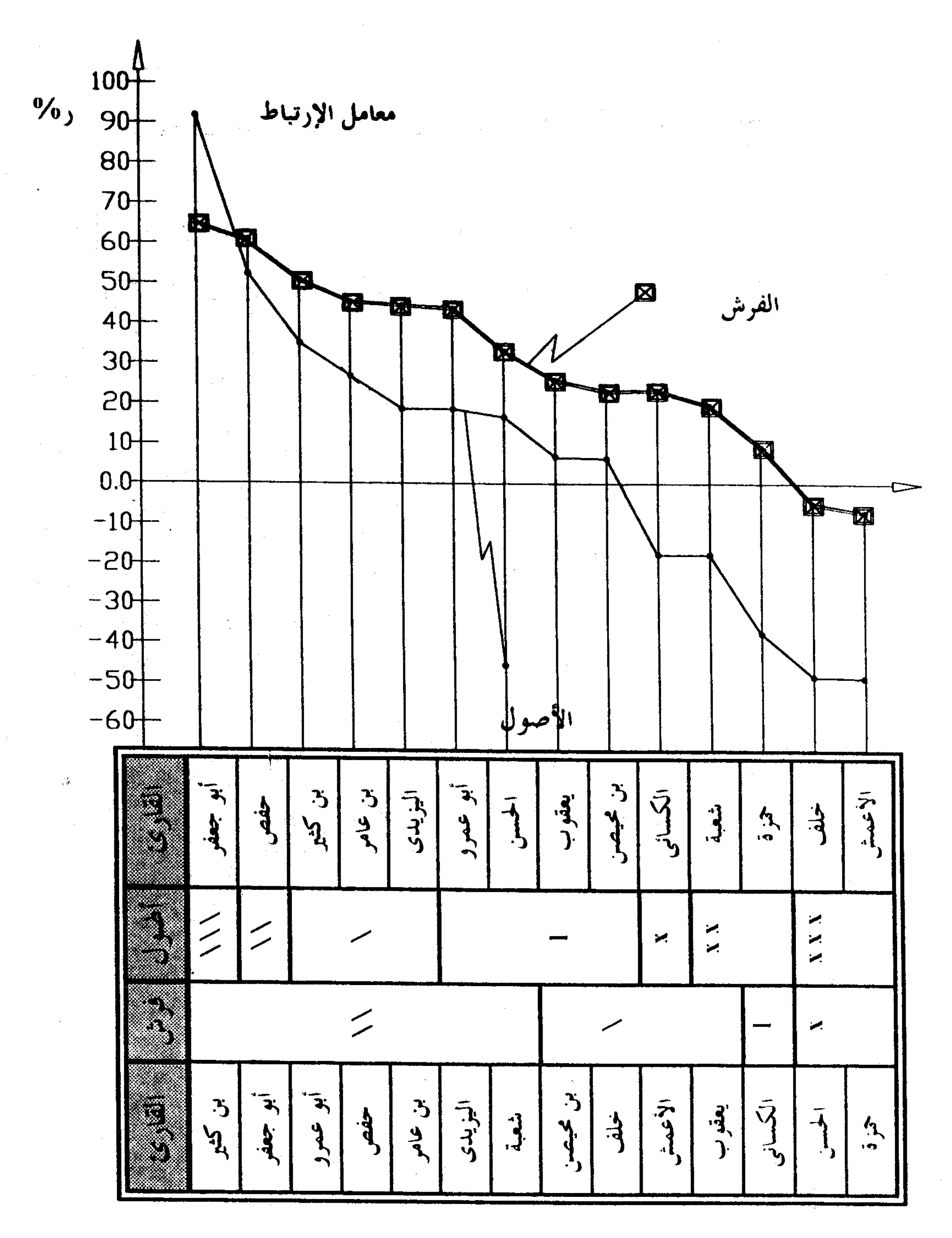

شكل (١٧) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات نافع بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات ابن كثير (مقرىء مكة) نحو القرَّاء الأربعة عشر : شكل (١٨) :

(١) يوافقه بشدة على أصوله ، معاصره ابن محيصن ، ولا أحد سواه .

(٢) يوافقه بشدة على فرشه ، ابن محيصن المكى أيضًا ، وتلميذه قارىء البصرة أبو عمرو وتلميذه اليزيدى .

(٣) يعارضه فى أصوله حمزة والأعمش .

(٤) يوافقه على فرشه نافع وحفص ويعقوب البصرى .

(٥) اتفاق القرَّاء على فرشه يفوق اتفاقهم على أصوله .

(٦) بصفة عامة ، فإن ارتباط القرَّاء بابن كثير فرشًا وأصولاً يفوق ارتباطهم بنافع ، كما أن ارتباطهم بنافع يفوق ارتباطهم بأبى جعفر .

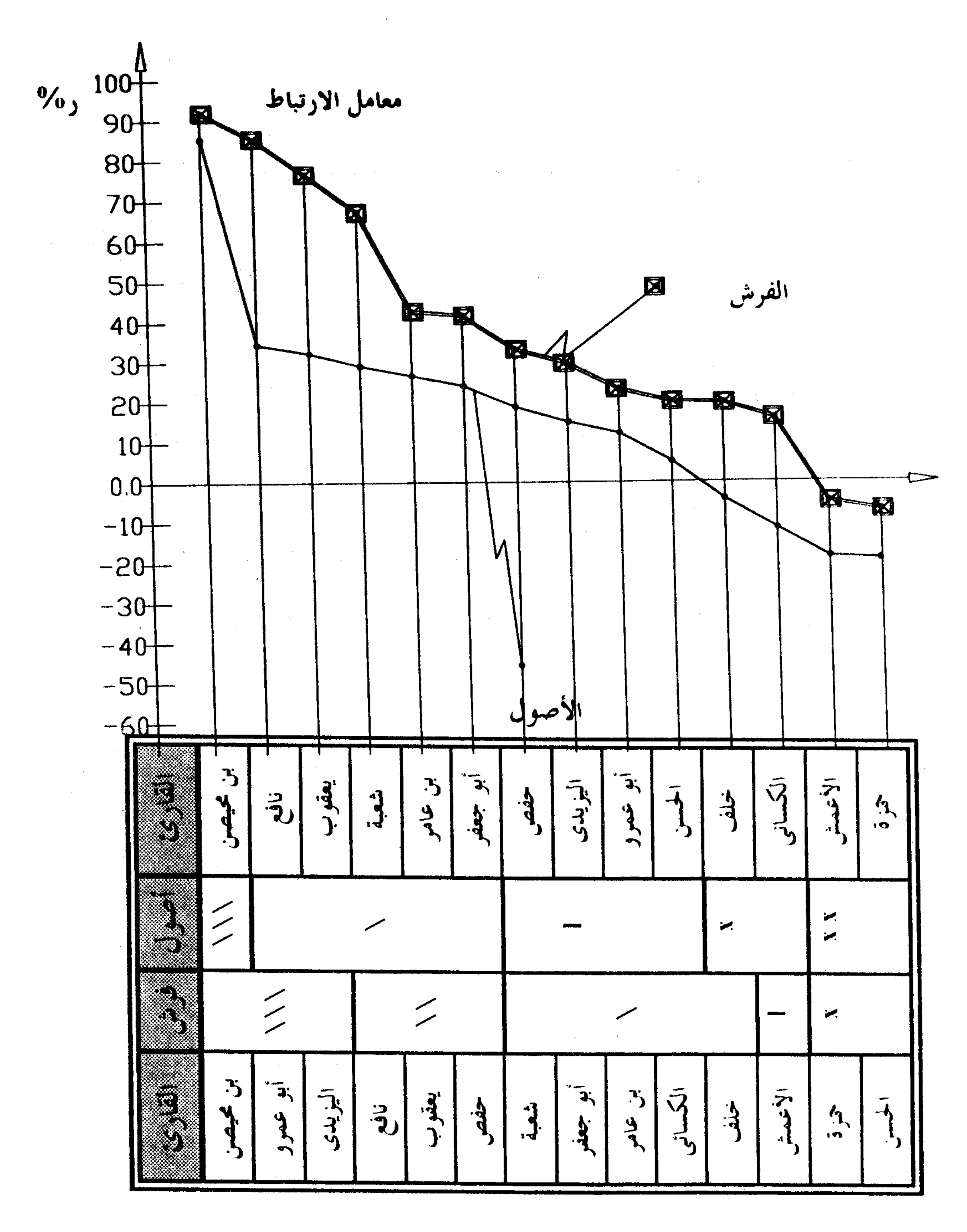

شكل (١٨) يوضح تباين الإرتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات ابن كثير بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* **اتجاهات ابن محيصن (مقرىء مكة) نحو القرّاء الأربعة عشر :** شكل (١٩) .

(١) يرتبط بشدة بأصوله وفرشه ، معاصره ابن كثير .

(٢) يوافقه على فرشه ، أبو عمرو واليزيدى وشعبة .

(٣) أصوله تتفوق على أصول ابن كثير فى ارتباط القرّاء بها ، والعكس صحيح بالنسبة للفرش الذى يتفوق فيه ابن كثير عليه .

ولعل هذا هو سر ترك الناس لقراءته إلى قراءة ابن كثير ، لاتباعه .

(٤) فضل قرّاء الكوفة أصوله على أصول ابن كثير .

(٥) فضل قرّاء المدينة أصول ابن كثير على أصـوله ، على عكس الكوفيين .

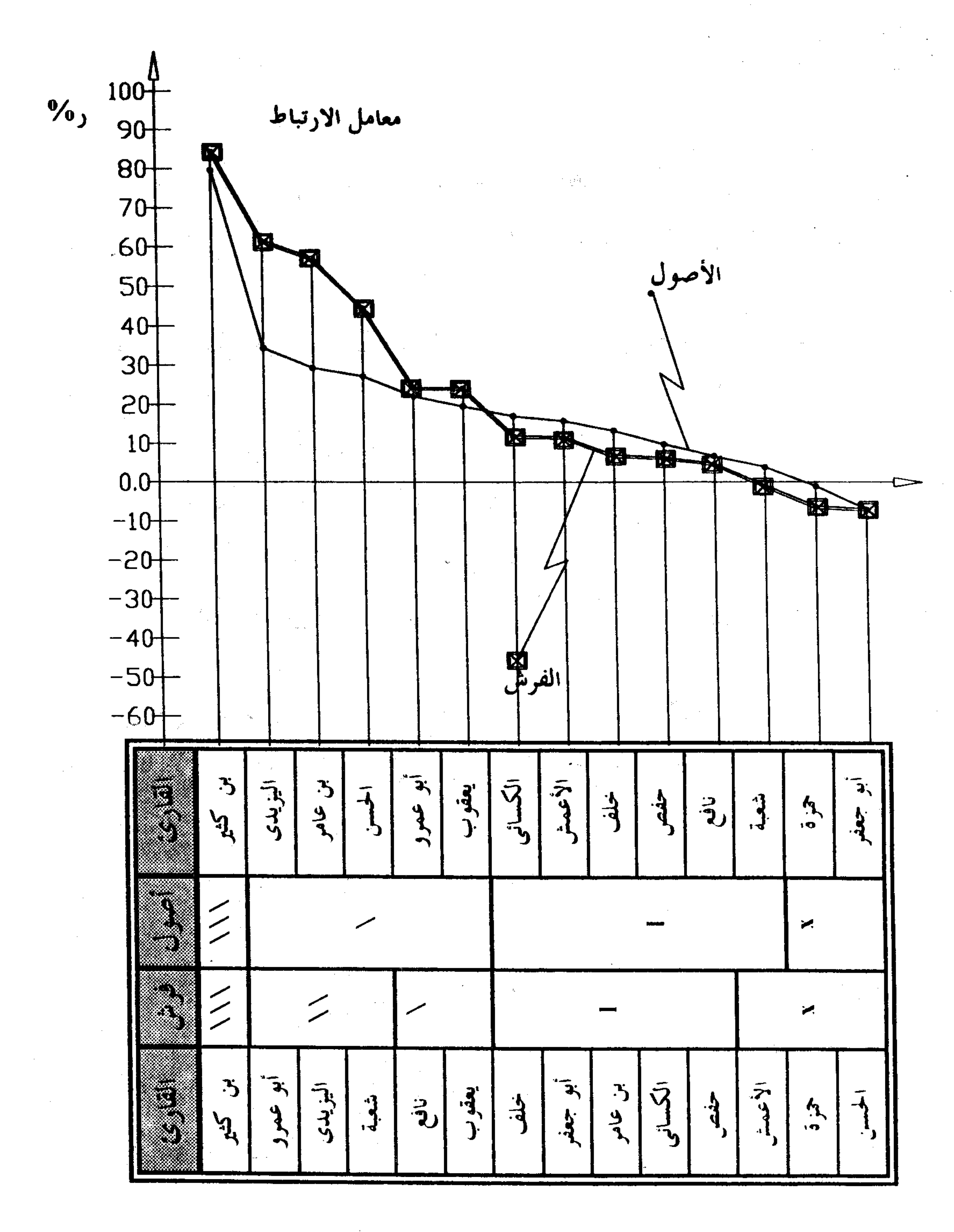

شكل (١٩) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات ابن محيصن بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* **اتجاهات الحسن البصرى نحو القرَّاء الأربعة عشر** : شكل (٢٠)

(١) على خلاف باقى القرَّاء ، فقد تفوقت أصول قراءته على فرش حروفه.

(٢) احتل المركز الثانى فى شهرة أصوله ، لم يناطحه سوى ابن عامر الشامى .

(انظر المنحنى العلوى) .

(٣) وافقه على أصوله : الأعمش وأبو عمرو واليزيدى وحمزة وشعبة .

(٤) عارض فرشه الكسائى وحمزة على الأخص .

(٥) كان حفص هو الوحيد بين القرَّاء الذى يميل إلى فرشه الحسن البصرى .

(٦) احتل فرشه المرتبة الأخيرة – بلا منازع – فى الاشتهار وتلقى القرَّاء لها بالقبول ، ذلك أنها حازت على أقل نسب ارتباط للقرَّاء بها .

(أنظر المنحنى السفلى) .

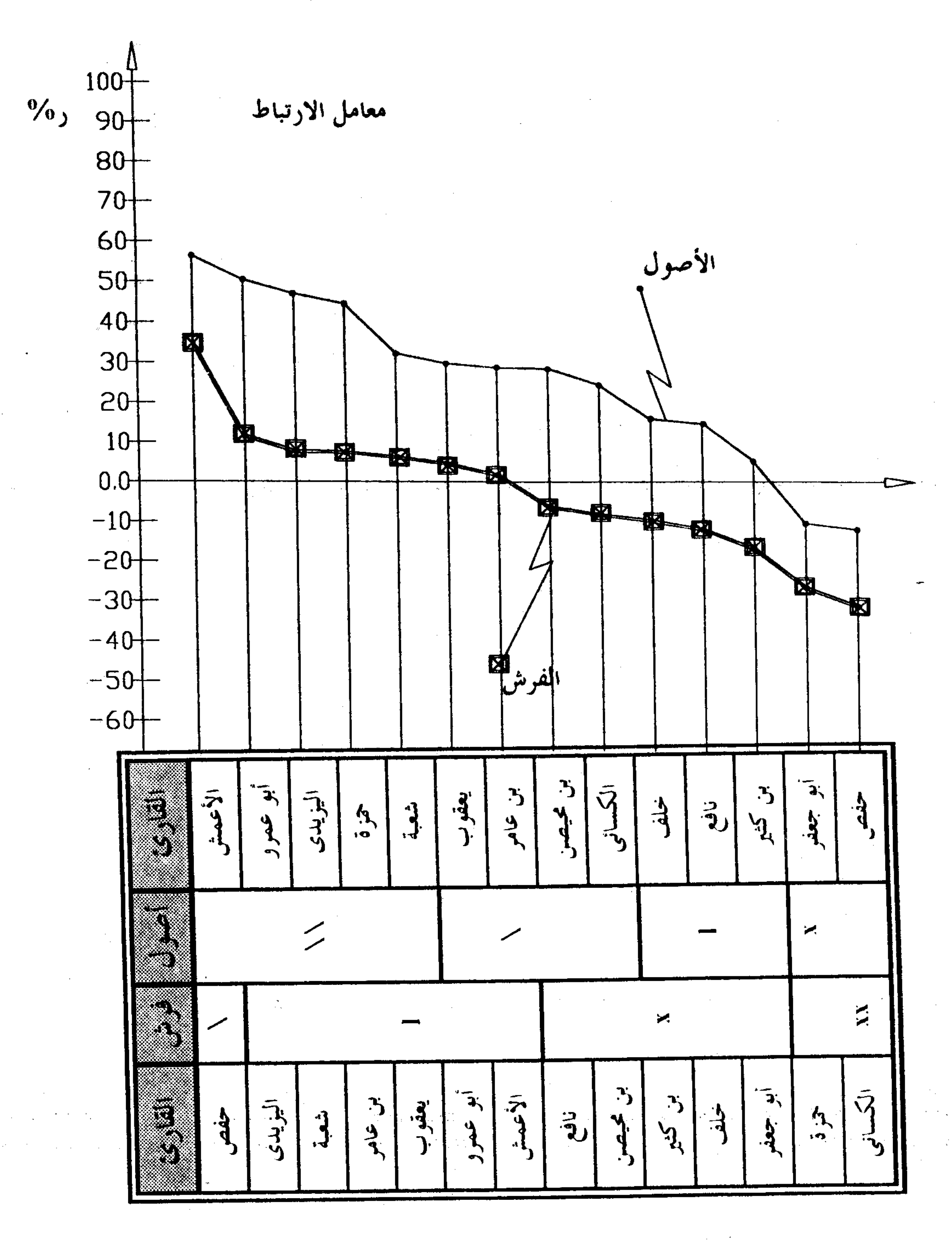

شكل (٢٠) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات الحسن البصرى بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات أبى عمرو بن العلاء نحو القرّاء الأربعة عشر** : شكل (٢١)

(١) وافقه بشدة - فرشا وأصولاً - تلميذه اليزيدى .

(٢) وافق أبو عمرو بشدة على فرش ابن كثير ، أستاذه ومقرىء مكة ، حتى يمكن القول أن جذع فرش أبى عمرو ، هو فرش ابن كثير .

(٣) وافق أبو عمرو على أصول الحسن البصرى ، وعنه أخذ قدراً لا بأس به .

(٤) وافق أبو عمرو فرش حفص ونافع وابن محيصن ، ووافقه يعقوب على فرشه أيضاً .

(٥) عارض أبو عمرو أصول حفص عن عاصم .

(٦) يمكن القول بأن اتجاه أبو عمرو كان ناحية مكة فى المقام الأول فى فرش الحروف ، ثم طعم اختياراته بفرش الثقات من أمثال حفص ونافع .

(٧) لم يعارض أبو عمرو أى قارىء من الأربعة عشر سوى أصول عاصم .

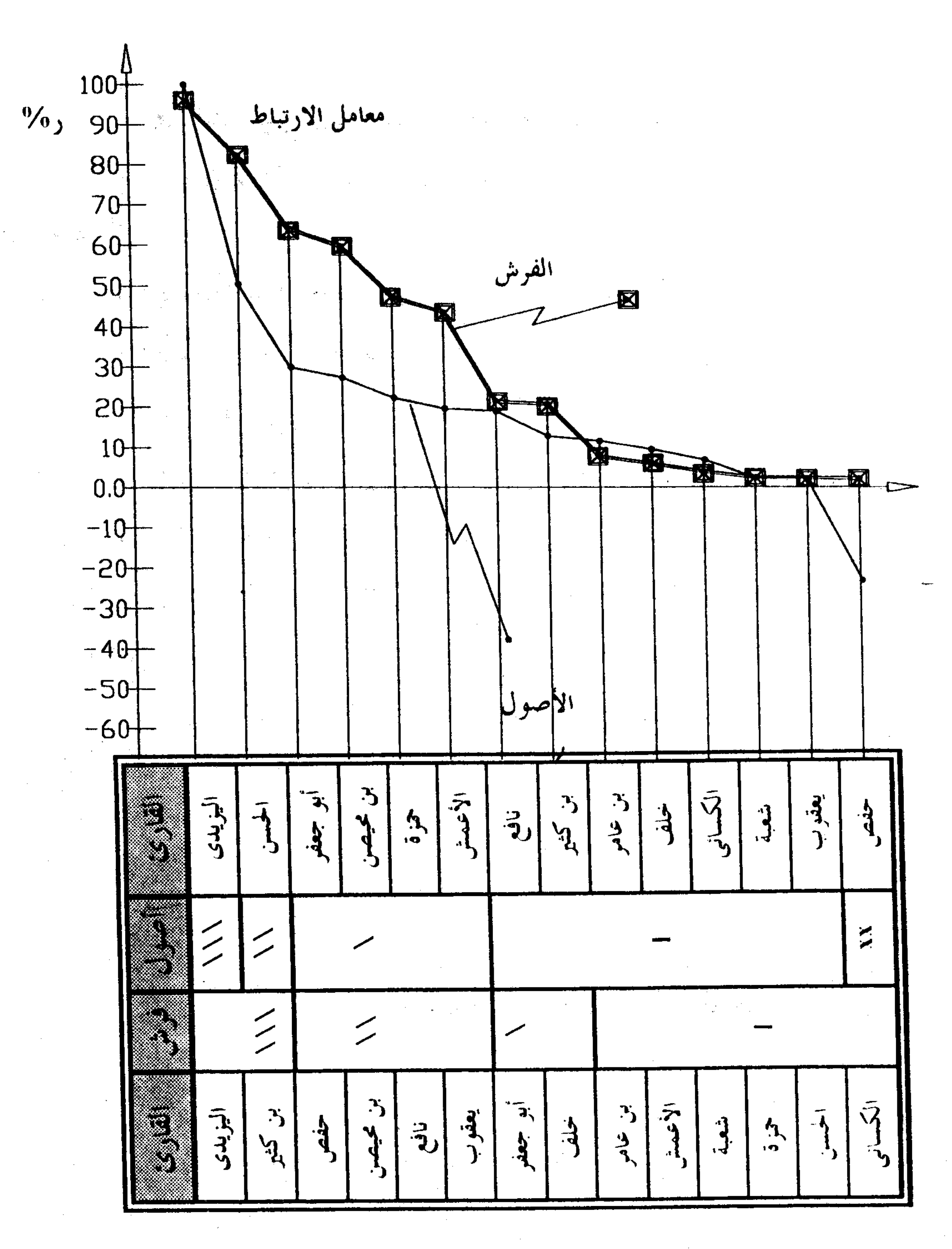

شكل (٢١) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات أبي عمرو بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات اليزيدى نحو القراء الأربعة عشر** : شكل (٢٢)

(١) قراءته تكاد تكون صورة طبق الأصل من قراءة أبى عمرو فرشًا وأصولاً .

(٢) ارتبط بشدة بفرش ابن كثير المكى ، ولم يرتبط بأصوله .

(٣) عارض أصول حفص عن عاصم ، تمامًا كأستاذه أبى عمرو .

(٤) ارتبط بفرش حفص ونافع وابن محيصن المكى .

(٥) يميل لعدم الارتباط بفرش الكسائى قارىء الكوفة .

(٦) ارتبط بأصول الحسن البصرى دون فرشه .

(٧) اتجه إلى أصول نافع بدرجة أكبر مما فعل أستاذه أبو عمرو . والعكس صحيح مع أصول أبى جعفر .

(٨) ابتعد عن أصول حمزة الكوفى بدرجة أكبر مما فعل استاذه أبو عمرو .

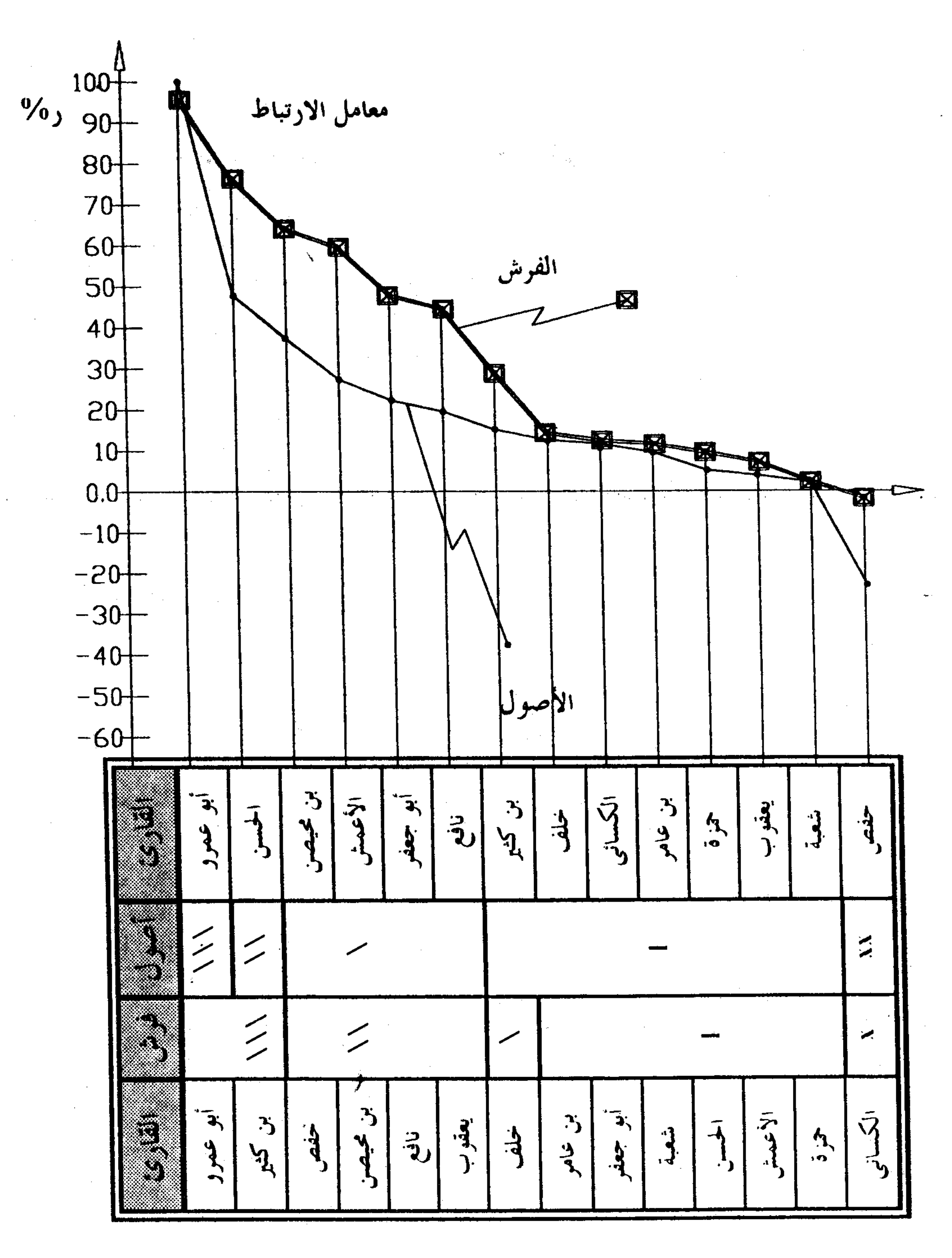

شكل (٢٢) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات اليزيدى
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* **اتجاهات يعقوب نحو القرّاء الأربعة عشر** : شكل (٢٣)

(١) وافق شعبة فى أصوله ٠

(٢) وافق أبو عمرو وابن كثير واليزيدى وحفص فى فرشهم ٠

(٣) يميل لمعارضة أصول حفص وأبى جعفر ٠

(٤) اختياراته فى الفرش والأصول كانت تتجنب معارضة الآخرين ، ومن هنا ، فلم يرتبط بشدة بأى قارىء ، كما لم يرفض بشدة ، أو حتى يرفض فرش أو أصول أى من القرّاء ، فكأنما كانت اختياراته محايدة تمامًا ، وغير متميزة ٠

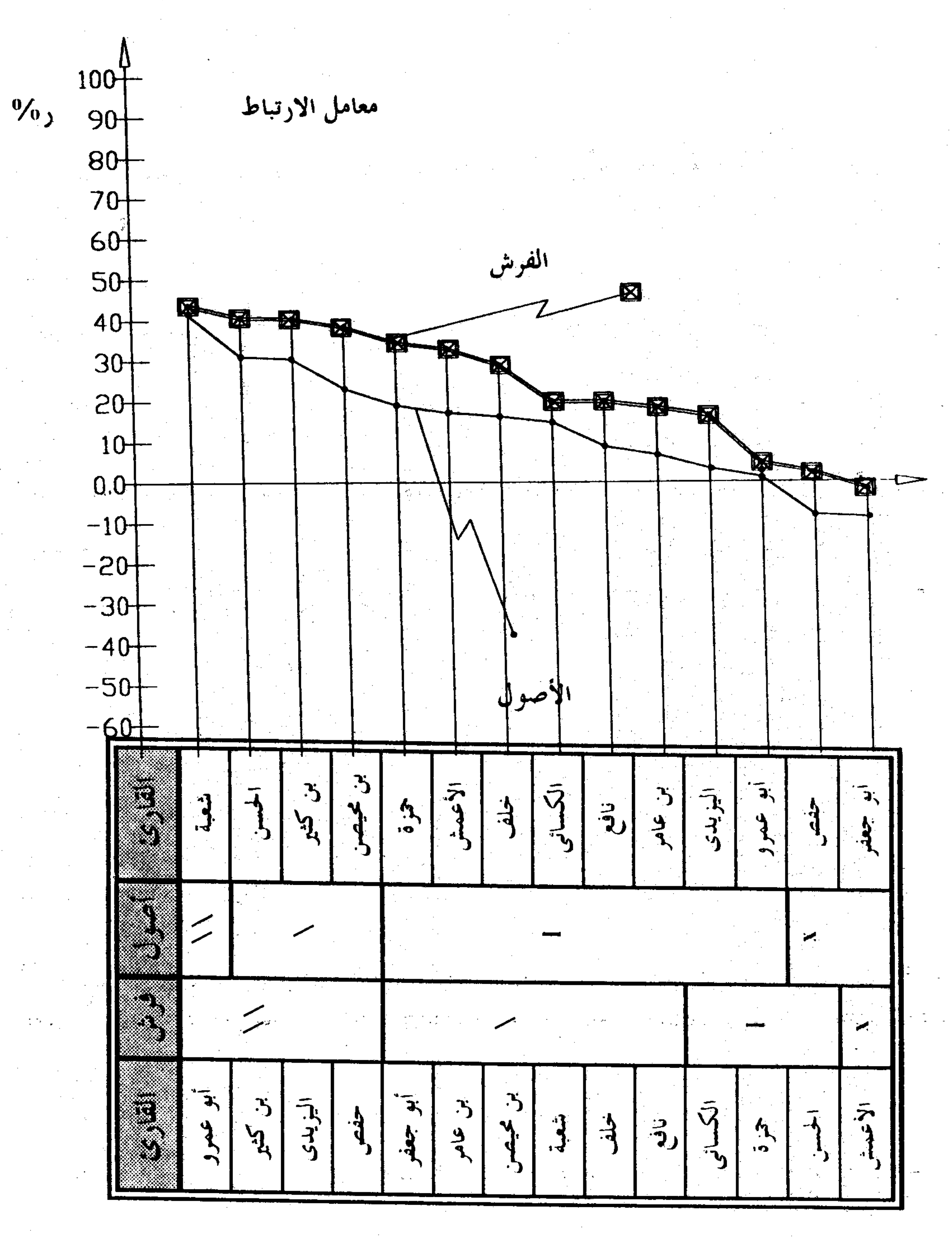

شكل (٢٣) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات يعقوب بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات ابن عامر - مقرىء الشام - نحو القــرَّاء الأربعــة عــشر :

شكل (٢٤)

(١) لعلها القراءة الوحيدة التى لم يعارض اختياراتها - فرشًا كانت أم أصولاً - أى قارىء من الأربعة عشر ، وبدون استثناء .

(٢) هى الأشهر فى الأصول بين القراءات جميعها ، حيث حققت أعلى معاملات ارتباط بأصولها من القرَّاء جميعًا .

(٣) الفارق بين ارتباط القرَّاء بفرشها ، وأصولها ليس كبيراً ، كغيرها من القراءات .

(٤) الارتباط بأصولها يفوق قليلاً الارتباط بفرشها .

(٥) ارتبط بفرشها بشدة ، حفص عن عاصم .

(٦) ارتبط بفرشها نافع .

(٧) ارتبط بأصولها : شعبة عن عاصم ، وحفص عن عاصم ، والكسائى وخلف الكوفيان .

(٨) لعل السمات السابقة لتلك القراءة هى ما ورد بشأن وصفها على لسان أحد علماء القراءات ، حين وصـفها بأنها : « قراءة قياسية » ، بمعنى أنها تضع القاعدة ، ثم تسير عليها فى جميع القرآن .

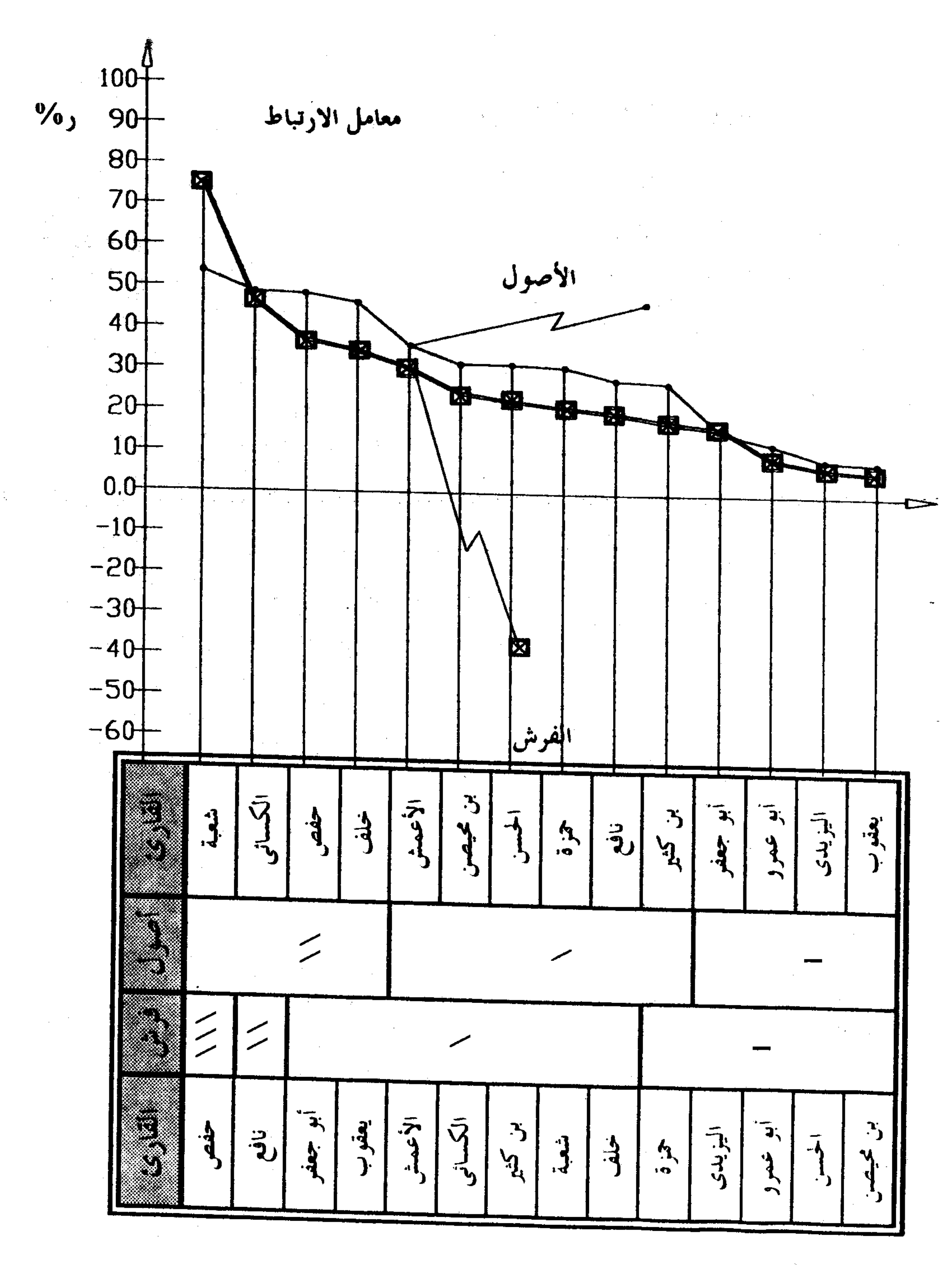

شكل (٢٤) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات بن عامر بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات الأعمش نحو القرّاء الأربعة عشر : شكل (٢٥)

(١) اتجاهات الأعمش فى الكوفة سار عليها – وبالتزام شديد – باقى قرّاء الكوفة الثلاثة من بعده ، حمزة والكسائى وخلف ، فلم يخرجوا جميعهم عن اتجاهاته إلا قليلا ، هنا أو هناك . يلاحظ ذلك من تشابه شكل المنحنيات على الفرش أو على الأصول ، فهو بحق مؤسس قراءة ابن مسعود فى الكوفة ، بملامحها المتميزة .

(٢) من أبرز هذه السمات ، اتفاقهم على « منافس تقليدى » – هو مدرسة المدينة بخاصة ، والحجاز (المدينة ثم مكة) بعامة .

(٣) ومن سماتها أيضًا ، اتخاذهم رواية شعبة عن عاصم عن زر ، حليفًا قويًّا يرتبطون – جميعهم – بحروفه – حين يخالفون اختيارات الآخرين ، وبنفس النسبة فى الأصول والفرش على السواء .

(٤) ومن سماتها أيضا تدرج معارضتهم – داخل مدرسة المدينة – فهى أشد ما تكون لأصول أبى جعفر ، يليها أصول نافع ، ثم أصول ابن كثير المكى ، ثم معارضة الفرش بنفس الترتيب تقريبًا .

(٥) ومن سماتهم أيضًا موافقتهم أصـول الحسن البصرى ثم ابن عامر ، أو العكس .

(٦) ترتيبهم فى التعصب لاختياراتهم كالتالى : حمزة ، ثم الكسائى ، ثم الأعمش ، ثم خلف .

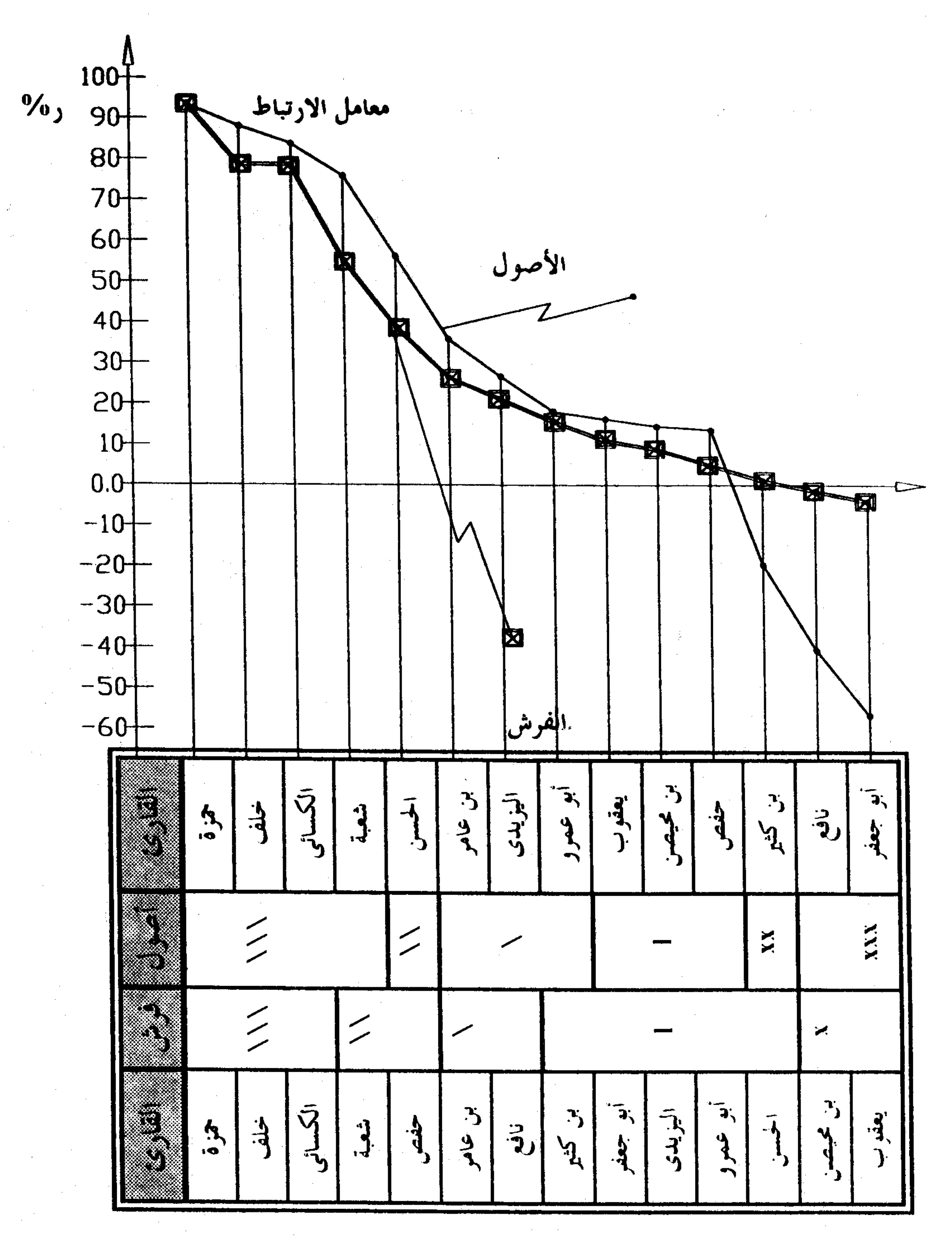

شكل (٢٥) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات الأعمش بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات حمزة ، قارىء الكوفة ، نحو القرّاء الأربعة عشر : شكل (٢٦)**

(١) أكبر المتشددين لقراءة الكوفة ، ورث تعصبه لقراءته عن الأعمش ، وورثها الأعمش عن ابن مسعود (رضى الله عنه) ، وكما أسلفنا القول .

(٢) عارض بشدة اختيارات أبى جعفر فى الأصول .

(٣) عارض اختيارات نافع وابن كثير فى الأصول .

(٤) عارض اختيارات الحسن البصرى وأبى جعفر فى الفرش .

(٥) وافق بشدة اختيارات استاذه الأعمش ، فرشًا وأصولاً .

(٦) وافقه بشدة من تلاه من قرّاء الكوفة ، الكسائى وخلف ، فرشًا وأصولاً .

(٧) وافق بشدة اختيار شعبة عن عاصم فى الأصول ، ووافقه فى الفرش .

(٨) وافق على أصول الحسن البصرى ، متابعًا الأعمش .

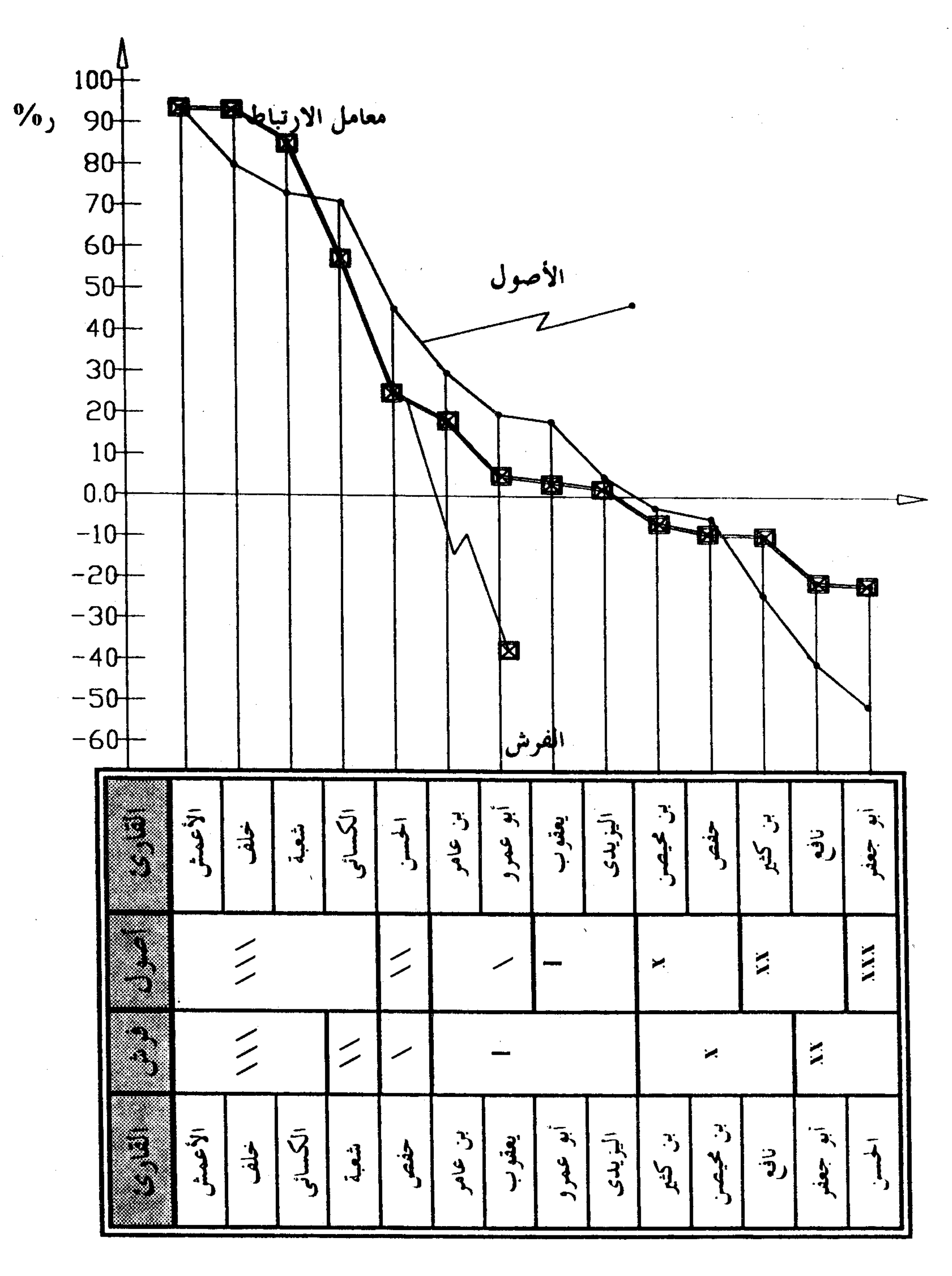

شكل (٢٦) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات حمزة بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات الكسائى- مقرىء الكوفة - نحو القرَّاء الأربعة عشر : شكل (٢٧)**

(١) اتجاهاته بصفة عامة هى نفس اتجاهات من سبقوه – قرَّاء الكوفة ، من معارضة اختيارات أهل الحجاز ، وشدة الارتباط بأهل الكوفة وشعبة عن عاصم ، إلا أنه فى محاولة منه لتكوين شخصية مستقلة لمذهبه فى القراءة ، فقد اتخذ الخطوات التالية :

(أ) اتجه نحو فرش حفص ، على حساب فرش شعبة ، مخالفًا بذلك اتجاه قرَّاء الكوفة جميعهم ، الأعمش وحمزة من قبله ، وخلف من بعده .

(ب) وقد جاء اقترابه من فرش حفص على حساب ابتعاده عن أصوله ، فكان أكثر ابتعاداً عن أصول حفص ، بالنسبة لباقى الكوفيين .

(ج) اقترب من أصول ابن عامر على حساب ابتعاده عن أصول الحسن ، وتابعه فى ذلك خلف ، مخالفا بذلك اتجاه من سبقوه ، الأعمش وحمزة .

(٢) وافق بشدة اختيارات الأعمش وحمزة وشعبة فى الأصول ، ووافقه بشدة خلف العاشر ، وعارض بشدة أصول أبى جعفر .

(٣) وافق بشدة على اختيارات الأعمش وحمزة فى الفرش ، ووافقه بشدة خلف .

(٤) فى الأصول ، وافق ابن عامر وعارض حفصًا ، وفى الفرش وافق حفصًا وعارض الحسن البصرى .

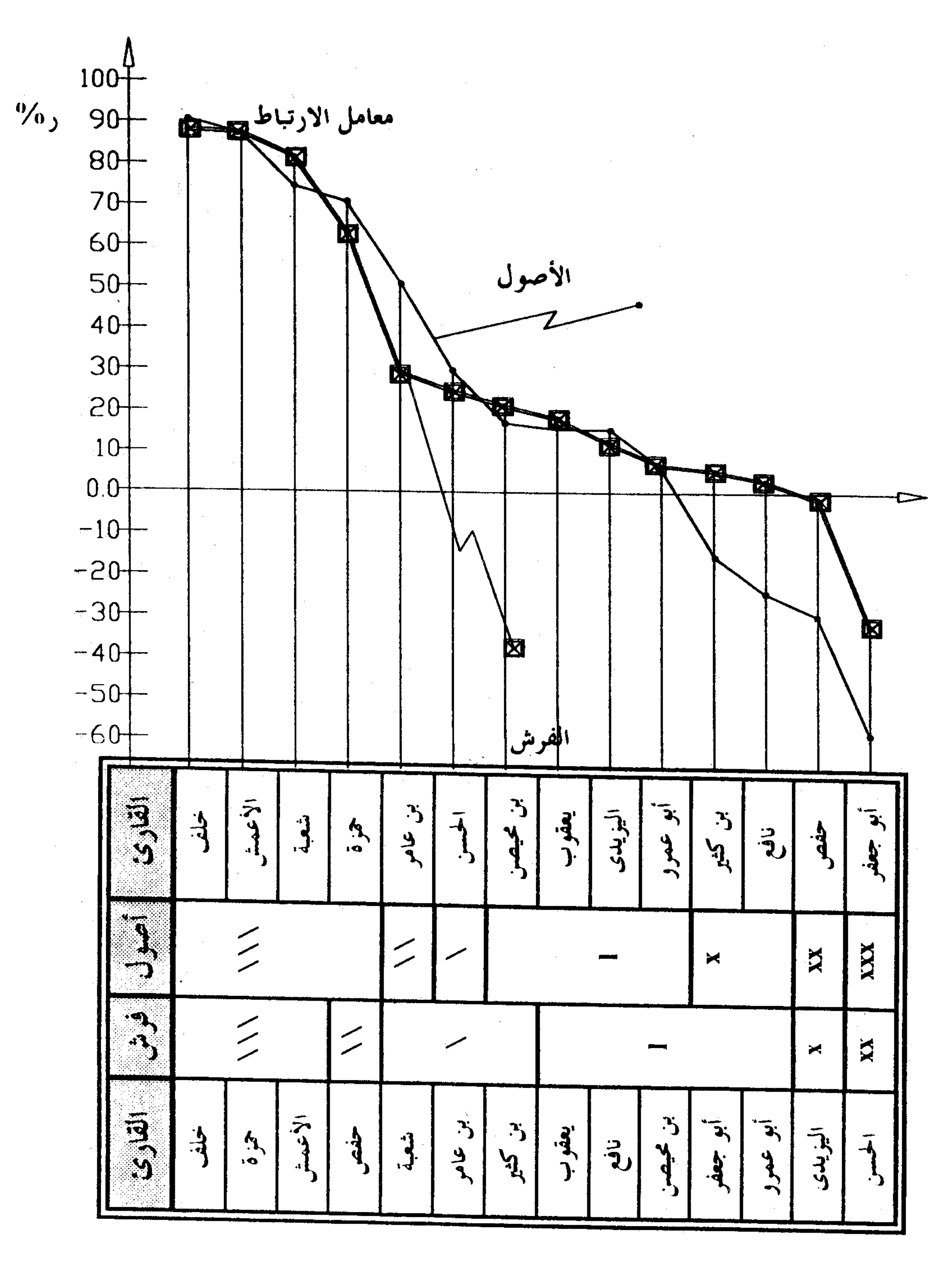

القارئ	خلف	الأعمش	شعبة	حمزة	بن عامر	الحسن	بن محيصن	يعقوب	اليزيدى	أبو عمرو	بن كثير	نافع	حفص	أبو جعفر
أصول	///				//	/	–				x		XX	XXX
فرش	///			//	/			–					x	XX
القارئ	خلف	حمزة	الأعمش	حفص	شعبة	بن عامر	بن كثير	يعقوب	نافع	بن محيصن	أبو جعفر	أبو عمرو	اليزيدى	الحسن

شكل (٢٧) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات الكسائى بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* **اتجاهات خلف نحو القرَّاء الأربعة عشر : شكل (٢٨)**

(١) اختيارات خلف جاءت الأكثر اعتدالاً بين أعضاء مدرسة الكوفة ، فقد قلل إلى حد كبير من حدة التعارض فى الاختيارات مع معظم مدارس القراءات الأخرى – فرشًا وأصولاً – وإن اقتصرت معارضته على مدرسة المدينة .

(٢) عارض بشدة أصول أبى جعفر ونافع .

(٣) وافق بشدة اختيارات الكوفيين السابقين عليه – فرشًا وأصولاً وهم الأعمش وحمزة والكسائى .

(٤) وافق بشدة على أصول شعبة عن عاصم .

(٥) وافق على فرش عاصم براوييه حفص وشعبة ، وإن كان أكثر ميلاً لاختيارات شعبة – وهذا طبيعى .

(٦) تابع الكسائى فى ميله لأصول ابن عامر على حساب أصول الحسن البصرى .

(٧) فى الفرش ، كان يميل لمعارضة أبى جعفر والحسن .

(٨) بصفة عامة ، اهتم خلف بزيادة ارتباطه بفرش باقى القرَّاء ، بأكثر مما اهتم بالتقارب فى الأصول ، وإن جاءت اختياراته على قدر كبير من الانسجام والانسيابية ، استحق بها أن يدخله ابن الجزرى فى العشرة .

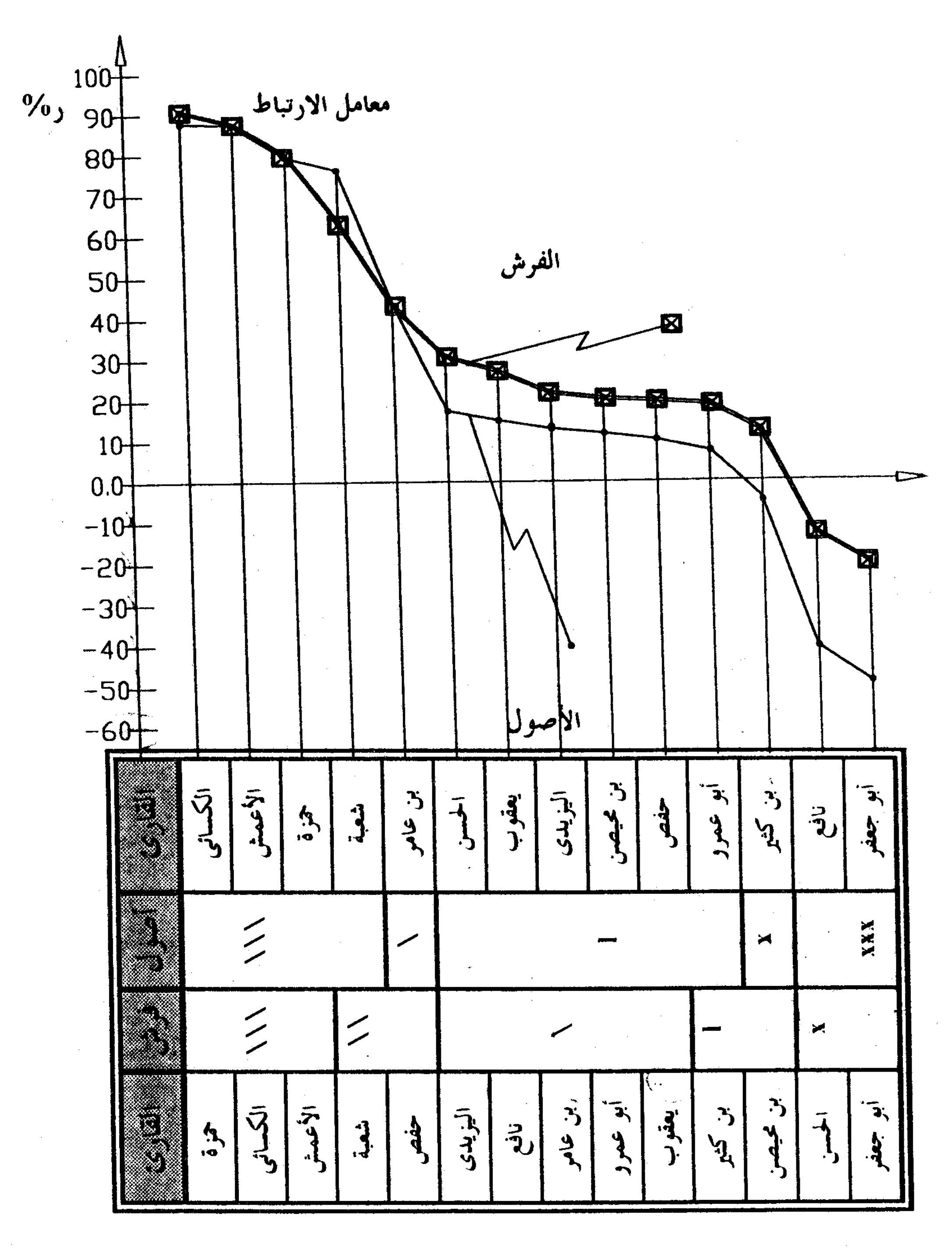

شكل (٢٨) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات خلف بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* **اتجاهات شعبة عن عاصم نحو القرّاء الأربعة عشر : شكل (٢٩)**

(١) على الرغم من أن شعبة وحفصاً – وهما راويا قراءة عاصم – قد اتفقا بشدة فرشًا وأصولاً بنسب ارتباط ٩١ ٪ و ٨٢ ٪ على الترتيب ، إلا أن اختلافهما فى هذه النسبة الضئيلة من الحروف قد أعطى لكل رواية منهما مذاقًا متميزاً ، فجاءت الروايتان كما لو أنها قراءتان متمايزتان تمام التمايز .

(٢) فقد جاءت ارتباطات القرّاء بأصول شعبة متفوقة بطريقة ملحوظة على ارتباطاتهم بأصول حفص .

(٣) وعلى العكس فى الفرش ، فقد اجتمع القرّاء من كافة الأمصار على فرش حفص ، وكأنه هو الفرش المرجع أوالفرش الإمام ، ونهلوا جميعًا من هذا الفرش ، يدعمون به الثقة فى فرش حروفهم .

(٤) تكاد رواية شعبة أن تكون صورة من قراءة الكوفيين ، وإن جنحت للاعتدال . فقد عارض شعبة بشدة أصول أبى جعفر ، كما عارض أصول نافع أيضًا .

(٥) وافق شعبة بشدة على أصوله ، الكوفيون الأربعة ، وحفص .

(٦) وافق شعبة بشدة على فرش حفص ، ووافقه على فرشه من الكوفة : الأعمش وحمزة وخلف ، ومن المدينة : نافع ، ومن مكة : ابن محيصن .

(٧) وافق شعبة على أصول ابن عامر الشامى والحسن البصرى ، ووافقه يعقوب .

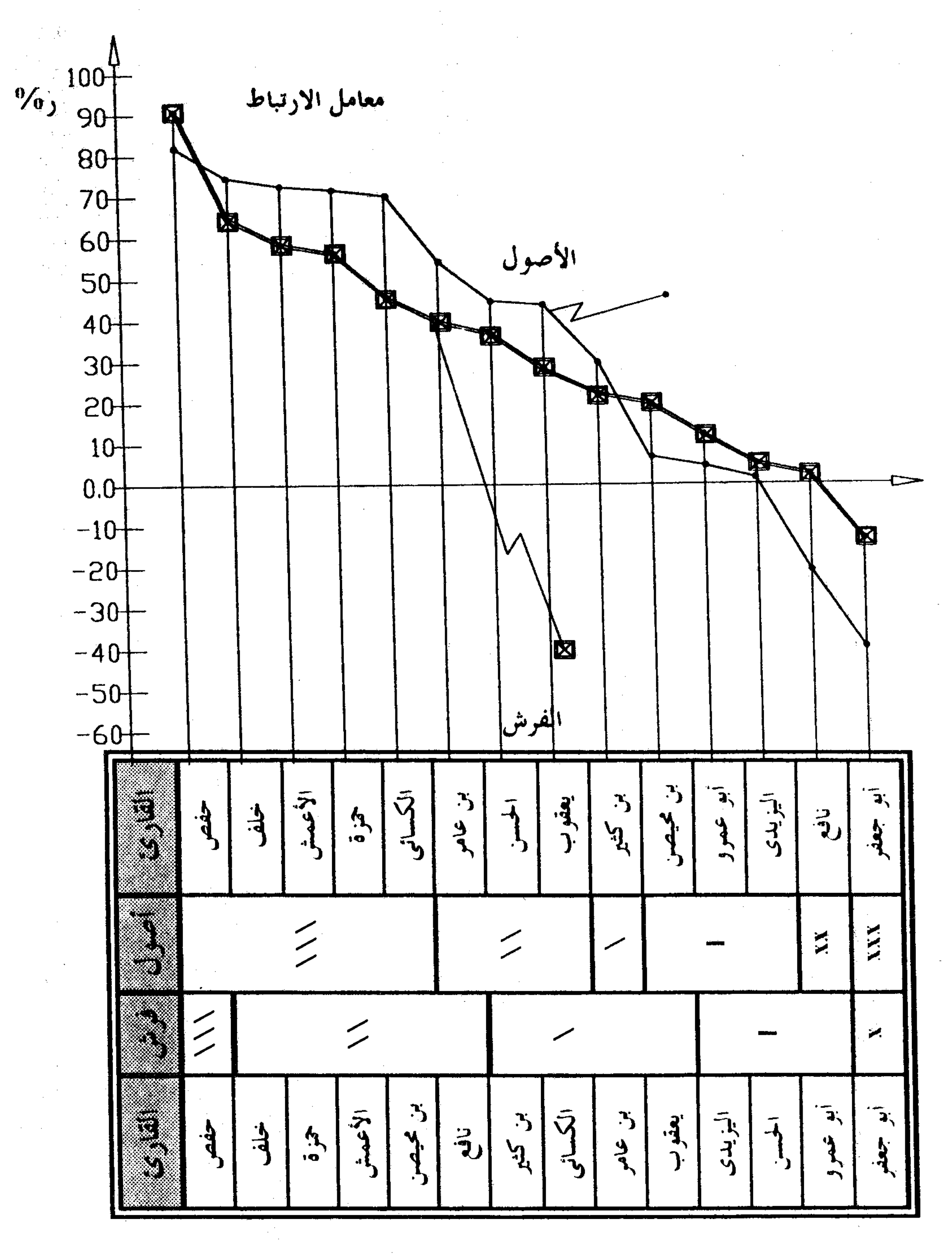

شكل (٢٩) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات شعبة (عن عاصم) بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات حفص عن عاصم نحو القرّاء الأربعة عشر : شكل (٣٠)**

(١) فرشه هو الأشهر على الإطلاق ، أما أصوله فقد تحفظ عليها معظم القراء ، وبمراجعة الشكل (٣٠) ، فإنك تلاحظ المسافة الكبيرة بين المنحنى العلوى الذى يمثل معاملات ارتباط القراء بفرش حفص ، والمنحنى السفلى الذى يمثل معاملات ارتباطهم بأصوله ٠

(٢) لا يوجد قارىء واحد عارض بشدة ، أو عارض ، أو حتى كان يميل لمعارضة فرش حفص ٠

(٣) عارض أصول عاصم كل من الكسائى وأبو عمرو وتلميذه اليزيدى ، وكان يميل إلى معارضته الحسن البصرى ويعقوب البصرى وحمزة ٠

(٤) وافق كل من نافع وابن عامر على أصول حفص ، وكان أبو جعفر يميل لموافقتها ٠

(٥) وافق شعبه وابن عامر الشامى بشدة على فرش حفص ٠

(٦) هناك علاقة قوية بين حفص وبين ابن عامر الشامى فرشًا وأصولاً ٠

(٧) وهناك علاقة قوية أيضًا بين حفص وبين نافع المدنى فرشًا وأصولاً ٠

(٨) يلى ابن عامر ونافع فى ارتباطهما القوى بحفص ، أبو جعفر المدنى ٠

(٩) بصفة عامة : فإن رواية حفص كانت الأقرب إلى الشام والمدينة ، فرشًا وأصولاً ، على حين أن رواية شعبة كانت الأقرب إلى الكوفة ٠

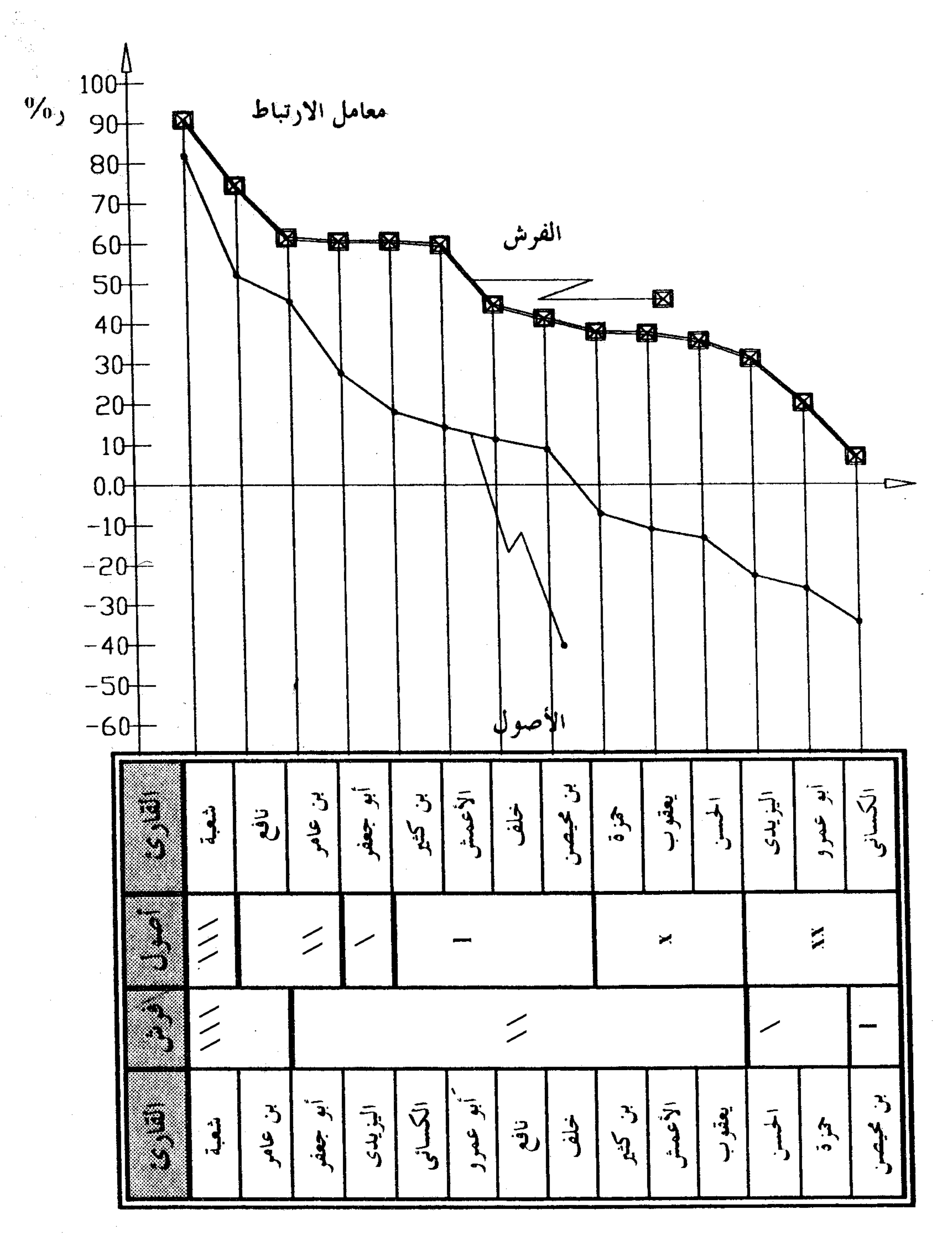

شكل (٣٠) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات حفص (عن عاصم) بالنسبة للقراء الأربعة عشر

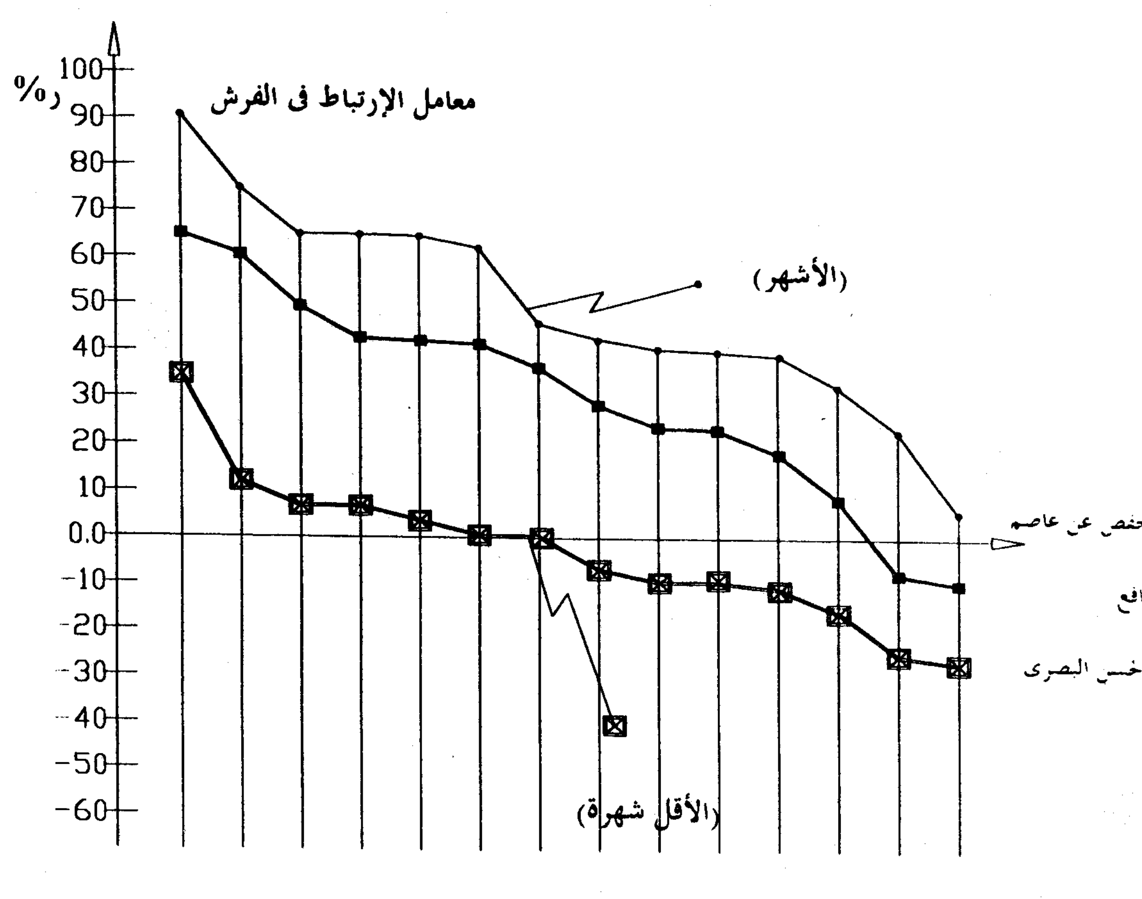

شكل (٣١) يوضح مراتب شهرة القراء فى فرش الحروف

(١) الفرش الأكثر قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هو فرش حفص عن عاصم (المنحنى العلوى).

(٢) الفرش الأقل قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هو فرش الحسن البصرى (المنحنى الأسفل).

(٣) يحتل فرش نافع مرتبة متوسطة فى الإشتهار و القبول عند جمهور القراء.

(٤) تتراوح إختيارات باقى القراء فى فرش حروفهم بين المنحنى العلوى و السفلى بدرجات مختلفة.

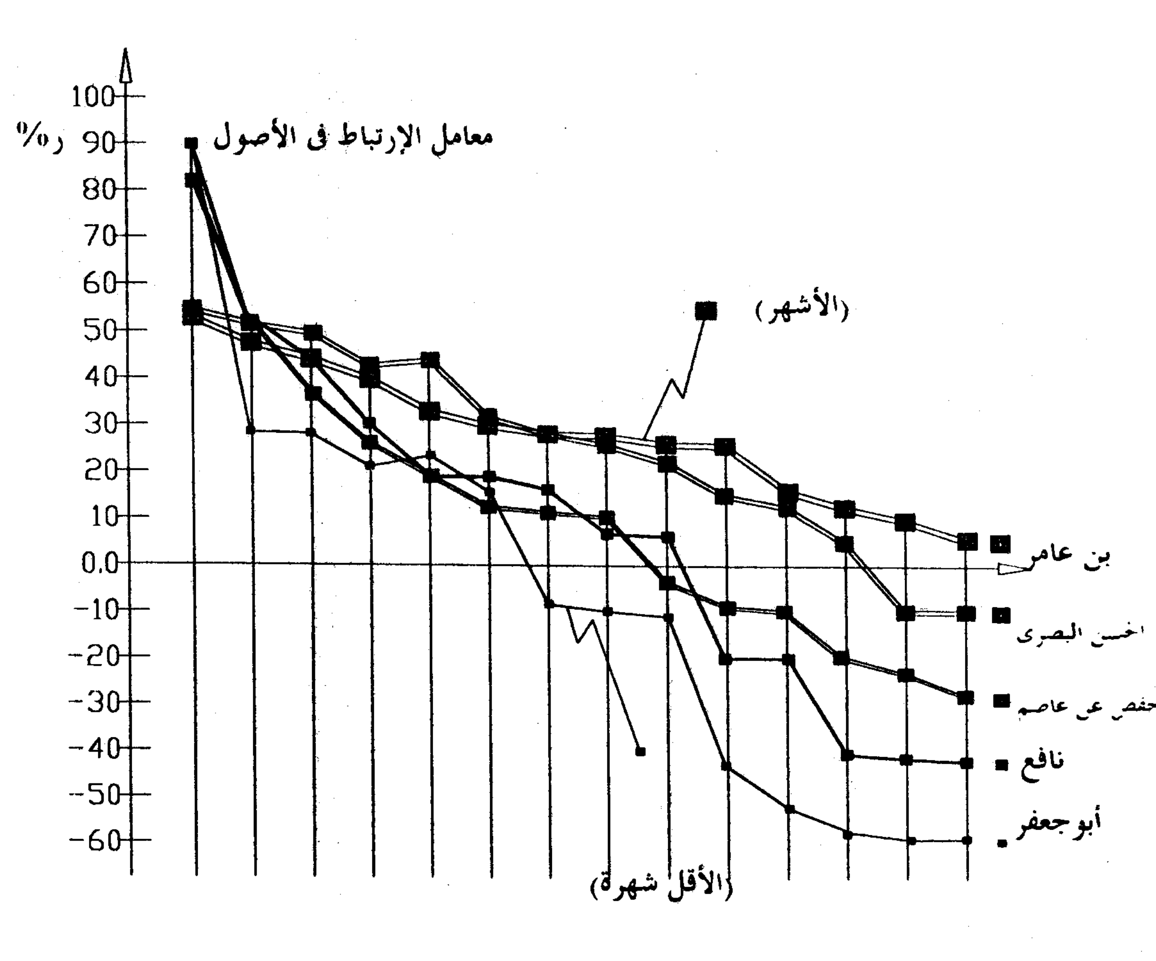

شكل (٣٢) يوضح مراتب شهرة القراء فى أصول القراءة

(١) الأصول الأكثر قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هى أصول بن عامر الشامى و الحسن البصرى (المنحنيين العلويين).

(٢) الأصول الأقل قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هى أصول أبى جعفر المدنى (المنحنى الأسفل).

(٣) تحتل أصول حفص مرتبة متوسطة فى الإشتهار و القبول عند الجمهور(المنحنى الأوسط).

(٤) تتراوح إختيارات باقى القراء فى الأصول بين المنحنى العلوى و السفلى بدرجات مختلفة.

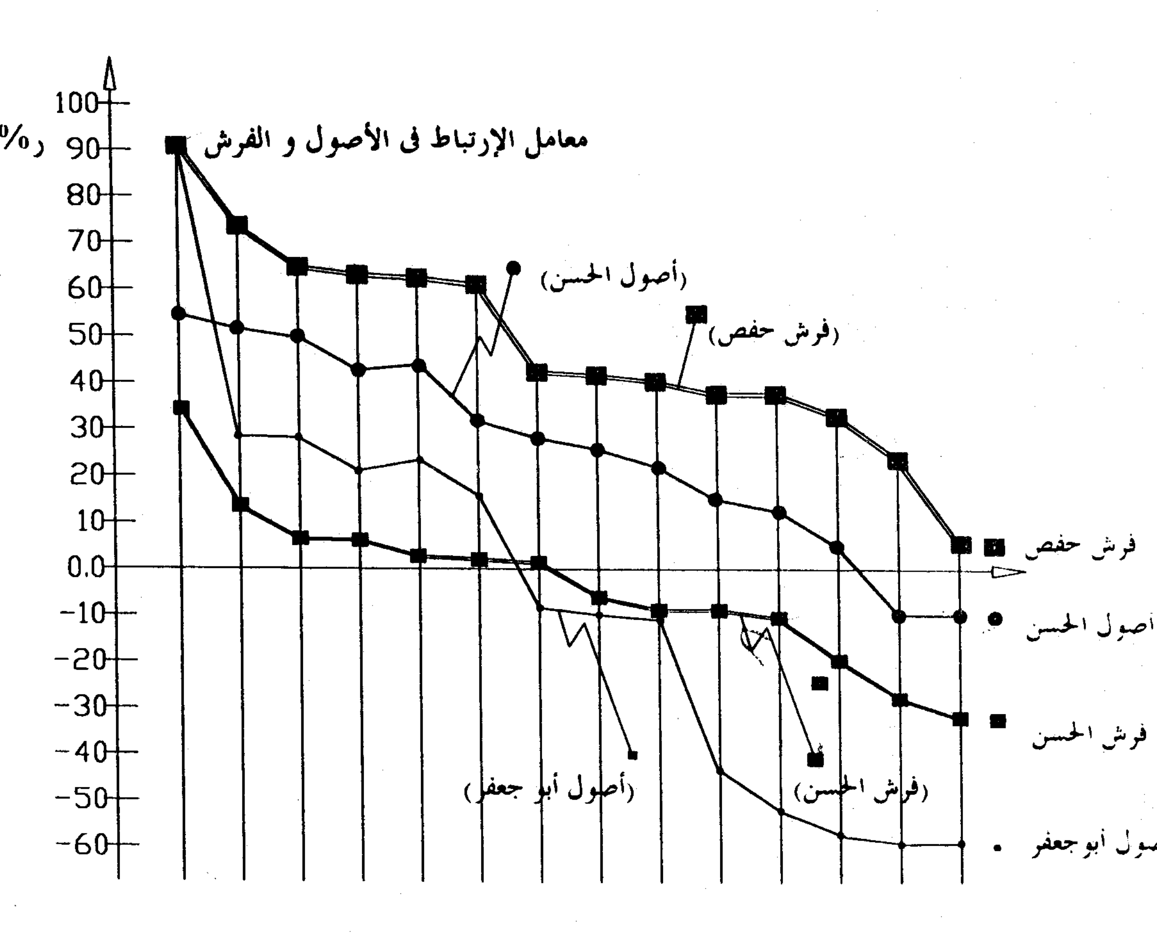

شكل (٣٣) يوضح تفوق إتفاق القراء فى الفرش على إتفاقهم فى أصول القراءة

(١) إتفق جمهور القراء فى الفرش بدرجة أكبر من إتفاقهم على الأصول. فالمنحنى العلوى يمثل إتفاقهم على فرش حفص الأشهر، و المنحنى الثانى من أعلى يمثل إتفاقهم على أصول الحسن الشهيرة المتلقاة عندهم بالقبول إلى جانب أصول بن عامر التى تكاد تنطبق عليها.

(٢) الحد الأدنى لإتفاق جمهور القراء علي الفرش – وهو فرش الحسن – أعلى إرتباطا من الحد الأدنى لإتفاقهم على أصول أبي جعفر و يمثلها المنحنى السفلى.

اتجاهات كل من مدارس القراءات نحو اختيارات باقي القرّاء بالأمصار فرشا وأصولاً .

*** اتجاهات مدرسة المدينة فى القراءة (أبو جعفر - نافع) .**

نحو اختيارات جمهور القرّاء فى الأصول : شكل (٣٤)

(١) يتفق عضوى المدرسة مع بعضها بشدة فى الأصول بمعامل ارتباط ٩٠٪ .

(٢) يتفق المدنيان مع أصول حفص بمعامل ارتباط ٤١ ٪ .

(٣) يرفض الكوفيون : الأعمش وحمزة وخلف بشدة أصول المدنيين .

(٤) يرفض الكسائى الكوفى وشعبة الكوفى عن عاصم أصول المدنيين .

(٥) يقف المدنيان على الحياد من أصول الحسن البصرى وابن محيصن المكى .

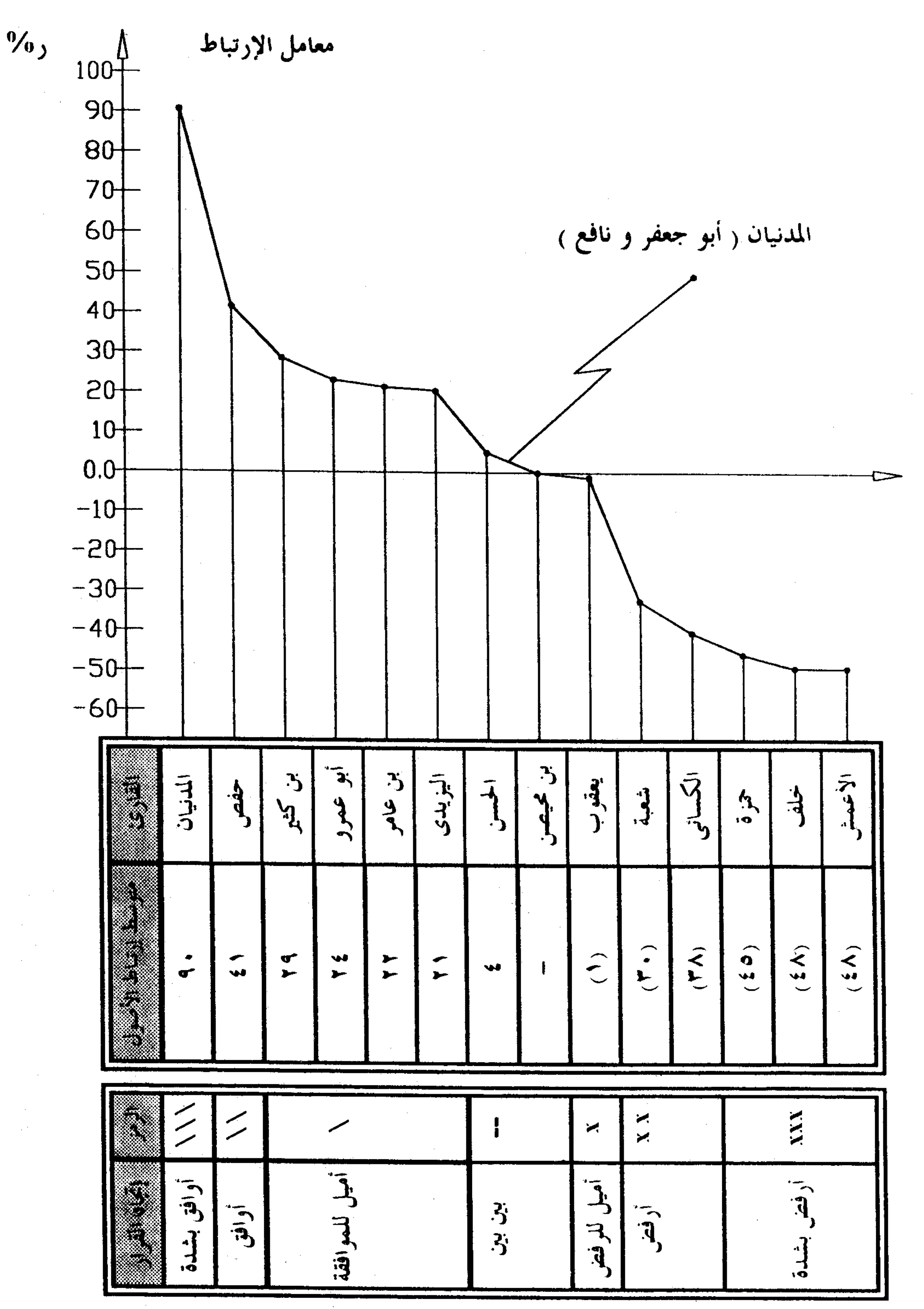

القارئ	متوسط ارتباط الأصول
المدنيان	٩٠
حفص	٤١
بن كثير	٢٩
أبو عمرو	٢٤
بن عامر	٢٢
اليزيدى	٢١
الحسن	٤
بن محيصن	–
يعقوب	(١)
شعبة	(٣٠)
الكسائى	(٣٨)
حمزة	(٤٥)
خلف	(٤٨)
الأعمش	(٤٨)

الرمز	إتجاه القرار
///	أوافق بشدة
//	أوافق
/	أميل للموافقة
=	بين بين
X	أميل للرفض
XX	أرفض
XXX	أرفض بشدة

شكل (٣٤) يوضح إتجاهات المدنيين نحو إختيارات باقى القراء الأربعة عشرفى أصول القراءة

*** اتجاهات مدرسة المدينة فى القراءة (أبو جعفر - نافع)**

نحو اختيارات جمهور القرَّاء فى فرش الحروف : شكل (٣٥) .

(١) يرتبط نافع بفرش أبى جعفر - وهما المدنيان - بدرجة أوافق ، وهى درجة فى الارتباط أقل من أوافق بشدة التى كانا عليها فى الأصول .

وبلغ معامل ارتباطهما فى الفرش ٥٩ ٪ فقط ، مقارنًا بمعامل ارتباط فى الأصول بلغ ٩٠ ٪ .

(٢) معنى ذلك ، أن نافعا قد أخذ جزءاً من فرش حروف أستاذه أبى جعفر ثم غادره لاختيارات من فرش حروف أخرى يكمل بها فرشه .

(٣) يوافق المدنيان على فرشهم : حفص ، وابن كثير المكى ، وابن عامر الشامى ، على الترتيب .

(٤) بينما وقف الكوفيون على الحياد من فرش المدنيين ، فإن حمزة الكوفى والحسن البصرى كانا يميلان إلى معارضة هذا الفرش بدرجة خفيفة .

(٥) ارتبط جمهور القرَّاء بفرش المدنيين بدرجة أكبر بكثير من ارتباطهم بأصولهما .

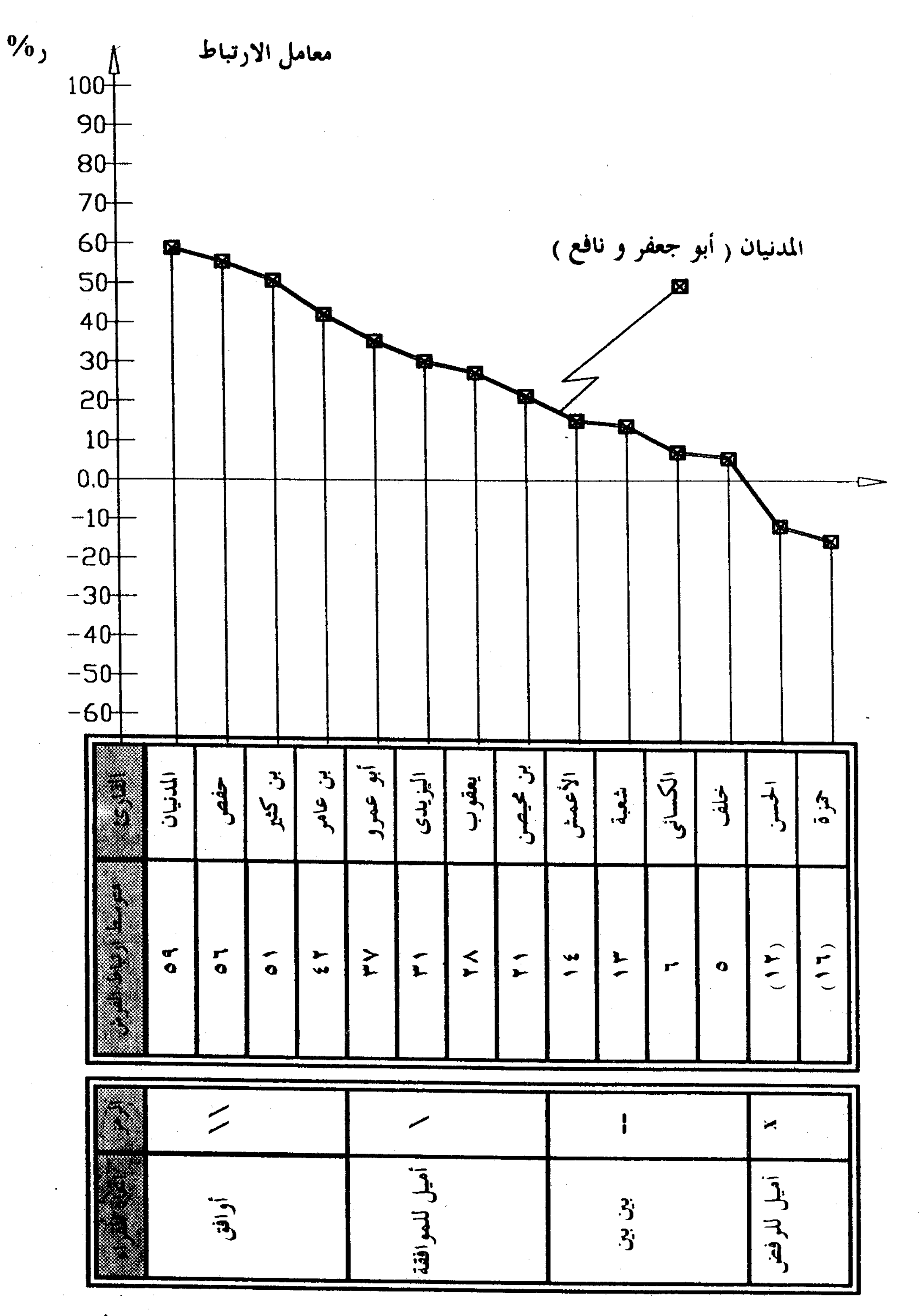

[illegible]	المدنيان	حفص	بن كثير	بن عامر	أبو عمرو	اليزيدى	يعقوب	بن محيصن	الأعمش	شعبة	الكسائى	خلف	الحسن	حمزة
[illegible]	٥٩	٥٦	٥١	٤٢	٣٧	٣١	٢٨	٢١	١٤	١٣	٣	٥	(١٢)	(١٦)

[illegible]	//	/	॥	x
[illegible]	أوافق	أميل للموافقة	بين بين	أميل للرفض

شكل (٣٥) يوضح اتجاهات المدنيين نحو اختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى فرش الحروف

*** اتجاهات مدرسة مكة فى القراءة (ابن كثير - ابن محيصن)**

نحو اختيارات جمهور القرَّاء فى الأصول : شكل (٣٦) :

(١) اتفق عضوا المدرسة المكية على أصولهما بمعامل ارتباط ٨٢ ٪ ، بدرجة أوافق بشدة .

(٢) لم يوافق المكيان على أصولهما أى قارىء بدرجة أوافق بشدة ، أو حتى بدرجة أوافق . وهذا يعنى أن أصولهما وإن لم تثر الاعتراض عليها ، إلا أنها لم تجذب المدارس الأخرى ، فجاءت فى أغلبها أصولاً محايدة ، بدرجة ارتباط (بين بين) بينها وبين باقى القرَّاء فى الأمصار ، فلاهم عارضوها ، ولا هم وافقوها بدرجة مقبولة .

(٣) جاء الكوفيون الأربعة على رأس المتحفظين على أصول المكيين ، وإن لم يعارضوها بشدة كما عارضوا أصول المدينة .

(٤) جاء البصريون على رأس الذين يميلون للأخذ بأصول المكيين ، وإن لم تتعد درجة ارتباطهم بها : أميل للموافقة فقط . وهى أدنى درجات الموافقة .

(٥) هكذا قسمت الأصول المكية العراقيين إلى قسمين : البصرة إلى جوارها ، والكوفة بعيداً عنها .

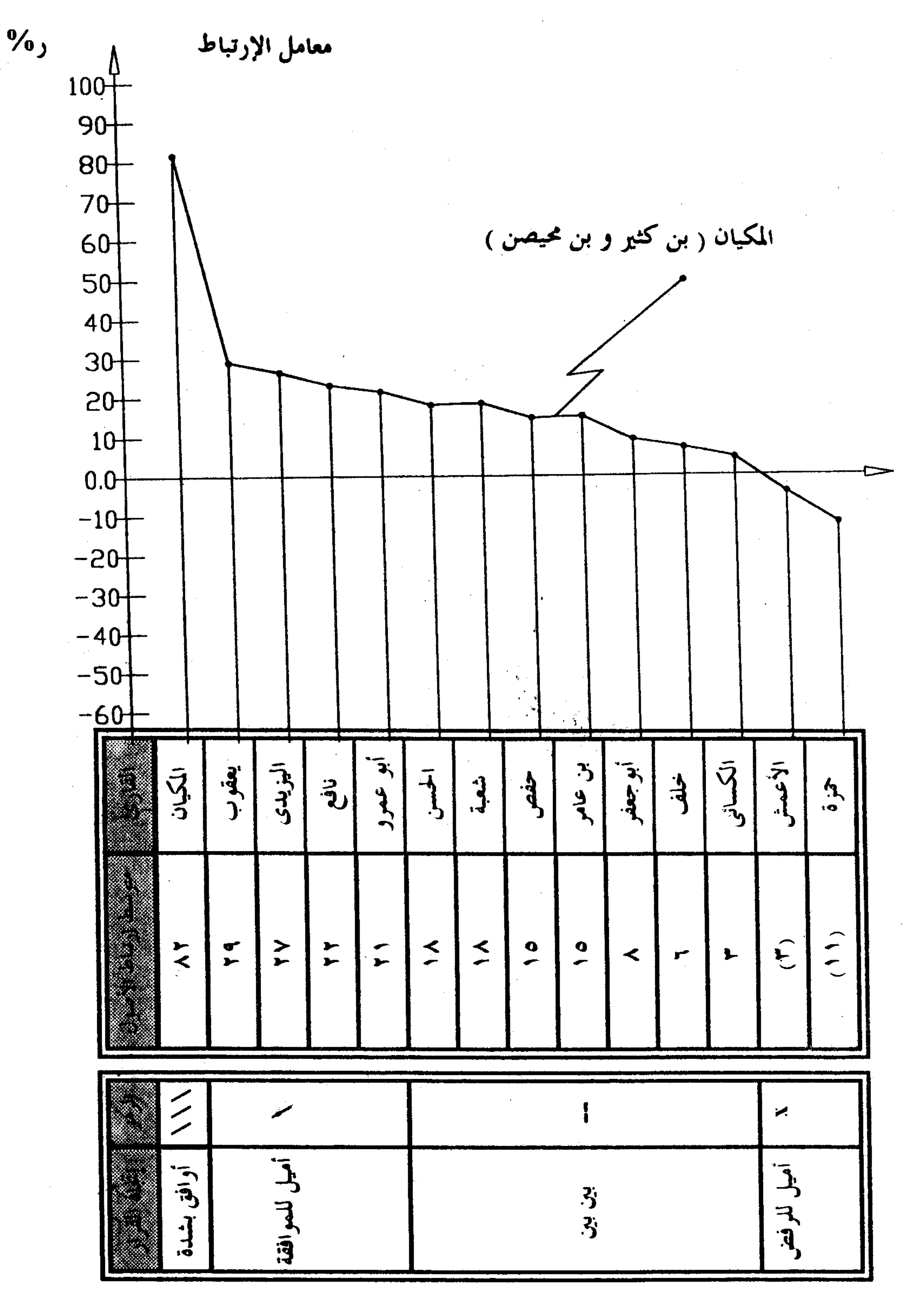

المكيان	يعقوب	اليزيدى	نافع	أبو عمرو	الحسن	شعبة	حفص	بن عامر	أبو جعفر	خلف	الكسائى	الأعمش	حمزة
٨٢	٢٩	٢٧	٢٢	٢١	١٨	١٨	١٥	١٥	٨	٩	٦	(٦)	(١١)

///	/	---	x
أوافق بشدة	أميل للموافقة	بين بين	أميل للرفض

شكل (٣٦) يوضح إتجاهات المكيين نحو إختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى أصول القراءة

*** اتجاهات مدرسة مكة فى القراءة (ابن كثير - ابن محيصن)**

نحو اختيارات جمهور القرّاء فى فرش الحروف : شكل (٣٧)

(١) اتفق عضوا المدرسة المكية على فرش حروفها بمعامل ارتباط ٨٦ ٪ ، وبدرجة أوافق بشدة .

(٢) ارتبط جمهور القرّاء بفرش المكيين بدرجة أكبر بكثير من ارتباطهم بأصولهما .

(٣) ارتبط جمهور القرّاء بأصول المكيين بدرجه أكبر من ارتباطهم بأصول المدنيين .

(٤) وافق المكيين بشدة على فرش حروفهم : أبو عمرو قارىء البصرة . وليس هذا بمستغرب ، إذا أنه تتلمذ عليهما وعلى أساتذتهما أيضا ، وخصوصًا مجاهد بن جبر المكى تلميذ ابن عباس . فإلى ابن عباس إذن ، ينتهى فرش المكيين والبصرى وأصولهم أيضًا .

(٥) وافق المكيين على فرشهم أيضا : اليزيدى (البصرى) ونافع (المدنى) ومال إلى معارضتهم الحسن وحمزة .

(٦) وقف الكوفيون على الحياد من فرش مكة .

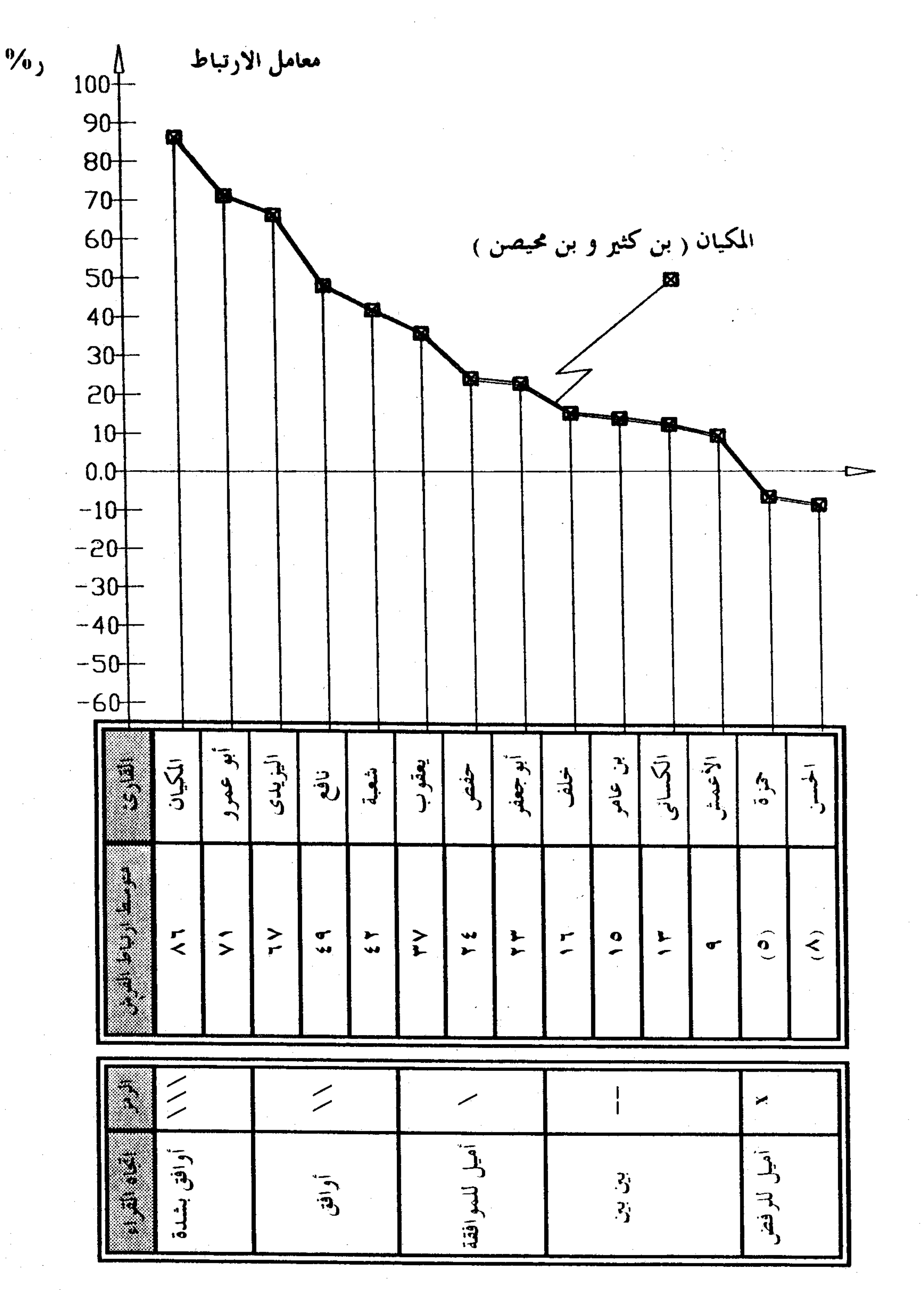

القارئ	متوسط ارتباط الفرش
المكيان	٨٦
أبو عمرو	٧١
اليزيدى	٦٧
نافع	٤٩
شعبة	٤٢
يعقوب	٣٧
حفص	٢٤
أبو جعفر	٢٣
خلف	١٦
بن عامر	١٥
الكسائى	١٣
الأعمش	٩
حمزة	(٥)
الحسن	(٨)

اتجاه القراء	الرمز
أوافق بشدة	///
أوافق	//
أميل للموافقة	/
بين بين	--
أميل للرفض	x

شكل (٣٧) يوضح اتجاهات المكيين نحو اختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى فرش الحروف

*** اتجاهات مدرسة البصرة فى القراءة (أبو عمرو - اليزيدى)**

نحو اختيارات جمهور القرّاء فى الأصول : شكل (٣٨)

(١) تكاد مدرسة البصرة أن تكون نسخة من مدرسة مكة ، فى اختياراتها أصولاً وفرشًا على السواء . فالمنحنيات تكادتتطابق على بعضها .

(٢) وأهم ما يميز المدرستين (مكة - البصرة) ، هو عدم الحدة فى الاختلافات بينها وبين باقى مدارس القراءة ، فرشًا أو أصــولاً فلا تجــد من القرّاء أو المدارس من يرتبط بأى منهما بشدة ، أو يعارض أى منهما بشدة أيضاً .

ولعل تلك السمة قد انعكست عليهما من شيخهما المشترك : ابن عباس الذى لم يشتهر عنه التطرف أو التعصب لرأيه أو قراءته كما اشتهر ذلك عن شيخى المدرستين المتعارضتين : المدينة وشيخها أبى بن كعب ، والكوفة وشيخها ابن مسعود .

ويبدو أن ذلك هو السر وراء أستبعادهـما من لجنة كتابة المصحف الإمام .

(٣) ارتبط البصريان بشدة على الأصــول بمعامل ارتباط مرتفع للغاية : ٩٧ ٪ .

(٤) أخذ البصريان أصولهما - على الأغلب - من الحسن البصرى بمعامل ارتباط ٥١ ٪ .

(٥) رفض البصريان أصول عاصم براوييه : حفص وشعبة ، وابن عامر الشامى الذى وافق عاصم على أصوله : التى هى أصــول عثمان بن عفان على ما يبدو .

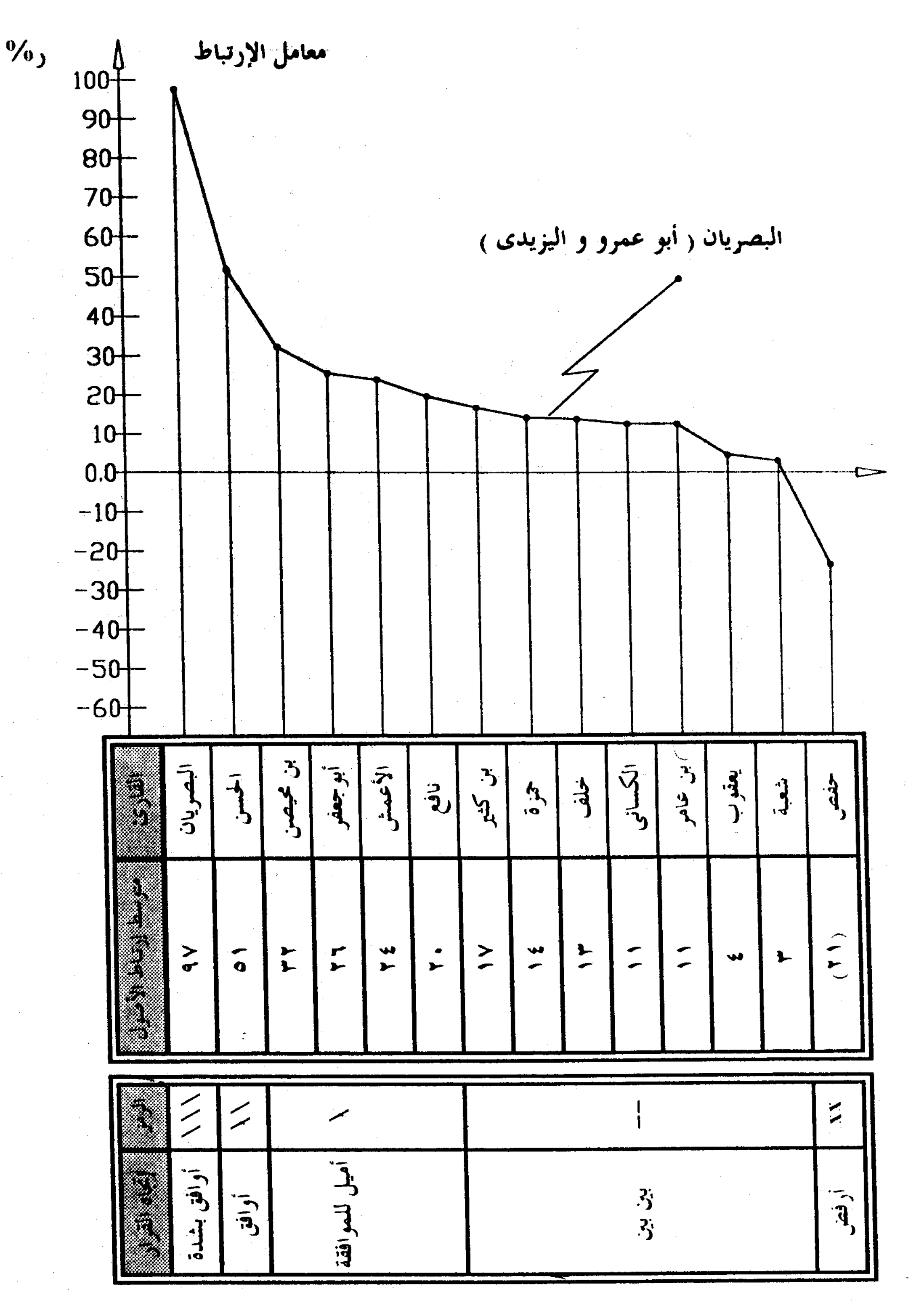

القارئ	البصريان	الحسن	ابن محيصن	أبو جعفر	الأعمش	نافع	ابن كثير	حمزة	خلف	الكسائى	ابن عامر	يعقوب	شعبة	حفص
متوسط إرتباط الأصول	٩٧	٥١	٣٢	٢٦	٢٤	٢٠	١٧	١٤	١٣	١١	١١	٤	٣	(٢١)

الرمز	///	//	/	- -	\\\
إتجاه القرار	أوافق بشدة	أوافق	أميل للموافقة	بين بين	أرفض

شكل (٣٨) يوضح إتجاهات البصريين نحو إختيارات باقى القراء الأربعة عشرفى أصول القراءة

*** اتجاهات مدرسة البصرة فى القراءة (أبو عمرو - اليزيدى)**

نحو اختيارات جمهور القرّاء فى فرش الحروف : شكل (٣٩) .

(١) ارتبط الجمهور بفرش أهل البصرة بأكثر مما ارتبطوا بأصولهم ، تمامًا كما هو الحال مع أهل مكة .

(٢) اتفق البصريان بشدة على فرش حروفهما بمعامل ارتباط : ٩٦٪ .

(٣) وافق البصريان بشدة على فرش ابن كثير المكى، فارتبطا به بمعامل ارتباط قدره ٧٩ ٪ . ويعنى هذا أن جذع فرش أبى عمرو هو فرش ابن كثير وقد تابعه تلميذه اليزيدى فى ذلك .

(٤) وافق البصريان على فرش حفص وابن محيصن المكى ونافع المدنى ، ووافقهما يعقوب البصرى .

(٥) لم يعارض واحد من القرّاء فرش البصريين ، مما اختارا لأنفسهما من الحروف ولكن بالرغم من ذلك ، فإن الارتباط لم يكن شديداً كما أسلفنا .

(٦) جاء الكوفيون بعامة فى مؤخرة الموافقين على اختيار البصريين .

وكأنما كان التنافس بين البصرة والكوفة تنافسًا معتدلاً ، وليس حادًّا كالتنافس بين المدنيين والكوفيين .

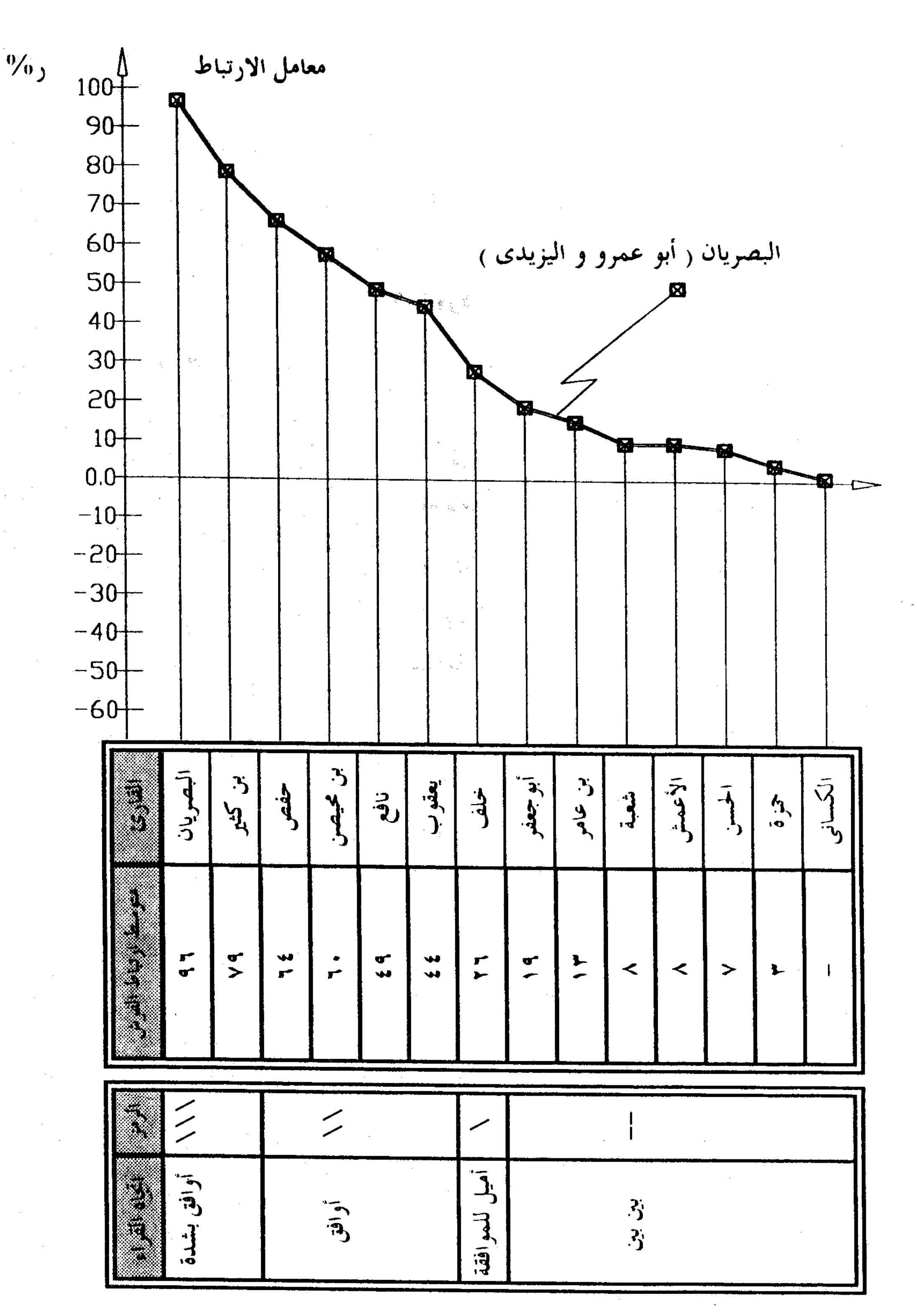

شكل (٣٩) يوضح اتجاهات البصريين نحو اختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى فرش الحروف

*** اتجاهات مدرسة الكوفة (الأعمش - حمزة - الكسائي - خلف)**
نحو اختيارات جمهور القرّاء في أصول القراءة : شكل (٤٠)

(١) تنتهي قراءة مدرسة الكوفة إلى ابن مسعود،فهم حاملو لواء حرفه ، ولكن في إطار رسم الكلمات كما وردت بالمصحف العثماني الإمام .

(٢) بلغ التوحد بين أعضاء المدرسة على أصولهم درجة عالية ، بمعامل ارتباط متوسط يقترب من ٩٠ ٪ .

(٣) وافقهم بشدة على أصولهم : شعبة راوى عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، فبلغ معامل ارتباطه بأصولهم - مما خالف فيه حفصاً - ٧٤٪ .
على حين بلغ معامل ارتباطهم برواية حفص : صفر ٪ في الأصول .

(٤) عارض أصولهم بشدة مدرسة المدينة فبلغ معامل ارتباط أبي جعفر بهم سالب (٥٥٪) ، تلاه نافع بمعامل ارتباط سالب (٣٥ ٪) .

ومعامل الارتباط السالب : يعبر عن التعارض ، وهو عكس الاتفاق في الاختيارات .

(٥) كان الكوفيون يميلون إلى أصول ابن عامر الشامي والحسن البصري ثم البصرة . وكانوا أبعد ما يمكن عن أصول المدينة ، يليها مكة (أي الحجاز) .

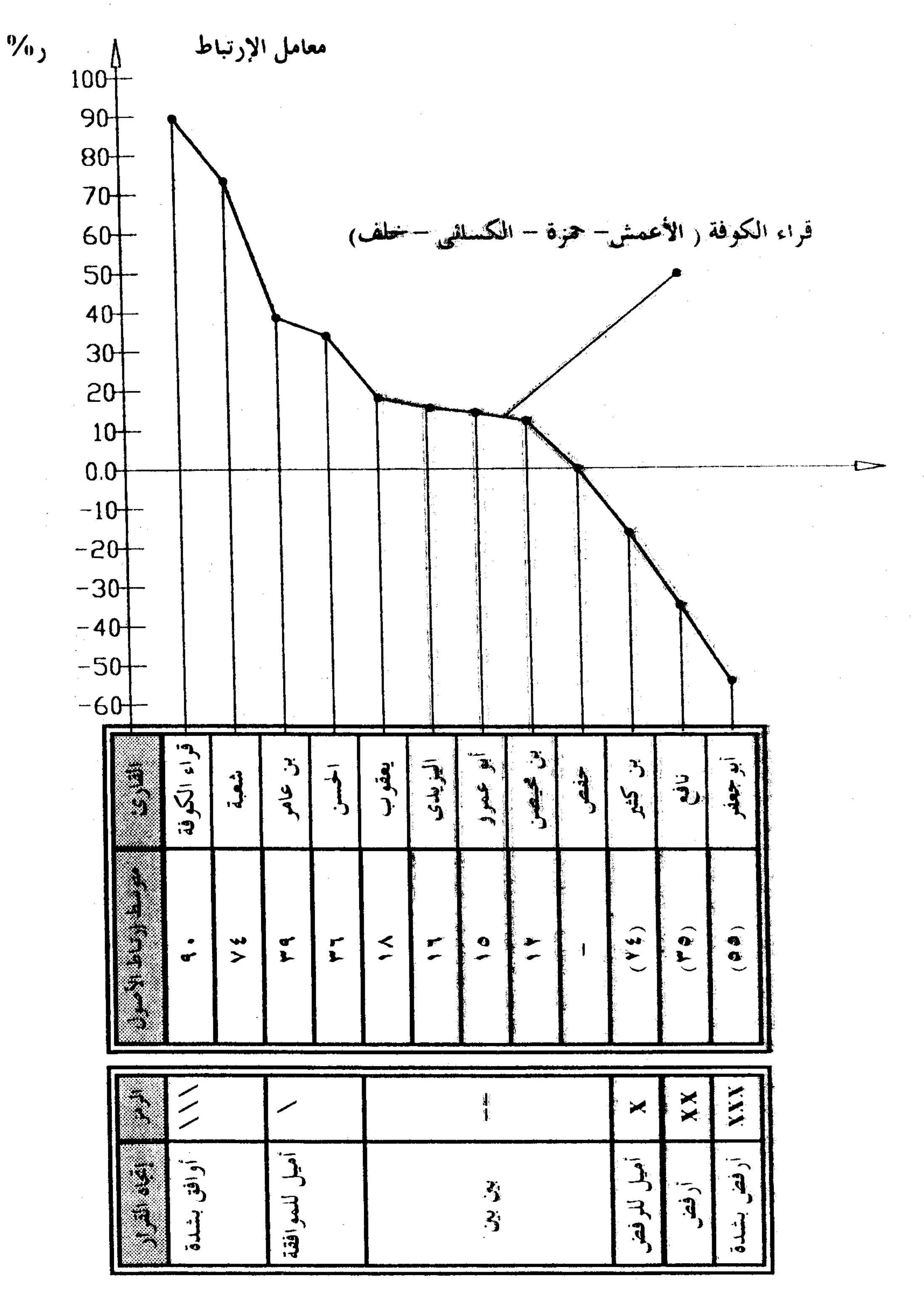

شكل (٤٠) يوضح إتجاهات قراء الكوفة نحو إختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى أصول القراءة

*** اتجاهات مدرسة الكوفة (الأعمش - حمزة - الكسائى - خلف)**

نحو اختيارات جمهور القرّاء فى فرش الحروف : شكل (٤١)

(١) بلغت درجة توحد أعضاء مدرسة الكوفة على فرش حروفهم ٨٨ ٪ .

(٢) وافقت مدرسة الكوفة على فرش عاصم براوييه : شعبة بنسبة ٥٣ ٪ ثم حفص بنسبة ٤٣٪ .

(٣) مال الكوفيون إلى معارضة فرش الحسن البصرى وأبى جعفر المدنى .

(٤) وقف الكوفيون على الحياد بالنسبة لاختيارات باقى القرّاء فى فرش الحروف .

(٥) يلاحظ هنا : أن الجرأة فى الاختلاف كانت فى الأصول أكثر منها فى اختيارات الفرش .

(٦) عندما تعلق الأمر بفرش الحروف ، نجد أن الكوفيين يهرعون إلى الاتفاق مع من اشتهر عنه الاتباع ، فنجدهم يقتربون من فرش : حفص ، وابن عامر ، ونافع ، وابن كثير ، وقد كانوا من قبل يعارضوهم فى الأصول بجرأة واضحة .

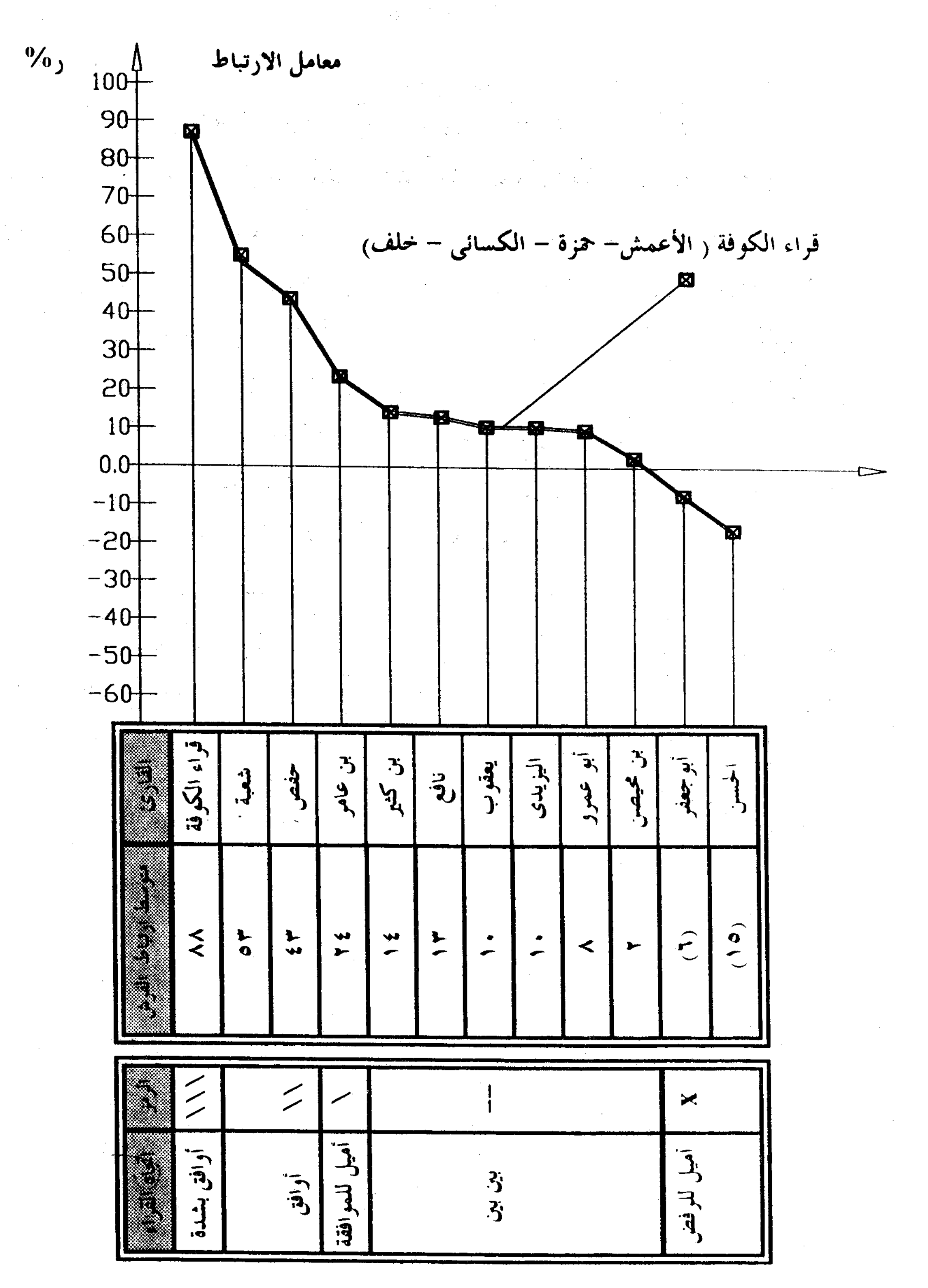

شكل (٤١) يوضح اتجاهات قراء الكوفة نحو اختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى فرش الحروف

* اتجاهات مدرسة عاصم براوييه (حفص - شعبة)

نحو اختيارات جمهور القرّاء في أصول القراءة : شكل (٤٢)

(١) بلغت نسبة التوحد بين روايتى حفص وشعبة عن عاصم فى الأصول نسبة ٨٢٪ وهى منخفضة نسبيًا عن نسبة توحدهم فى فرشه التى بلغت ٩١٪ .

ويعنى ذلك ، أن الاختلاف كان فى الأصول بأكثر مما ورد فى الفرش .

(٢) كانت أصول شعبة عن عاصم أكثر اشتهارًا وقبولاً لدى جمهور القرّاء فى الأمصار عن أصول حفص . والعكس صحيح فى الفرش .

(٣) وافقت أصول عاصم - فى المتوسط - أصول ابن عامر الشامى والأعمش وخلف الكوفيين ، تلاهما باقى الكوفيين .

(٤) جاء البصريون فى مؤخرة الموافقين على أصول عاصم .

(٥) لم ترد معارضة شديدة ، ولا حتى معارضة من أحد القرّاء لأصول عاصم ولكن البصريان كانا يميلان لمعارضة أصول حفص ، كما كان أبو جعفر يميل لمعارضة أصول شعبة - ومن هنا لم يكن البصريان وأبو جعفر يميلون لأصول عاصم على العموم .

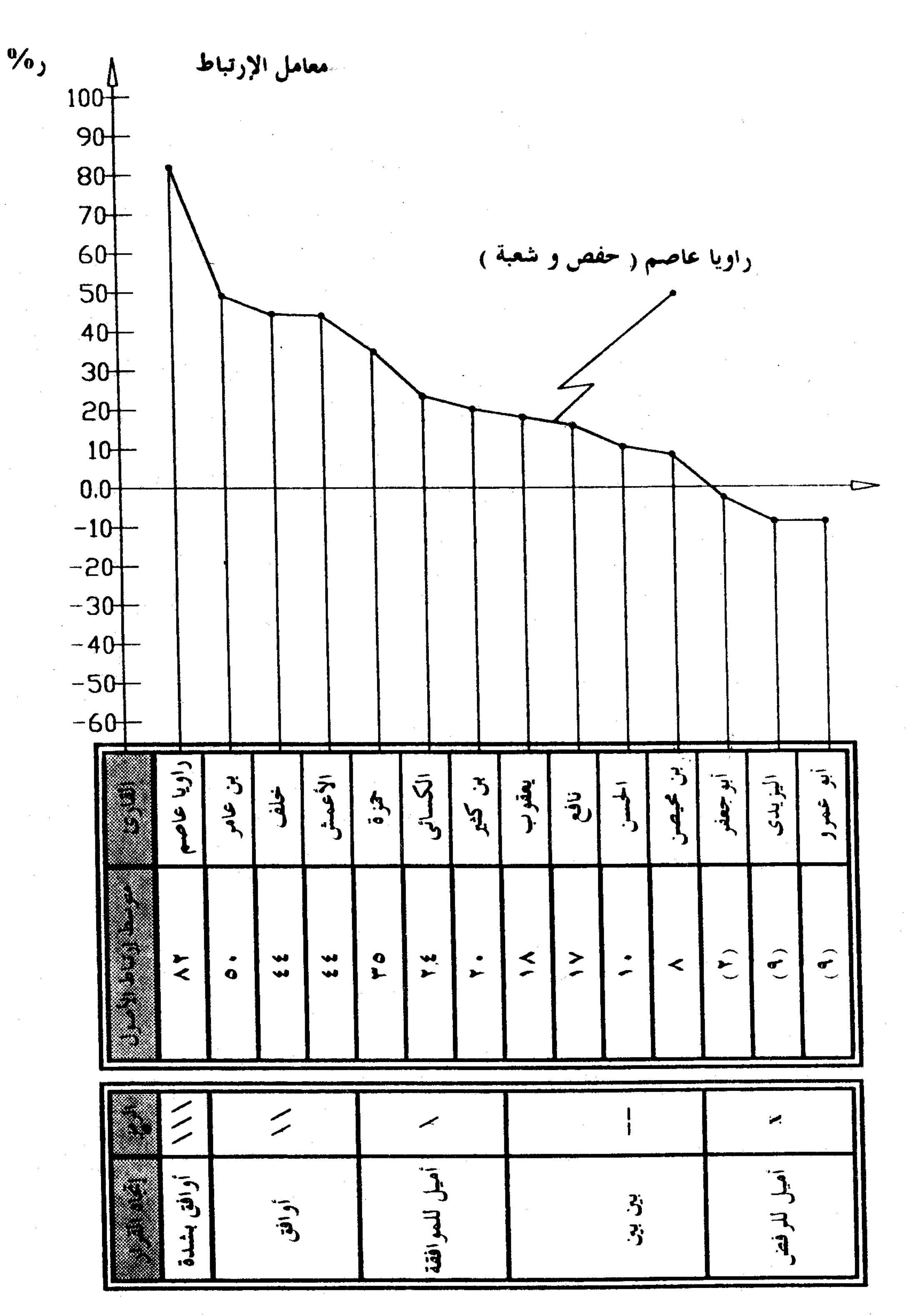

القارئ	راويا عاصم	بن عامر	خلف	الأعمش	حمزة	الكسائي	بن كثير	يعقوب	نافع	الحسن	بن محيصن	أبو جعفر	اليزيدي	أبو عمرو
متوسط إرتباط الأصول	٨٢	٥٠	٤٤	٤٤	٣٥	٢٤	٢٠	١٨	١٧	١٠	٨	(٢)	(٩)	(٩)

	///	//	/	¦	~
إتجاه القراء	أوافق بشدة	أوافق	أميل للموافقة	بين بين	أميل للرفض

شكل (٤٢) يوضح إتجاهات راوي قراءة عاصم نحو إختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى أصول القراءة

*** اتجاهات مدرسة عاصم براوييه (حفص - شعبة)**

نحو اختيارات جمهور القرّاء فى فرش الحروف : شكل (٤٣)

(١) كما سبق ، فإن فرش عاصم كان قد تربع – وحيداً – على قمة الثقة فاتجهت إليه اختيارات باقى القرّاء ، من مختلف الأمصار ، وبدرجات .

(٢) فرش عاصم هو الفرش الوحيد الذى لم يوجد من يعارضه بأى درجة من درجات المعارضة (أرفض بشدة – أرفض – أميل للرفض) .

كما أنه فضلاً عن ذلك كان الفرش الوحيد الذى لم يقف واحد من القراء منه موقف الحياد (بين – بين) . ولكن الحاصل أن درجات ارتباط الجمهور به كان حدها الأدنى : أميل للموافقة ، حتى من الحسن وابن محيصن .

(٣) **أميل للموافقة** : الحسن البصرى – ابن محيصن المكى – أبو جعفر المدنى – يعقوب البصرى – أبو عمرو واليزيدى البصريان .

(٤) **أوافق على فرش عاصم** : الكوفيون الأربعة – ابن عامر الشامى – ابن كثير المكى – نافع المدنى .

**** فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .**

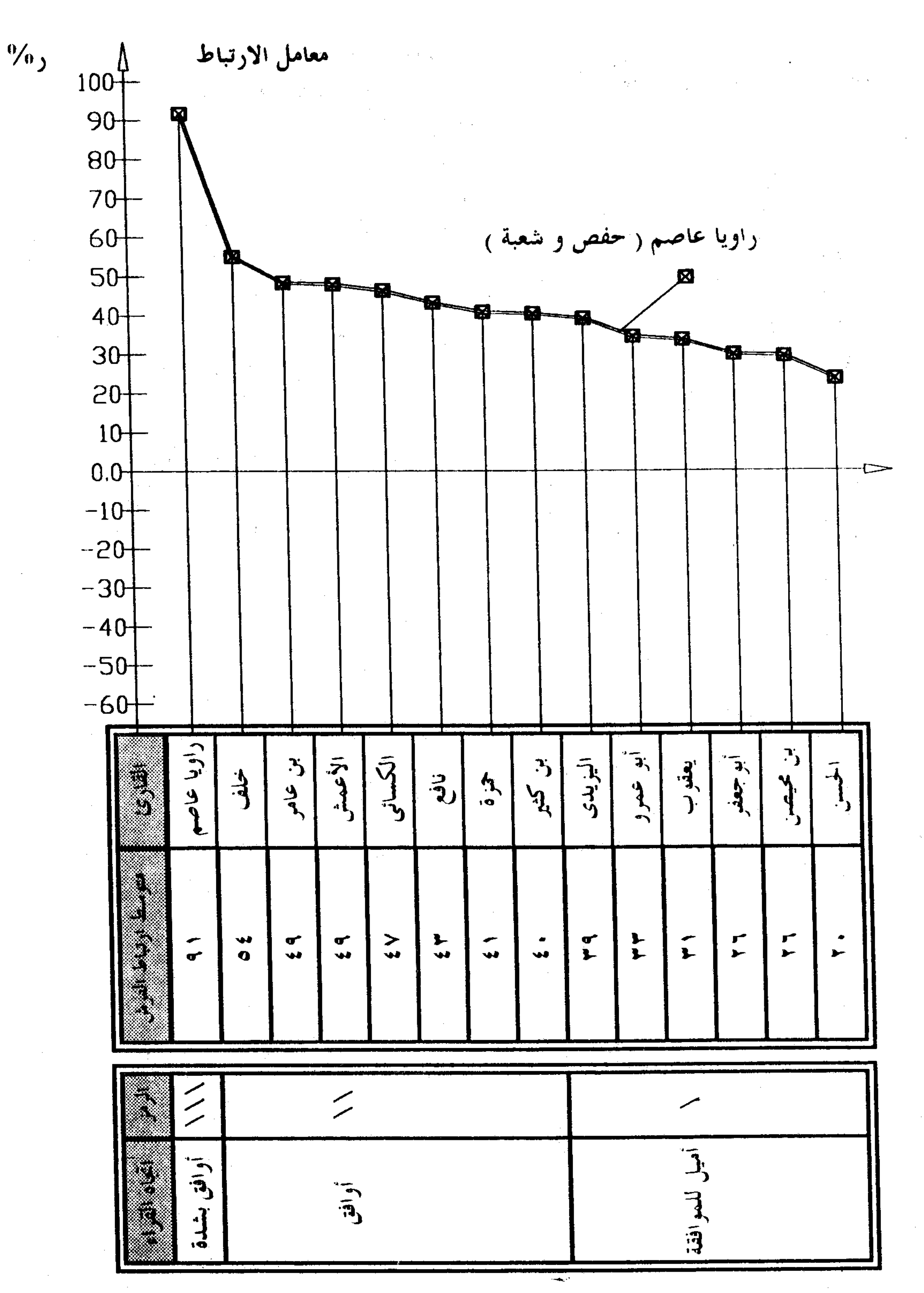

شكل (٤٣) يوضح اتجاهات راويي قراءة عاصم نحو اختيارات باقي القراء الأربعة عشر في فرش الحروف

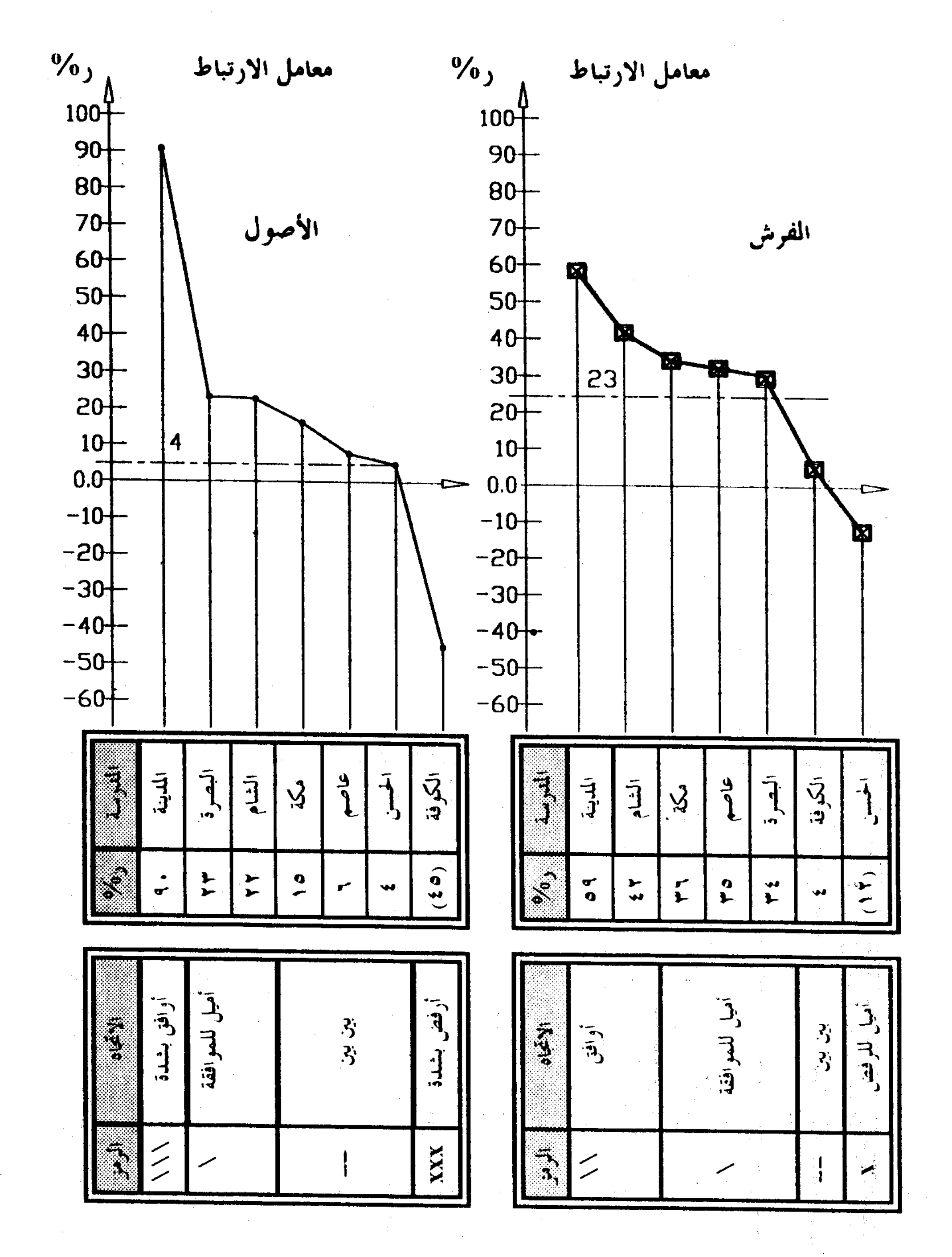

شكل (٤٤) يوضح اتجاه مدرسة المدينة (أبو جعفر - نافع) بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشا و أصولا

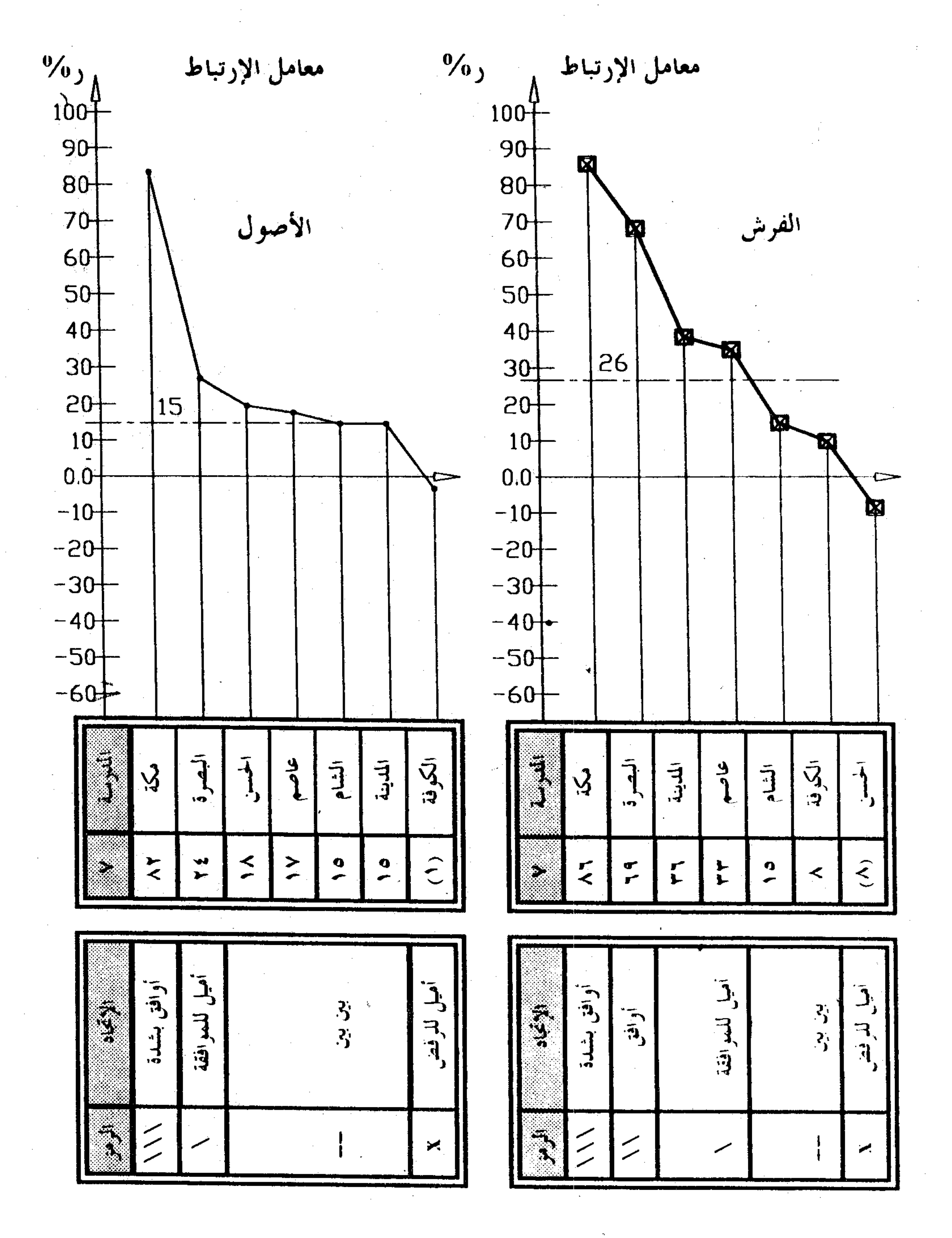

شكل (٤٥) يوضح إتجاه مدرسة مكة (إبن كثير-إبن محيصن) بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشا و أصولا

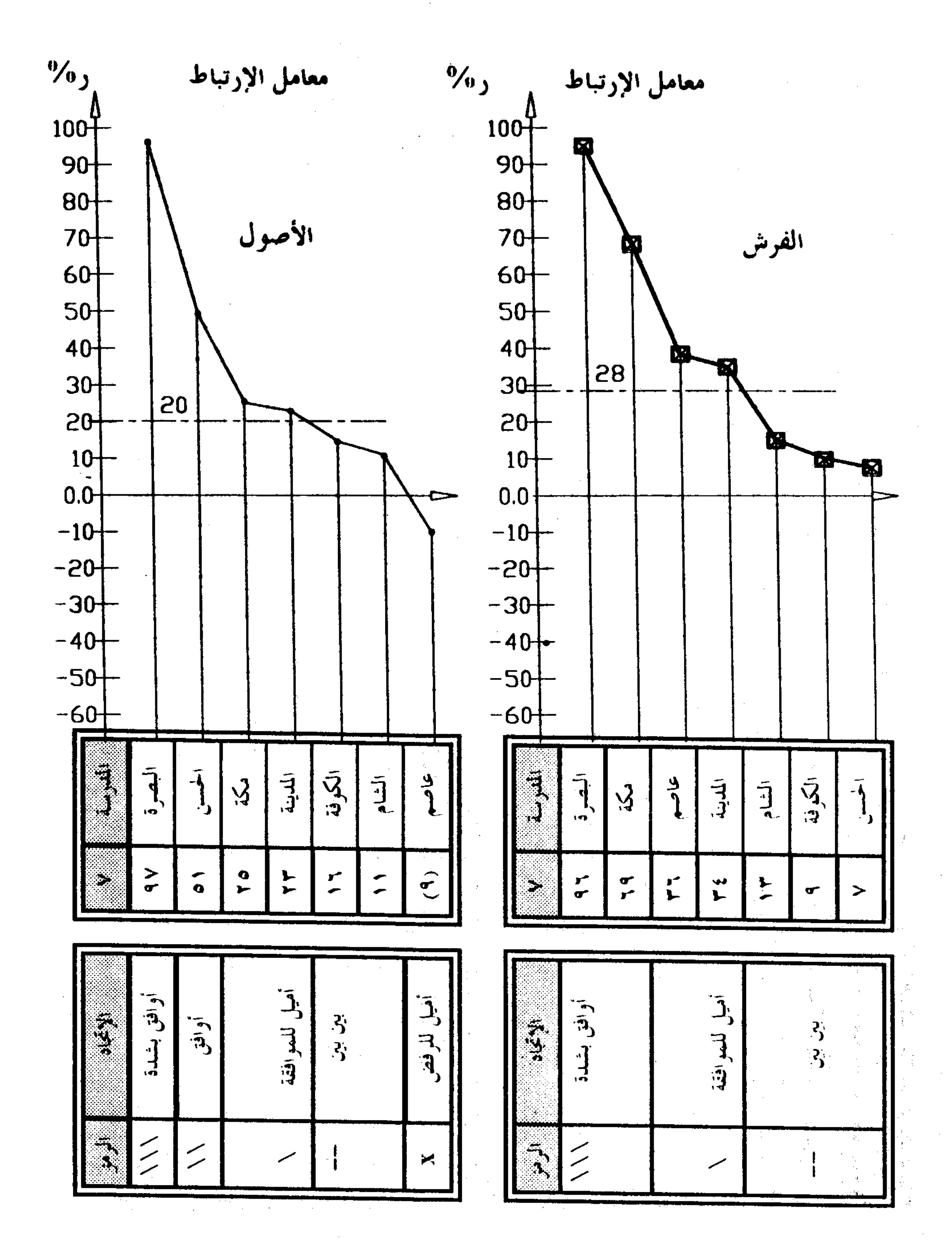

شكل (٤٦) يوضح إتجاه مدرسة البصرة (أبو عمرو-اليزيدى) بالنسبة لباقى مدارس الأمصار فرشا و أصولا

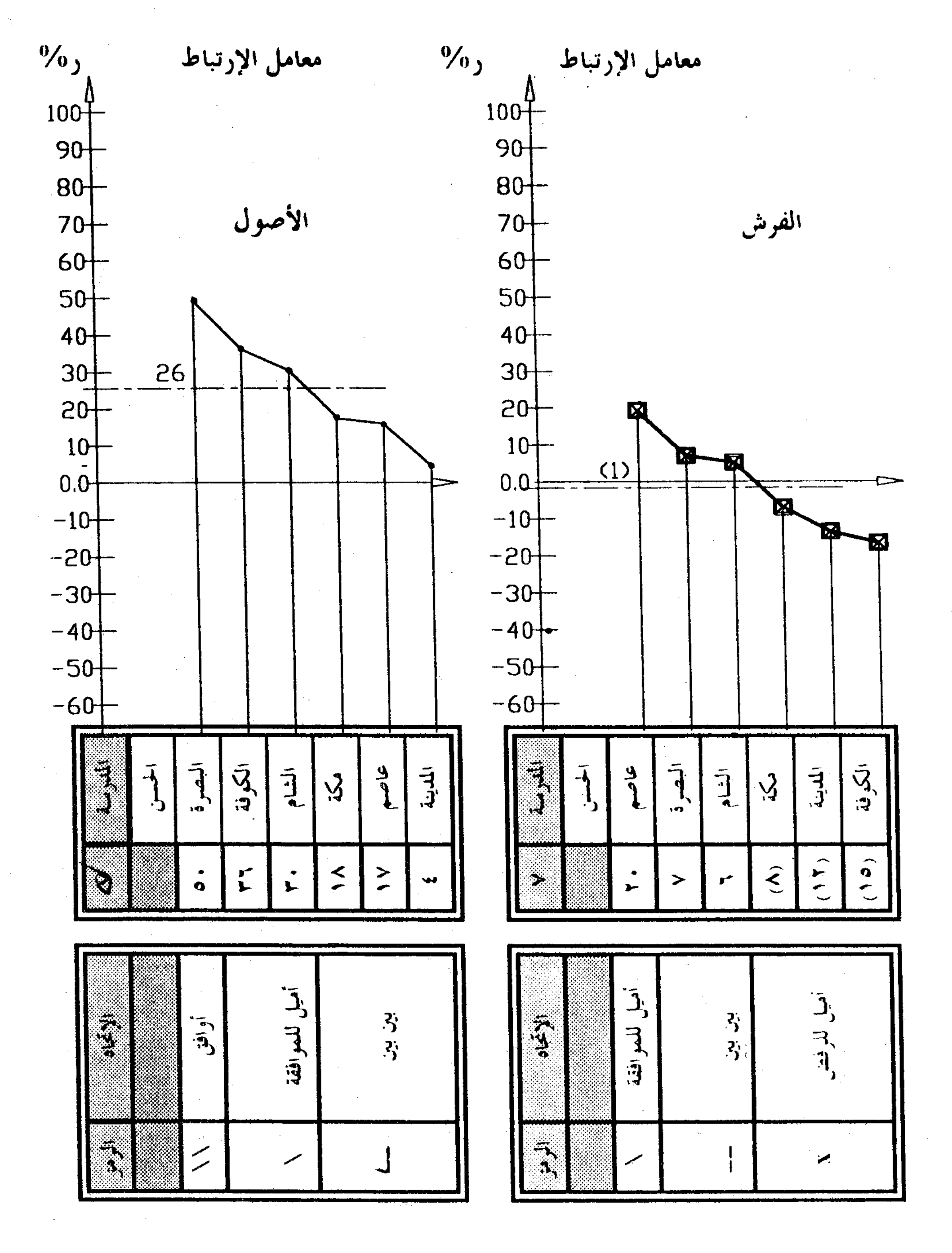

شكل (٤٧) يوضح إتجاه الحسن البصرى بالنسبة لباقى مدارس الأمصار

فرشا و أصولا

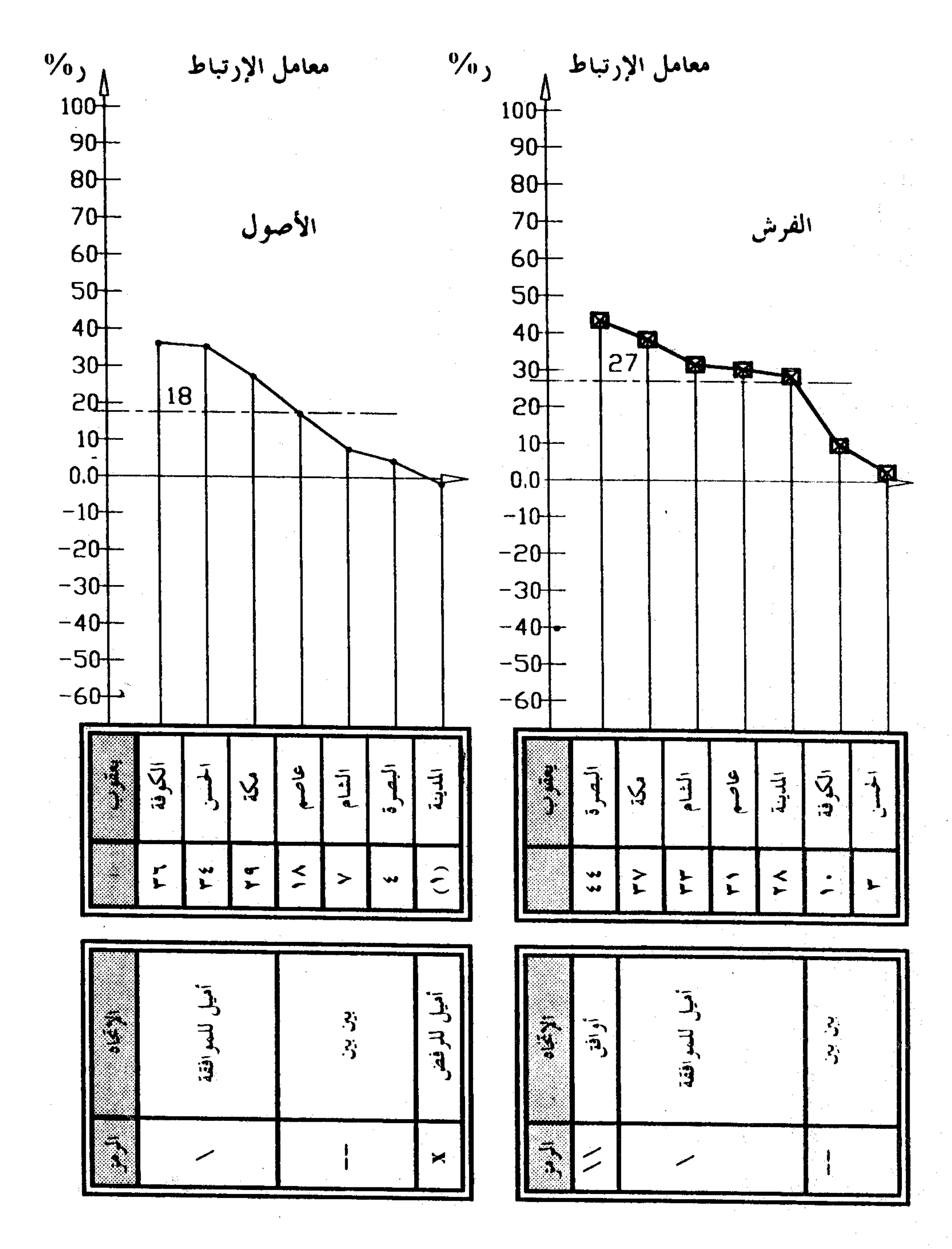

شكل (٤٨) يوضح إتجاه يعقوب بالنسبة لباقي مدارس الأمصار

فرشا و أصولا

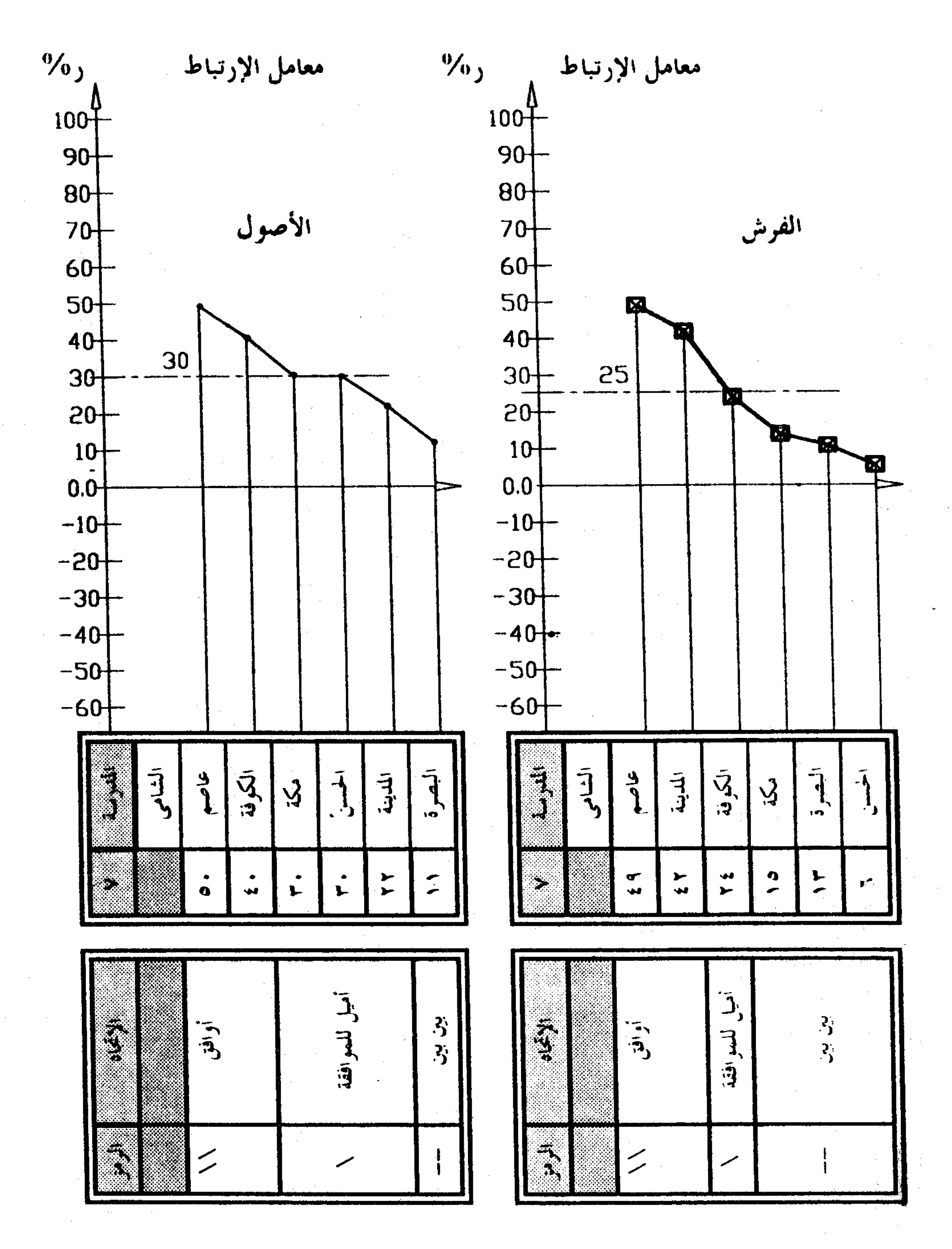

شكل (٤٩) يوضح إتجاه قارئ الشام بالنسبة لباقي مدارس الأمصار

فرشا و أصولا

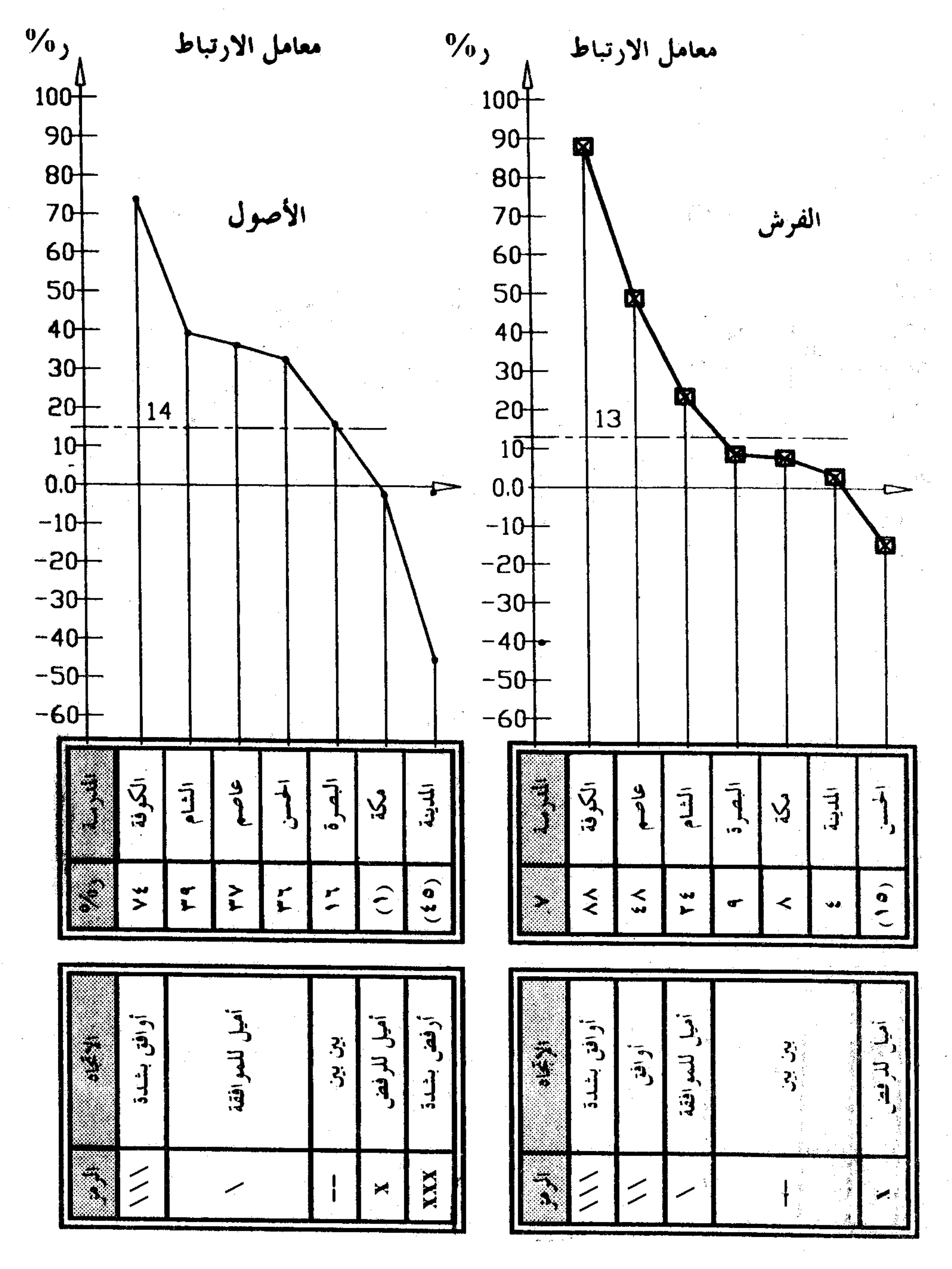

شكل (٥٠) يوضح إتجاه مدرسة الكوفة (الأعمش–حمزة–الكسائى–خلف)

بالنسبة لباقى مدارس الأمصار فرشا و أصولا

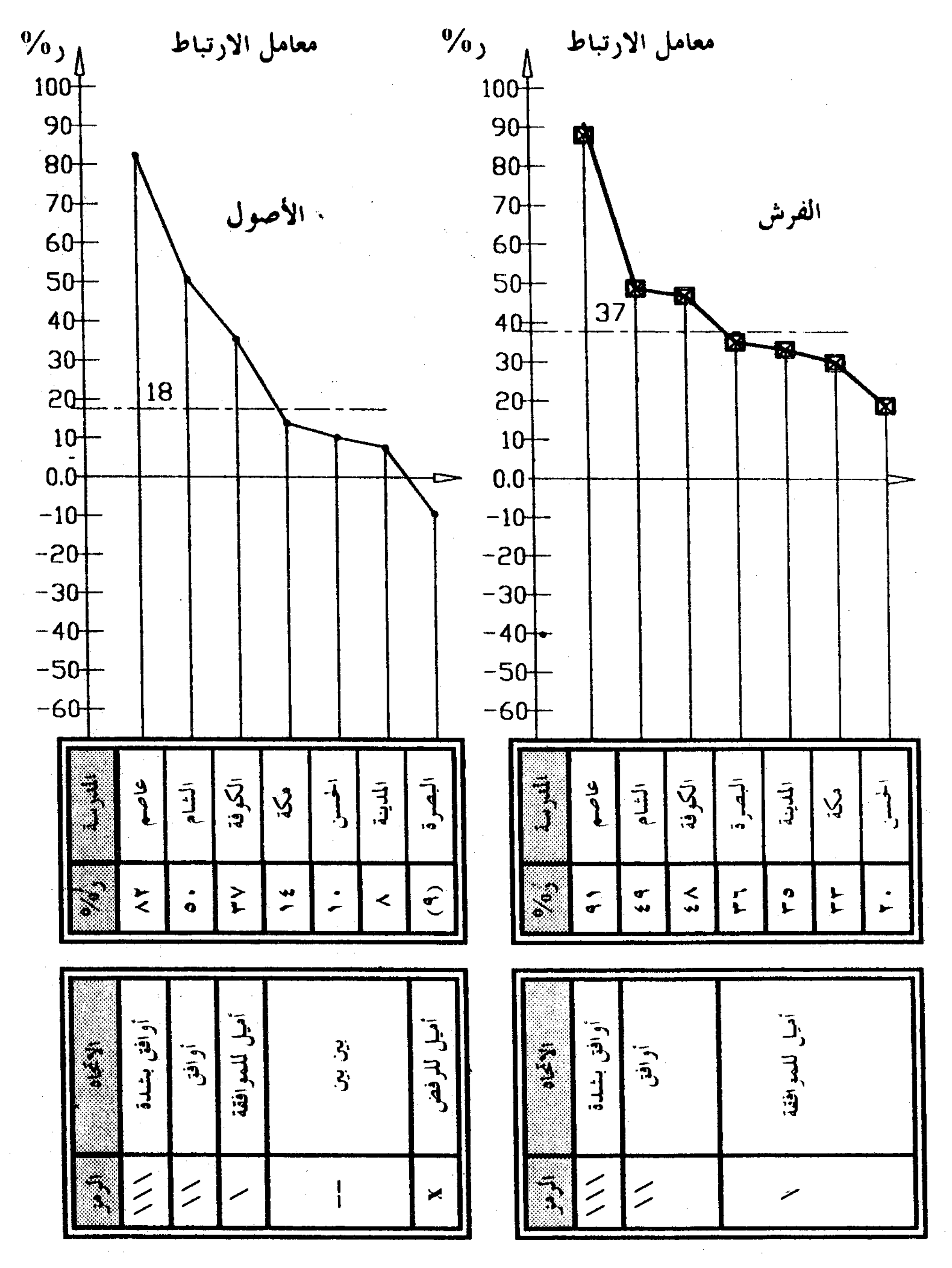

شكل (٥١) يوضح اتجاه قراءة عاصم بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشا و أصولا

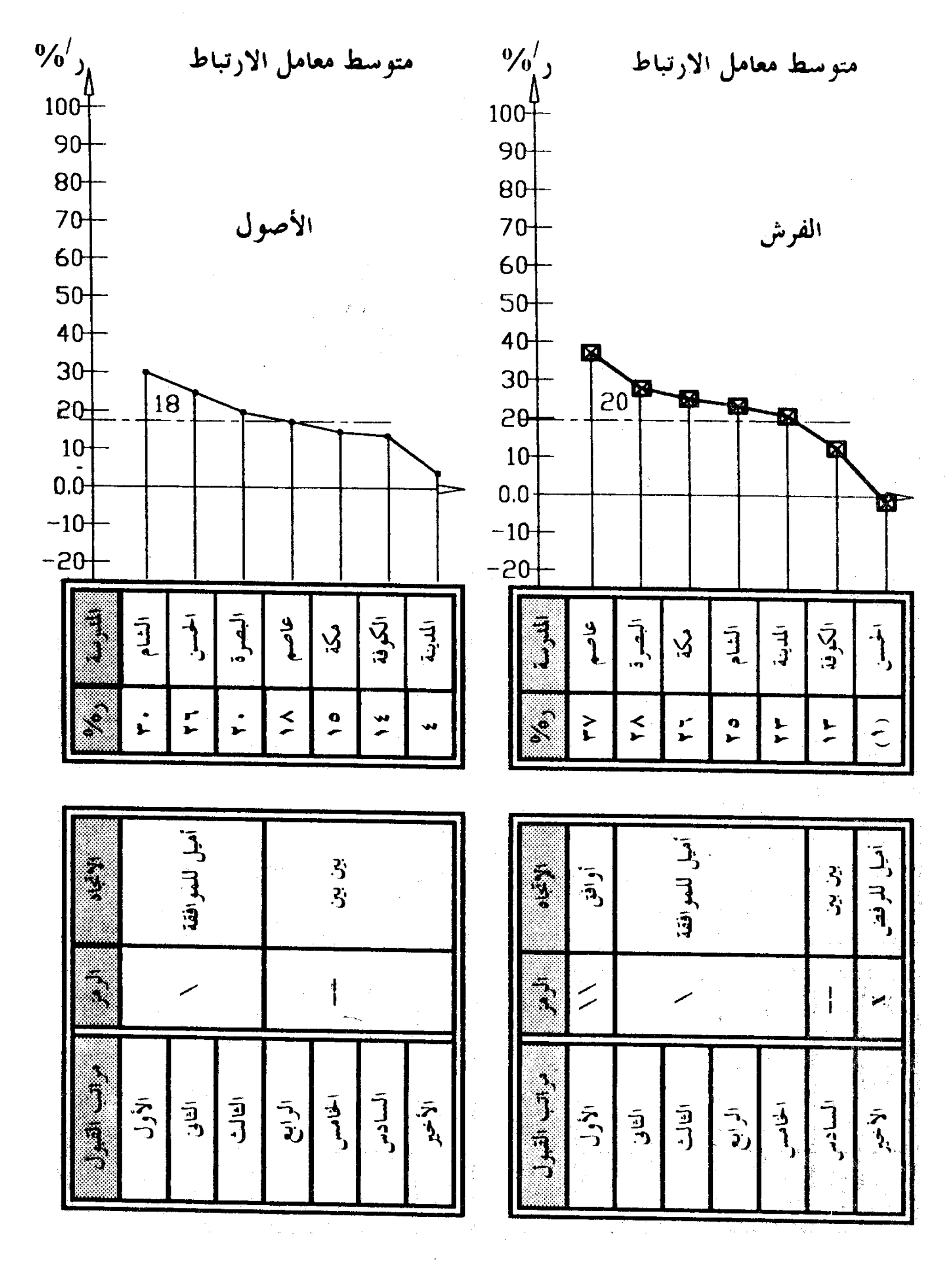

شكل (٥٢) يوضح ترتيب مدارس القراءة بالأمصار على مقياس الاشتهار
و التلقى بالقبول فى كل من الفرش و الأصول

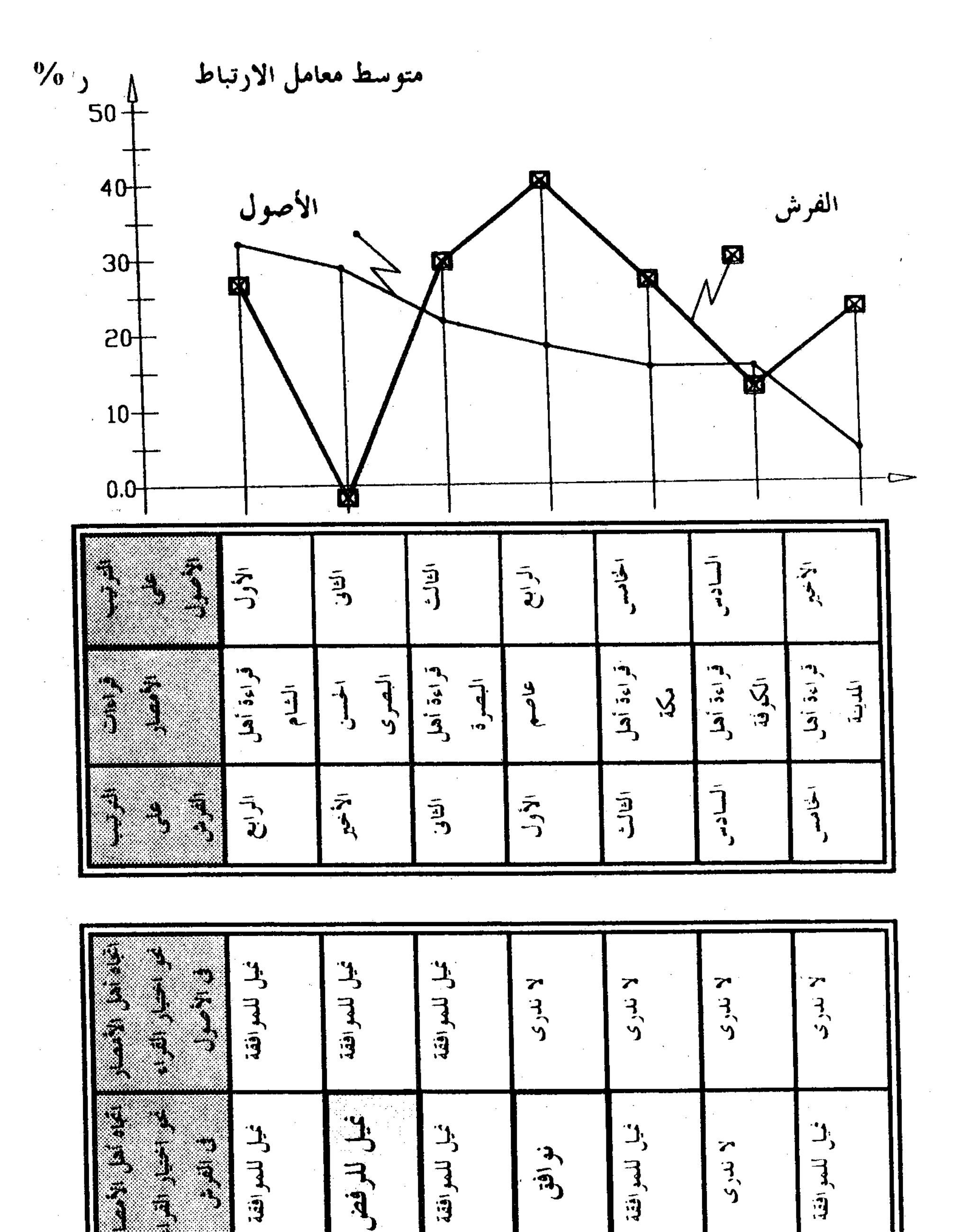

الترتيب على الأصول	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	الأخير
قراءات الأمصار	قراءة أهل الشام	الحسن البصري	قراءة أهل البصرة	عاصم	قراءة أهل مكة	قراءة أهل الكوفة	قراءة أهل المدينة
الترتيب على الفرش	الرابع	الأخير	الثاني	الأول	الثالث	السادس	الخامس

اتجاه أهل الأمصار نحو اختيار القراء في الأصول	تميل للموافقة	تميل للموافقة	تميل للموافقة	لا ندري	لا ندري	لا ندري	لا ندري
اتجاه أهل الأمصار نحو اختيار القراء في الفرش	تميل للموافقة	تميل للرفض	تميل للموافقة	توافق	تميل للموافقة	لا ندري	تميل للموافقة

شكل (٥٣) يوضح اتجاهات مدارس القراءة بكل مصر نحو اختيارات المدارس الأخرى في كل من الفرش و الأصول

خاتمة

* أما بعد ، فلعل ما جاء بهذا الكتاب خير دليل على أن ملف « القراءات » لم يغلق بعد ، وأن من يسعى إلى إغلاقه مخافة الاختلاف فى كلام الله وطمعاً فى حفظه إنما يحكم بالموت جموداً ، ثم نسياناً لأعز دُرَّة فى تاج تراثنا الإسلامى والعربى ، ذلك أنه يخالف – من حيث لا يدرى – المقاصد الإلهية التى شاءت أن تحفظ القرآن فى صورة قراءات متعددة ، ومتنوعة ، لحكمة عليا ، أسهبنا فى الحديث عنها فى صفحات هذا الكتاب .

فالقرآن واحد ، والقراءات متعددة ، والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهدى السبيل . ومن هنا جاءت دعوتنا إلى إحياء القراءات . وإحياؤها لا يكون فقط بتحفيظ القرآن بالسبعة وبالعشرة لنفر محدود ، فى معاهد دينية متهالكة مهملة ، ومحدودة فى الكم والكيف كما هو الحال الآن . كما أن إحياءها لن يأتى من خلال احتكار المعرفة بها على فئة محدودة للغاية من الأكاديميين تعد على أصابع اليد الواحدة . ولن يأتى إحياء القراءات أيضاً فى ظل سياسة إعلامية جوهرها الترويج لراوٍ واحد عن قارىء واحد لا ثانى له ، حتى وإن ثبت أنه الأوثق ، أو الأشهر ، فالسبع كلها مشهورة ومتلقاة بالقبول ، بل والعشر إن شاء الله .

إنما يكون إعادة إحياء تراث القراءات – فيما نرى – بالخطوات التالية :

أولاً : تطوير معاهد القراءات وتحفيظ القرآن من خلال :

١ – تخصيص الاعتمادات للأبنية التعليمية ، وإعادة تأثيثها بعناصر جمالية تجذب إليها الجمهور ، وتعين التلاميذ على مهمتهم الشاقة .

٢ – تمييز هيئة التدريس بحوافز إضافية ، تؤمن لهم معيشة كريمة تليق بأمثالهم من حملة القرآن .

٣ – تحفيز التلاميذ ، بصرف مكافآت شهرية لهم ، كافية لأن تشكل عنصر جذب حقيقى .

٤ – فى مقابل عناصر التحفيز المشار إليها والتى تشكل عنصر جذب ، فمن المتوقع أن يشتد الإقبال على معاهد القراءات ، وهنا يجب وضع « نظام اختبارات للقبول فى القدرات والميول » لا يقبل بالمعاهد إلا من يجتازه بنجاح . ومنها اختبارات الذاكرة وجمال الصوت وحسن الأداء والميل للموسيقى وغيرها . ومعظمها متاح ، لا ينقصه إلا التقنين على بيئتنا العربية والإسلامية على يد المتخصصين ، وهم كثر .

٥ – تطوير مناهج التدريس بحيث لا يقتصر الأمر على تحفيظ القرآن ، بل يتعداه إلى ثقافة القراءات ، وتاريخها والقضايا المثارة بشأنها . كما يمتد أيضاً إلى دراسة « فقه اللغة » بما يحتويه من دراسة اللهجات المقارنة – قديما وحديثًا .

ناهيك عن قواعد النحو ووجوه الإعجاز اللغوى والبلاغى لوجوه القراءات .

٦ – فإذا قيل : مشكلة التمويل ، ومحدودية الموارد ، أقول : توجه الدعوة فى وسائل الإعلام إلى القادرين من عشّاق القرآن والقراءات لفتح باب التبرع ، وتكون الدعوة موجهة للمسلمين من كافة أنحاء العالم ، وليس بمصر وحدها ، حينذاك ستنهال التبرعات ممن أفاض الله عليهم بكرمه ، حبًّا وكرامة .

ولا بأس من تكوين روابط لمحبى القرآن والقراءات ، فنضمن بذلك استمرارية الاتجاه ، بل وتطويره على أيدى محبيه ، وما أكثرهم .

ثانيا : تطوير السياسة الإعلامية :

١ – يجب ألا تقتصر إذاعة القرآن الكريم على رواية حفص عن عاصم فقط ، ذلك أن الناس قد التبس عليهم ، فظنوا أن القرآن هو فقط بحفص عن عاصم فى مصر والسعودية وغيرهما . على حين أن المغاربة والسودان فى بعض نواحيه يظنون أن القرآن هو فقط برواية ورش عن نافع . وقد أوضحنا خطورة ذلك ، فضلاً عن كونه « غير حقيقى » . وأنه يفرق بأكثر مما يجمع ، فضلاً عن كونه لا ينسجم مع المقاصد الإلهية . فهل آن الأوان للرجوع إلى الحق ؟ .

٢ – يجب أن ينوه المذيع إلى الرّاوى والقارىء عندما تكون القراءة بحفص

عن عاصم ، أو بورش عن نافع ، أو بالسبعة أو بالعشرة أو بغيرها . ويعاد النظر في السياسة الإعلامية الحالية التى لا تعلن إلا عن « حفص عن عاصم » وتصر على تجاهل من سواهما ، فلا يأتى ذكر أحد غيرهما مما هو متبع حالياً فى المرات القليلة التى يذاع فيها تلاوة بغير حفص فى الإذاعة المصرية بكل محطاتها ، ومما يؤكد أنها سياسة مقصودة ومتعمدة ، وإلا فهو تقصير لا يغتفر .

٣ - أن يطبع المصحف المرتل بقراءات لغير حفص عن نافع ، وهى الوحيدة المتاحة حاليًا ، ولا يشذ عنها إلا تسجيل واحد فقط لرواية ورش عن نافع بصوت الشيخ الحصرى (رحمه الله) ، وهو مالا يكفى بحال لإشباع رغبات الجمهور والوفاء باحتياجاتهم .

٤ - ويسرى على المصحف المجود ما يسرى على المصحف المرتل ، فلا تجد فى الأسواق الآن شرائط مسجلة بأصوات مشاهير القرّاء إلا بحفص عن عاصم . فضلاً عن أنه لا يتم التنويه - كتابة . على أغلفة الشرائط عن الرّاوى ولا عن القارىء لا حفص ولا غيره .

ثالثا : فى مجال التأليف والبحوث :

فى المكتبة العربية بعض المؤلفات فى موضوع القراءات ، ولكنها لا تشفى غليلاً ولا تؤدى دوراً فعالاً ، لأسباب عديدة ، منها :

- جفاف الأسلوب وخلوه من عنصر البساطة وعنصر التشويق . من هنا لم يتلقاها جمهور القراء بالقبول ولم تشتهر وأصبح نشر كتاب فى القراءات مخاطرة مادية غير مأمونة ، فتقلصت المؤلفات وتقلص معها تراث القراءات العظيم .

- تكاد المكتبة العربية تخلو من مؤلفات فى تاريخ القرّاء ، فلا يكاد أحد من الناس يعرف من هو أبى بن كعب ، ولا من هو حفص ، ولا عاصم ، ولا غيرهم .

والأنكى من هذا ، أن عامة المثقفين قد يعرفون جيداً عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، ولكن لا أحد منهم على وجه اليقين

يعلم فضلهم فى خدمة كتاب الله .. ! أليس هذا غريبا ؟ ... أم أنه شيء لا يستحق أن يُذكروا به !؟ .

– تتسم لغة الخطاب فى معظم المؤلفات التى تتحدث فى القراءات بالحذر الشديد وتجاهل القضايا ذات الشأن والقفز فوقها وفوق العقل وفوق الحق أحيانا ، للتأكيد فى النهاية على أنها متواترة كلها ، مسموعة من فم النبى ﷺ كلها ، موحى بها كلها ، معلومة من الدين بالضرورة كلها ، وهو ما لم يقل به أحد من القدماء .

فهل يعتبر هذا إبداعًا من المحدثين أم بدعة ؟ .

فالقضايا الخلافية لا تتطلب إلا منطق الإقناع ، ومناخ الحوار ، وطرح الرأى والرأى الآخر ، ثم تسرى عليها السـنة الخالدة : فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

ولنا فى الإمام أبى حامد الغزالى عبرة ، فقد كتب رأيه فى الفلسفة فى كتاب « تهافت الفلاسفة » ، فلما عجز ابن رشد عن إقناع الناس بقضيته فى كتابه « تهافت التهافت » ، ذهبت الفلسفة إلى حيث ألقت . ولم يكن ذهابها جفاء « بفتوى » ، ولكنها ذهبت بـ« كتاب » .

– آن الآوان لكن نسخر « التكنولوجيا » فى خدمة القراءات والقرآن .

فهل قام علماؤنا بحفظ القراءات على أسطوانة كمبيوتر ؟ .

إن حفظ القراءات على الكمبيوتر يجب أن يتصدر الأولويات فى مجال حفظ التراث ومن ثم إحيائه . وسوف يفتح ذلك الباب للمئات من الدراسات والبحوث التى تستفيد من استرجاع المعلومات ، مصنفة ، مبوبة بعشرات الطرق بمجرد لمسة إصبع . فهل فى هذا ما يخفى من فوائد ؟ ... فماذا تنتظرون ؟ .

– آن الأوان لتطوير مناهج البحث فى الدراسات الإسلامية . ولماذا لايستفاد من « المنهج الإحصائى » فى علم القراءات ؟ .

والباب الثانى من هذا الكتاب قد سخر علم الإحصاء لخدمة أهدافه ، فخرج بمؤشرات عن اتجاهات القرّاء . وهى مؤشرات – وإن كانت تقريبية – إلا

انها لا تخلو من فوائد . فنتائجها عجزت عن بلوغها المناهج الاستقرائية التاريخية التقليدية . وهنا تكمن قيمة « العلم » الحقيقية .

فلماذا لا نسخر منهج العلم فى خدمة « التراث » ؟ .

أرجو أن يكون ما توصل إليه هـذا الكتاب فى بابه الثانى : « اتجاهات القرَّاء » - إذا ثبتت صحته - حافزاً للباحثين ، ومن قبلهم المشرفين عليهم ، لاتباع هذا المنهج الإحصائى - باصوله الأكاديمية - فى بحوثهم ، وأنا على يقين من أن ذلك سوف يفتح الباب على مصراعيه للخروج بالتراث من مأزق الجمود الذى يعانيه ، والدائرة المفرغة التى يدور فيها .

* * *

وينتهى الكتاب ، ولا ينتهى الكلام ، ولا التفكير . ولم تطمئن نفسى إلى كلمة وردت به ، ولا إلى رأى اجتهدت فيه قدر اطمئنانى إلى النية التى تقف من ورائهما .

فالله أسأل ، أن يتقبل منى نيتى ، وأن يغفـر لى خطيئتى ، وأن ينير به قبرى ، وأن يثقل به ميزانى ، وأن يبيض به وجهى ، يوم أن ألقاه ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وأن يزحزحنى به عن النار ، وأن أتسلمه بيمينى فأهتف : هاؤم اقرءوا كتابيه ، إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه .

وصلى الله وسلم على نبينا سيد المرسلين ، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، من حملة القرآن العظيم ، سـلاماً يرضيك وترضـاه وترضى به عنا ، آمين . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

صبرى الأشوح

الأربعاء ٢٦ من رجب سنة ١٤١٨ هـ

فجر ليلة الإسراء المباركة .

قائمة المراجع

* مصحف المدينة النبوية ، كتب وضبط على ما يوافق رواية حفص عن عاصم .

* المصحف الشريف ، طبع بالرسم العثمانى على رواية الإمام ورش (عن نافع) بالخط المغربى التونسى الجزائرى الإفريقى الموحد ، وأقر صحته مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . الناشر : دار المصحف ، الأزهر ، القاهرة .

* كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د . شوقى ضيف ، دار المعارف ، ط ٣ .

* النشر فى القراءات العشر ، تاليف ابن الجزرى ، تصحيح ومراجعة الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارىء المصرية ، دار الفكر ، القاهرة . جزءان .

* إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للعلاَّمة الدمياطى البنا ، رواه وصححه وعلق عليه الشيخ على محمد الضباع مراجع عموم المصاحف ومراقبها بمشيخة المقارىء المصرية – الناشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، الأزهر ، القاهرة .

* كتاب المصاحف ، تأليف أبى بكر السجستانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ .

* المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات ، تأليف أبى الفتح عثمان بن جنى ، وتحقيق على النجدى ناصف ، ود . عبد الحليم النجار ، و د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، لجنة إحياء كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، مصر سنة ١٩٩٤ ، جزءان .

* قراءات القرَّاء المعروفين بروايات الرواة المشهورين ، تأليف الأندرابى المقرىء ، حققه وقدم له د . أحمد نصيف الجنابى ، بالجامعة المستنصرية ، الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٥ م .

* منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزرى ، قرأه بعد طبعه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ أبو الأشبال أحمد محمد شاكر ، دار زاهد القدسى .

* الإبانة عن معانى القراءات ، تاليف الإمام مكى بن أبى طالب حموش القيسى ، قدم له وحققه ، وعلق عليه ، وشرحه ، وخرج قراءاته د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* تاريخ القرآن ، تاليف د . عبد الصبور شاهين ، معهد الدراسات الإسلامية ، سنة ١٩٩١ م .

* أبو عمرو بن العلاء ، تاليف د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٧ م .

* القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، تاليف د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجى .

* الاختيار فى القراءات ، منشؤه ، ومشروعيته ، إعداد د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، جامعة أم القرى ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، سنة ١٩٩٦ م .

* الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ، رسالة ماجستير للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الناشر دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* المدخل والتمهيد فى علم القراءات والتجويد ، تاليف د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .

* القراءات ، أحكامها ومصادرها ، تاليف د . شعبان محمد إسماعيل ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٦ م .

* المستنير فى تخريج القراءات المتواترة ، تاليف د . محمد سالم محيسن ، مكتبة جمهورية مصر ، الحسين ، القاهرة ، ثلاثة أجزاء .

* من قضايا اللغة والنحو فى كتاب النشر لابن الجزرى ، د . فؤاد أحمد

السيد الخطاب ، دار الطباعة المحمدية ، الأزهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ م .

* فقه اللغة ، تأليف د . على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* مفهوم النص ، دراسة فى علوم القرآن ، تأليف د . نصر حامد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٣ م .

* تاريخ الجدل ، تأليف الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

* مباحث فى علوم الحديث ، تأليف أ . مناع القطان ، الناشر مكتبة وهبة ، عابدين القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٢ م .

* الرأى العام ، طبيعته وتكوينه وقياسه ، تأليف د . أحمد بدر ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٢ م .

* الإحصاء فى علم النفس ، د . صفوت فرج ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

* القرَّاء والقراءات بالمغرب ، سعيد إعراب ، دار المغرب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٠ م .

صدر للمؤلف :

* التفكير عند أئمة الفكر الإسلامى

أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، ابن حنبل ، ابن حزم

* تأليف : صبرى الأشوح .

* يطلب من : مكتبة وهبة ، ١٤ ش الجمهورية ، عابدين

القاهرة . ت ٣٧١٧٤٧٠

* الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧ .

فهرس الكتاب

الموضـــوع الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضــــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

فهرس الأشكال

الصفحة

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع	١٩٩٨/١٠٩٩٢
I.S.B.N الترقيم الدولى	977 - 19 - 6721 - 5